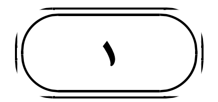
كن من الساجدين



يوم آخر في العمل، ممل كالسابق رتيب كاللاحق .. لا جديد في عصر وصلنا فيه إلى نسبة من الرخاء جعلتنا نشيد ناطحات السحاب في كل مكان من الصحراء .. عذراً .. ما كان يسمى قديماً بالصحراء ..

عاد العماليق للجزيرة العربية .. من أسمنت هذه المرة بدلاً من اللحم والدم .. أسكن بداخل فرد منهم وأعمل بداخل واحد آخر!

عندما أتحرك كل صباح ذاهباً إلى عملي تمر سيارتي وسطهم فأشعر بالرهبة من صورتهم المهيبة، عماليق مشيدة بطول الكيلومتر أحياناً!

والناس يحبونها، يعشقون حسنها وتمدهم بالقوة والثقة في النفس .. يصر زميل لي على أنها أصنام كبيرة الحجم يعبدها الناس ويتسابقون لتشييدها مكررين بذلك عهد الجاهلية، وأخالفه في هذا التشبيه المتطرف .. لكني يومياً أتساءل: أليست تلك بالفعل أصناماً شيدوها لتمنحهم بركة الشعور بالنجاح والتوفيق والاستعلاء على الآخرين؟

في العمل كنت أقوم بإنجاز كل شيء على حاسوب آلي .. أصنام

أسمنتية وعقول إلكترونية وأفراد يظنون أن كل هذا طوع أيديهم .. هكذا نحن .. لكني دائماً أشعر بسخف هذا الافتراض المنطقي .. إننا نحن عبيد الأصنام ذات العقول الإلكترونية .. يوماً ما سنكتشف هذه الحقيقة ونرجع إلى حالتنا الأولى .. إلى الصحراء والخيام .. لكن الغريب أنني لا أتمنى أن أتواجد في ذلك اليوم، فحياتي هكذا أسهل بكثير!

وجدت تنبيهاً على سطح مكتب جهازي فتوقفت عن العمل، هو من المدير الذي يستطيع الوصول إلى كافة أجهزة المؤسسة.

«توجهوا نحو التلفاز المركزي فوراً»

عقدت حاجبي، الساعة الآن العاشرة والنصف صباحاً ولا شيء مهم في التلفاز، ناهيك أن المدير لا يطلب منا إلا العمل والعمل ثم العمل!

نهضت من مكتبي وقد استبد بي القلق بينما نافورة الاحتمالات المخيفة تغمر عقلي بالسيناريوهات: انقلاب؟ زلزال؟ اغتيال الحاكم؟ زوجتي خرجت تشكوني في التلفاز الوطني؟!

في الممر المزدحم كان الجميع يتحرك في همة دون كلام كثير، وصلنا إلى القاعة الرئيسية فوجدنا المدير وقيادات المؤسسة واقفين أمام الشاشة الكبرى في صمت، كان التلفاز ينقل مشهد مئات الآلاف، بل ملايين الجنود يرتدون زياً موحداً أسود وغطاء رأس قماشياً غريب الشكل ..

النقل من قناة غريبة بصوت فخم يذكرني بمشاهد الأفلام الدعائية لأربعينات وخمسينات القرن العشرين، واللغة شبيهة بالعبرية! آلاف الطائرات الغريبة الشكل تحلق محيطة بواحدة عملاقة تبدو كأنها قرية طائرة .. مركبات عملاقة وأسلحة لا نعرف شكلها!

- قال أحد الزملاء في استنكار: فيلم خيال علمي بالعبرية؟ على قناتنا المحلية؟

انتبهت إلى شعار القناة المحلية الموجود، إنها تنقل عن هذه القناة العجيبة .. التفت إلينا المدير في حيرة وهو يقلب القنوات قائلاً:

- ليس خيالاً .. وليست قناتنا المحلية وحدها!

تنقل بين القنوات .. الجميع ينقل نفس المشهد .. نفس التعليق .. عشرات القنوات بنفس التزامن ..

دوى صوت صفارة الإنذار في مدينتنا فنظر الجميع إلى بعضهم في ذعر .. هرولنا كل إلى سيارته بلا حرف واحد .. لابد أن أذهب لأسرتي فوراً .. ما هذا؟

في الطريق كانت المساجد ترفع الأذان في غير وقته، زاد هذا من حالة الذعر، الناس يركضون في الشوارع وفوضى عجيبة منتشرة بينما الشرطة نفسها مضطربة لم تستوعب بعد ماذا هناك ..

وصلت لمنزلي فدخلت لأجد زوجتي ووالدي يلتفتون إلي في اهتمام

مذعور يسألونني عما هناك .. هرعت فوراً إلى الشاشة وأخبرتهم أنني لا أفهم شيئاً .. على التلفاز كان هناك رجل غريب الهيئة يتحدث بصوت أجش، وجهه صنع نفوراً مخيفاً في نفسي وبعث رعشة بداخلي، إنه شبيه بشخص ما أعرفه من الماضي السحيق لكني لا أستطيع تذكره، يتحدث بالعربية في قوة وفصاحة، علمت فيما بعد أن كافة قنوات الأرض الفضائية والمحلية عرضت نفس البث قهراً ولم تجدِ محاولات عسكرية ومخابراتية لإيقافه، كان هناك شيء مجهول يمنع المساس بما يحدث! الغريب أن كل أمة سمعته يتحدث بلغتها الخاصة في نفس التوقيت!

«إنني لست المبعوث المنتظر، فلا أحد بعثني، فأنا الأول الآخر، أنا الغائب الحاضر في التاريخ، أنا الذي يحمل لكم نهاية الكون بجنة أرضية لمن تبعني ونار لاهبة لمن عاندني، آمنوا بي تأمنوا، اسجدوا لي تدخلوا جنتي وتنعموا بما أعددت لكم، المكابر مغتراً بماله مكانه الجحيم، المعاند منتفخاً بسلاحه سيحرق بلا رحمة، أنا المال والسلاح ومانح كل شيء، أنا القوة والعلو ومانح كل شيء »

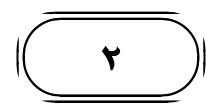
كلام هزلي؟ نعم بالتأكيد، لكنه لم يصل لنا بهذا الشكل، لقد ارتجفت القلوب في كل مكان، هناك طاقة نفسية تخرج كالشعاع من هذا الرجل مخترقة الزمان والمكان والأبعاد كلها فتصل رسالته ذات

النبرة المخيفة إلى الأعماق السحيقة في نفوسنا ..

«الآن .. تجسد إلهكم .. اسجدوا لي»

بدون تأخير سجد ملايين الجند أمامه ..

واهتزت الأفئدة في أرجاء الأرض ..



أيام مخيفة مرت بعد هذا الإعلان الاستعراضي، أغلقت أبواب الأبنية على ساكنيها، غابت الحكومات في أنحاء الأرض، صوت الأذان فيه شفقة على الجميع يسألهم الحضور لكن لا مجيب، منذ زمن بعيد ومجتمعنا لا يعرف الصلاة الجامعة، كان الكثيرون في البداية يؤمنون بعماليق مدينتنا وقوة تسليحنا والنووي الذي نملكه، لكن الارتياع ظل يشتد ساعة وراء الأخرى والتلفاز يبلغنا بتحرك هذا الحاكم الجديد من دولة إلى أخرى، الكل يسقط، عرفنا أن خروجه من وسط آسيا، هو على مرمى حجر منا، لكنه لم يأت إلينا فوراً، قام بتركيع القوى العظمى أولاً ..

النشرات تنهمر وحكومتنا غائبة، في اليوم الأول تحركت مركبات عسكرية في الشوارع تطمئننا بالمذياع أن جماعات إرهابية سيطرت على مراكز البث في العالم وأن قادة الأرض كلها اتفقوا على

سحق هذا المأفون .. لكن غابت هذه الطمأنة بعد أيام قليلة ..

زوجتي وأبنائي ووالدي هم كل من أملك، أغلقت باب منزلي جيداً وأخرجت سلاحي .. لن أسمح لأحد بانتهاك بيتي .. لن أسمح لأحد بنزع زوجتي وأبي وأولادي مني ..

الجنون في الشوارع، المؤن تكفينا لكن في الظلام عاث المجرمون بلا رقيب ينتهكون منازل من يقدرون عليه .. هرب رجال الأمن من عماليقنا الأسمنتية إلى منازلهم فاضطررت مع السكان لصنع بوابة حديدية ..

الأخبار تتوالى .. التلفاز يعرض مشاهد لا تصدق له وهو يشق ودياناً في الصحراء لمن آمنوا به .. يحول بؤسهم إلى سعادة فاتنة في لحظة .. ويحول أسعد الناس إلى كومة لحم مفروم أو محروق في لحظة إن هم رفضوا ألوهيته ..

هناك شيء يدق في رأسي، هذا المشهد أشعر بأنه مألوف جداً برغم أنه لا مثيل له في التاريخ .. لكن ما هو؟

مقدمو برامج التلفاز لا يفتؤون يستعرضون إنجازات الإله المتجسد وعدم جدوى رفضه، أنتم آمنتم بالقوة، فهو القوة مجسدة .. أنتم آمنتم بالعالم الفردوسي حيث لا مشاكل، فبيده يخلق لكم هذا الفردوس الأرضي .. أنتم آمنتم بالنجاح والبقاء للأصلح، وهو بمقدوره

إفناؤكم ليبقى وحيداً لكنه لا يفعل .. هو الأقوى .. هو الأصلح .. هو مالك الفردوس .. فكيف بكم لا تؤمنون به إلهاً؟

في وسط هذا بدأت زوجتي تتساءل:

- ما يمنع أن يكون هو الله؟

صرخت في غضب هادر:

- اخرسي!

تراجعت منكمشة في صمت فإذ بوالدي يوبخني:

- أجبها برفق ولين فهي ثائرة الأعصاب ..

استدرت إليه في ضيق:

- أنت يا أبي؟ أجيب عن ماذا؟ أيتجسد الله؟

- قرر النزول ..

- ألسنا مسلمين؟

- وهو قد قرر النزول وتغيير الخطة ..

- ألسنا مسلمين؟ ألا يخبرنا القرآن بالخطة مقدماً .. إن الله ليس بشرياً .. ولن يكون .. الله لا يتجسد في إنسان ..

- الحقيقة يا بني أني أتساءل!

- أبي!

هتفت مستنكراً فأجابت زوجتي:

- الكل يتساءل يا زوجي ولن يفيدك كتمان الأمر .. ما الذي يمنع أن يكون هذا هو الله؟

اعتمل الغضب بداخلي كثورة بركان، ماذا أجيب أعز الناس لدي؟ نظرت إلى الشاشة .. إلى مشهد لبعض قادة جيش الإله المزعوم وهم يستمعون له في اهتمام وخنوع .. على صدورهم شعار صغير ..

قمت واقتربت من الشاشة .. لطالما حيرني عدم وضوحه .. تركتهم يتساءلون ورحت أكبر حجم الصورة ..

نعم .. كنت مصيباً ..

هذه نجمة داوود ..

❁ ❁ ❁

نشرت الخبر لجيراني .. لكن لم يعد أحد يهتم كثيراً .. فوجئت أن البعض علم هذه المعلومة قبلاً ..

- اليهود يقاتلون معه .. صدقوني أنا أتذكر شيئاً كهذا قرأت عنه سابقاً ..

- دعنا من التاريخ الآن .. نحن في كارثة ..

- لابد أن نواجهه ..

- نواجه من يا أحمق؟ القوى العظمى تتساقط دفاعاتها أمامه والمجتمعات التي يتوجه إليها لا تصمد كثيراً ..

- علينا ألا نؤمن به ..

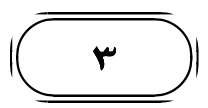
- ولن نفعل ..

نظرت لجاري القائل في قلق .. لقد قال الجملة الأخيرة بصوت منخفض وبغير اقتناع .. باقي الجيران تحاشوا نظراتي .. انتهى الاجتماع اليومي على لا شيء .. هذه المباني الكبرى لم تزدنا إلا فرقة وبعداً .. كلنا لا يريد التعرف على الآخر ولا يريد الاجتماع معه ولو للحظات ..

صعدت إلى منزلي .. فليذهب الحمقى الآخرون إلى الجحيم .. ما يهمني هو إيمان أغلى الموجودات ..

لم يفهم أحد مني تلميح كون اليهود هم جيشه .. أخبرني والدي أن الملايين يتبعونه الآن والأمر أكبر من اليهود ..

أريد التذكر لكن حاجزاً مرتفعاً يحول بيني وبين ذلك!



جاء اليوم المريع، أظلمت السماء وتخللها نور أحمر جهنمي، صوت تفجيرات بعيدة استمرت لدقائق .. في النهاية أعلن الخبر في التلفاز المقتنص بدعاة الغامض .. مدينتنا سقطت ..

الآن حان موعد الاختبار المألوف .. لابد أن يخضع الجميع له وإلا فالمختبئ سيتحول داره إلى عامود من النار .. لم أستطع تحمل

المخاطرة فخرجت بزوجتي وأبنائي وأبي .. أهل المدينة يتحركون في الشوارع بينما وجوههم شاحبة من الخوف .. الكل يحاول تحاشي النظر للآخر وبكاء الأطفال وعويلهم لا ينقطع .. المطلوب منا هو التجمع في أكبر الميادين .. نفس ما فعله في كل مكان سابق ..

لن أساوم على ديني .. لكن من يضمن لي زوجتي وأبي؟

في الطريق شعرت بالقلق يزداد حرارة في صدري من بعض الهمسات .. أحمق رفع رأسه ليؤكد بصوت مرتفع أنه لابد أن نسمع الرجل قبل أن نحكم عليه .. لن نصدر أحكاماً مسبقة! بالتأكيد يحاول الحصول على مكانة عند الرجل، تضايق منه الكثيرون ورفعت عقيرتي أنا الآخر هاتفاً أن الرجل يطلب منا أن نكفر بالله ونتبعه هو واليهود .. كيف نستمع له؟ نظرة مرتعدة لمعت في عيون الجميع حتى زوجتي .. البعض فضل الابتعاد عني وصاحب الصوت لم يتكلم عندما لم يجد تشجيعاً له .. ولا لي!

وصلنا للساحة الكبرى للمدينة .. مئات الآلاف لكن الميدان أصبح في اتساع قارة! لا أفهم هذا لكن أنى الفهم وكل شيء عجيب غريب لا مثيل له من قبل؟!

الرجل يجلس على عرش مقابل الحشود بينما جنده اليهود يحيطونه .. لكن أي يهود؟ اليوم لا يهودية ولا دين آخر غير دين

الرجل ومحاولات بعض المؤمنين لصده وإيقافه بلا جدوى ..

وقف الرجل يخطب فينا، كلامه ساحر مؤثر، قام بخلق جنة في الهواء ثم قام بتحويلها إلى نار، قام بخلق هيئة بشري ثم ذبحه ثم أحياه مرة أخرى! جنون وراء جنون .. واقع وراء واقع .. امتدت الأيدي تتلمس ما يصنعه من العدم .. ليس جنوناً وليس وهماً .. هذه الحقيقة بلا زيادة ولا نقصان .. الرجل يصنع كل ما آمن أتباع الديانات أن الإله وحده هو القادر عليه!

صرخة هائلة من وسط الحشود هتفت «إنه الدجال! إنه الدجال! ألا تبصرون؟ ألا تعقلون؟»

الدجال؟ لا أعرف الكثير عن هذه القصص القديمة ولا أظن أحداً من الواقفين يعرف عنها شيئاً إلا النذر اليسير! كنا جميعاً نتذكر بصورة ضبابية أقوال بعض الشيوخ لنا في الصغر عن أن هناك رجلاً اسمه الدجال واجب علينا الحذر منه .. لكن .. لحظة .. نعم! هذا الرجل بالفعل يحمل الصفات التي وعيتها قديماً جداً! الآن أتذكر تلك الصورة للمسخ المرسوم على كتاب (فتنة الدجال) الذي قرأته في طفولتي قبل أن تقوم الحكومات بحظره .. الرعدة تسري في أوصالي فما أتذكره عن الرجل مخيف!

هتف كهل معترضاً: تقصد المسيح الدجال؟ من أدراك أنه هو يا رجل؟

- إنه أعور .. ألا ترون ما بين حاجبيه؟ الكفر مكتوب بين حاجبيه! تماماً كما وصفه رسولنا في السنة.

نظرنا إلى الرجل .. نعم هو أعور .. هذا غريب!

بثقة حازمة وصوت صارم رد الرجل من فوق عرشه المرتفع في الهواء «بالكذب نطقت .. من أدراك أن الدجال أعور؟ من أدراك أن راوي السنة هذا كان صادقاً؟ من أدراك أن السنة كلها صحيحة؟ كتابها بشر يخطئون!»

- رواة أحاديث الدجال ثقات معروفون .. وهم موجودون في البخاري ومسلم ..

- قدستم البخاري ومسلماً؟ أليس من الوارد الخطأ والتدليس في أي شيء؟ فلنأخذ القرآن حكماً بيننا، وأخبرني، أين صفاته في قرآنكم يا مسلمون؟

وقعت في حيرة، لقد تم نقد السنة وتجاهل كتب الأحاديث منذ عهد بعيد، كان رأي مفكرينا أن القرآن هو الأصح وهو الجامع .. إن عدنا إليه وحده بالفعل فلماذا لا نصدق هذا الرجل؟

ارتفع الرجل فوق العرش إلى مسافة كافية في الهواء .. أفعال بهلوانية مخيفة وليست مضحكة .. قال بصوت خشن جهوري له تردد عجيب يهز النفوس «أنا ربكم منزل القرآن والإنجيل والتوراة .. أنا

الحي الذي لا أموت أنا الأول الآخر .. رأيتم معي المعجزات ورأيتم صفات الله في ورأيتم عجز أقوى البشر عن مواجهتي .. آمنوا بي أمنحكم جناتي اكفروا بي أعذبكم العذاب الأليم»

بحركة بطيئة فتح يديه وهو ينظر لنا من عل قائلاً بصوته المخيف «جنتي»!

وجدنا أنفسنا فجأة وسط أنهار وجداول .. طيور زرقاء وخضراء تشدو في جذل بين الأشجار ..

اهتزت النفوس انبهاراً .. كثيراً ما بث دعاته صوراً لمثل هذا الذي نراه لكن التواجد وسطه يجعل أشد العقول ثباتاً تصاب بلوثة المتعة ..

يتحسسون الأشجار، يطالعون منازل أنيقة منحوتة بداخلها .. هتف بعضهم أن المنزل الشجري من الداخل في اتساع مدينة! خدم وحسان .. طيور ونباتات زينة ذات ألوان وأشكال لم أر لها مثيلاً من قبل ..

وسط هذا الانبهار راح البعض يهتف مؤيداً للرجل بينما ضج البعض الآخر بكلام التشكيك تبعاً للشاب الهاتف بأن الرجل هو الدجال ..

«والآن .. جحيمي»!

ووووه .. زفير جهنمي ولهيب حارق، المتشككون خطفتهم آلات حادة قطعت جسدهم في لحظة، الدماء تفور من الأرض التي تحولت إلى

حمم .. صرخت زوجتي مع الجميع فأمسكت بيدها واحتضنتها مع طفليّ وأنا لا أعرف كيف النجاة .. أنا أحترق لكن لا أحترق .. أتعذب لكن لا أموت .. تحلق فوق رؤوسنا أطياف سوداء لها عيون زرق وفم أحمر تطلق صرخات حيوانية حادة تخرق طبول الآذان .. واحد منا ينصهر حياً فيصرخ بلا أمل ولا نجدة فكلنا نموت .. رائحة اللحم المشوي وطبقات عضلات وجهه الحمراء الملتهبة تذوب كاشفة عظامه .. كفى كفى .. أرجوك نجنا يا إلهي ..

«نعم أنجيكم»

توقف كل شيء بغتة .. عاد الجميع كما كانوا .. زوجتي ترتعش في أحضاني وأولادي يصرخون بلا انقطاع بينما والدي راكع على الأرض يخفي وجهه باكياً ..

الصمت يخيم على الجميع ..

الرجل في الهواء صامتاً .. ينظر إلينا من عل في صرامة ..

«إما جنتي .. أو جحيمي .. بي فآمنوا ولي فاسجدوا .. ولكم الخيار»

- الحق أحق أن يتبع .. رأينا المعجزات بأم أعيننا فكيف لا نتبع الحق؟ من يحيي ويميت غير الله؟

- لكن هناك من قال بأنه المسيح الدجال ..

- خرف لا أكثر! لقد حسمنا الأمر من قديم وفصلنا القرآن عن

أحاديث الماضي .. ما هذا المتعالم إلا متعصب لعلوم الأقدمين ينكر التقدم ..

- من أمامنا هو الله .. يمتلك التقدم ويمتلك المعجزات بينما نحن جهلة عاجزون .. فلنؤمن بما نراه .. فلنؤمن بما نلمسه ..

- العلم والواقع مع ربوبيته .. فلنترك الأحاديث جانباً ..

- وخطة الله للكون التي أنزلها في القرآن؟

- أليس الله على كل شيء قديراً؟ اعتبره غيَّرَها!

نقاش بدأ يخفت تدريجياً .. السجود بدأ متدرجاً بطيئاً .. لكن الكل يشجع بعضه ..

تفلتت مني زوجتي بأولادي .. هتفت فيها وعيناي تدمع أن لا تفعل .. «أولادي» قالتها بحسم وسجدت .. لم أقو على ردها بينما صوت والدي الساجد يطلب مني ألا أكثر العناد «آمن يا ولدي ولا تكن شاذاً وسط الجموع» ..

تأملت المشهد المهيب .. الكل ساجد ماعدا قلة لا تذكر .. الرجل يحلق مبتسماً في رضا وهو ينظر إلي منتظراً ..

«ما يمنعك أن تسجد لي؟ لا تكن كالشيطان الذي خلقته يوماً فتكبر»

نعم .. ماذا يمنعك سوى العناد؟ تجاهل قلبك النافر وحاول إسكاته

بتذكيره بالجنة الموعودة .. آمن بما تراه وما تلمسه .. آمن بعقلك وعقلك فقط .. تاريخك كله معجزات رواها آخرون ولم ترها .. معجزات لا ترقى إلى ربع ما يقدمه هذا الإله لك الآن ..

آمن بإلهك الجديد يا رجل ..

وكن من الساجدين ..



٨ ماي

Non, Rien de rien

Non, Je ne regrette rien

Ni le bien qu’on m’a fait

Ni le mal tout Ça m’est bien égal

❁ ❁ ❁

باريس تحتفل.. هتلر انتحر .. الاحتلال الألماني انتهى .. فيشي العميل إلى الجحيم ..

فرنسا حرة .. بلد الحرية والنور .. مهد الليبرالية لكل العالم عادت لانطلاقتها ..

هنا خرج مئات الآلاف من الجزائريين يحتفلون معنا .. كنا قد وعدناهم بأنه إذا انتهت الحرب لصالحنا فسنعطيهم الحرية .. بشرط أن يشترك آلاف الجزائريين معنا في حرب التحرير .. هكذا شاركوا بكل قوة .. ألف تحية لإنجلترا على هذه الخطة العبقرية التي طبقوها مع المصريين قبلاً في الحرب العالمية الأولى!

بعد انتهاء الحرب الأولى خرج المصريون يطالبون إنجلترا بتنفيذ وعدها بالجلاء! ياللحماقة!

ثم هاهم الجزائريون يخرجون بنفس المطلب .. مظاهرات سلمية تحتفل بالانتصار والجلاء كما وعدناهم!

نفس سذاجة المسلمين في كل مكان!

قام المصريون بثورة عنيفة يوماً قابلها الإنجليز المخنثون بقمع محدود ثم استسلموا في النهاية وقرروا تصفية ثورتهم بألاعيب سياسية طويلة الأمد ..

نعم نجحوا في النهاية ..

لكننا لسنا إنجليزاً يا حمقى!

لن نستخدم السياسة أيها الهمج!

ليكونن انتقامنا بشعاً يا ناكري الجميل ..

لقد تحررت فرنسا مرة أخرى ..

ولتدفعن الثمن على طمعكم ..

❁ ❁ ❁

«الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا»

الكشافة الإسلامية الجزائرية

❁ ❁ ❁

اسمي (سعال بوزيد) .. عمري ٢٢ عام .. واليوم أشعر بالفرح ..

نهضت لأصلي الفجر .. سطيف اليوم تستعد لأولى خطوات التحرير .. لقد وعدنا الفرنسيون بالرحيل إن هم انتصروا .. قررنا أن نصدقهم .. لقد فشلت عشرات المحاولات للثورة على هؤلاء بسبب أساليبهم المجنونة في القمع .. لقد تغلغلوا في نفوسنا .. غيروا لغتنا .. غيروا هويتنا .. إنهم يعتبروننا مقاطعة فرنسية ..

لكن الجزائري الحر لم يكن يؤمن بهذا .. كنا ننتظر الفرصة .. وقد اعتبرنا سقوط فرنسا أمام هتلر درساً لهم كي يذوقوا واحداً على مليون من الذل الذي أذاقوه لنا ..

إنهم دائماً وأبداً احتفلوا بأن أوروبا هي الحضارة .. والحضارة تعني (العقل) .. تعني (الشرف) ..

ماداموا كذلك فلابد أن عقلهم اعتبر مما حدث لهم .. لابد أن وعدهم لأمة كاملة هو ميثاق شرف لن يجرؤ أي منهم على اختراقه ..

الآن نحتفل بهزيمة النازية .. اليوم نحتفل بولادة الجزائر الحرة المسلمة ..

نعم يا جند فرنسا ومُنصّريها .. لم تغيروا هويتنا برغم مرور عشرات السنوات .. جعلتم في علم ولايتي الصليب لكن لم تنجحوا في زراعته بداخل قلوبنا ..

انتهيت من صلاة الفجر وخرجت مبتسماً بعدما قبلت والدتي .. لقد

عملت قبلاً في خدمة الفرنسيين الأوغاد الذين اعتبروا أنفسهم أسيادنا .. اضطررت يوماً أنا الآخر أن أعمل عندهم .. لكن هذا الزمن قد انتهى إلى الأبد ..



في طريقي إلى المسيرة الكبرى التي نظمها أهل سطيف .. الجزائر كلها خرجت اليوم ترفع رايات التحرير .. من حظي أنني الوحيد في المسيرة الذي حمل راية الجزائر الحرة .. حذرني بعض رفاقي في المسيرة من خطورة استفزاز القوات الفرنسية إن لوحت بهذا العلم ..

لكني لم أبالِ ..

الآن نتنسم الحرية ..

وصلت المسيرة الكبيرة إلى نقطة تمركز قوات فرنسية ..

الأناشيد تهز السماء .. حرية حرية ..

ينظرون لنا في اشمئزاز .. تقدم قائد فرنسي إلينا وطالبني بإنزال راية الجزائر الحرة ..

لا والله .. لقد تعلمنا في الكشافة الإسلامية أن لا ننكس راية جزائر الإسلام العربية ..

هكذا علمني قائدي (محمد بوراس) الذي أعدمتموه غيلة في أول الحرب ..

رفضت طلبه .. تحفزت الجماهير .. تحفز الجنود من الجهة الأخرى ..

صوت بومة تنعق في السماء .. الصمت للحظة واحدة ساد سطيف كلها ..

رفع الفرنسي سلاحه وبلا تفاهم أطلقه في صدري ..

❁ ❁ ❁

بين زغاريد النساء ودموعها كانت روحي تراقب المشهد المؤلم ..

لقد انطلقت الرصاصات الفرنسية تفرق الجميع بكل همجية ..

فرنسا الليبرالية .. فرنسا النور والتنوير .. فرنسا الحضارة .. فرنسا الشرف ..

حاولت النزول مرة أخرى لكن نظرة إلى أعلى جعلتني أعدل عن رأيي ..

اصمدوا يا أهلي ..

ووداعاً ..

فقط تذكروا اسمي ...

(سعال بوزيد)



Avec mes souvenire

J’ai allumé le feu

❁ ❁ ❁

تريدون الحرية يا مسلمي الجزائر؟

خذوا حرية!

سنحرر أرواحكم نفسها من أجسادكم!

مثير للسخرية أنه بعد قرابة مائة عام من الاحتلال لم تفهمونا بعد!

إننا أهل الفلسفة والفكر ..

وأهل الفلسفة لديهم مفاهيم كثيرة للحرية قد لا تفهمونها أنتم بعقولكم القاصرة المسلمة!

انظر مثلاً لهذا العجوز وأولاده .. يسكنون في الصحراء ومع ذلك لم يردع هذا ابنه الأكبر عن المشاركة في التظاهرات بداخل المدينة!

لقد قررنا تحرير هذا العجوز وأولاده!

سنحررهم من هذه العيشة المقرفة! من هذا الذي يعيش في الصحراء بتلك الصورة البدائية يا رجل؟ فلتتحرر ..

هكذا أوقفناه وأولاده وبناته ثم أطلقنا النار على الجميع!

كنا نضحك في هيستريا .. في الظروف العادية كان جنودنا يأخذون النساء لمزيد من المرح فيما بعد .. لكن الأوامر جاءت هذه المرة صارمة: استخدموا خيالكم الحر ولا تبقوا أحياء قدر الإمكان!

هكذا قتلنا الجميع ثم أشعلنا النار في خيمتهم ..

تؤمنون أن هناك إلهاً قادراً وجنة؟ تؤمنون أن الحرية في الشهادة؟ إذن فخذوا المزيد منها عن طريق أسيادكم الفرنسيين!

أليست هذه حرية؟

آه يا ناكري الجميل .. بعد سنوات ستغني إديت بياف بصوتها الباكي أغنية توضح أننا لسنا نادمين عن ماضينا في التنوير برغم نكران الجميل ..

لها كل الحق طبعاً .. بعد كل هذه السنوات من التنوير ترتدي نساؤكم تلك الخيمة المسماة بالحجاب؟

تستحقون القتل طبعاً!



الكثير من النساء المحجبات وقعن في الأسر بعدما قتل أزواجهن على أيدي جنود فرنسا الحرة ..

ماذا نفعل بهن؟ تذكر الأوامر ..

أخرج روح الفرنسي الأوروبي الحر بداخلك ..

هكذا أمرت جنودي بتحميل سيارتي نقل عسكري بهن .. غريب أنهن أصررن على عدم رفع حجابهن حتى لو قتلن!

تحركت السيارات وسط الجبال .. نظرت للهاوية بجانبي فوجدت أخدوداً واسعاً عميقاً ..

أمرت السيارات بالتوقف ..

نزلت وأشرت لسيارات النقل التي تحمل النساء بالتحرك كي تجعل خلفيتها المفتوحة تطل مباشرة على الأخدود ..

بصوت عال أمرت النساء بالقفز!

يا لأشكالهم القبيحة بهذا الحجاب الأبيض .. يظنون أنهم يبدون كالملائكة .. إذن فلنجعلهم ملائكة موت!

ظلت النساء واقفات بلا حركة وإن علا نشيج بعضهن .. هناك أربعة أطفال رضع .. حاولت إحداهن الاستغاثة فأثارني هذا بصورة أشد ..

«افتحوا النار»

هكذا أمرت جنودي بعصبية فانطلقت الرصاصات كالمطر .. تعمد جنودي أن تكون الرصاصات للتخويف فقط .. لا يريدون قتلهن بالرصاص وتفويت المشهد الممتع القادم!

هكذا راحت النساء تقفز من السيارات إلى الأخدود العميق .. الوقوف معناه الموت المؤكد والقفز معناه ....

لا أدري ما معناه! لكن من قال أن هؤلاء المسلمات يفكرن أساساً!

قفزت آخر امرأة مع طفلها وصرخاتها تدوي بين الجبال فأمرت الجنود بالصعود للسيارات ..

أمامنا عمل شاق ..

تحركت نحو حافة الأخدود ونظرت إلى الهوة السحيقة بين الجبلين .. عشرات منهن في الأعماق وقد تلوث رداؤهن باللون الأحمر ..

لكن الأخدود لم يكن مزدحماً بجثثهن فقط ..

كانت هناك عشرات الجثث الأخرى المتحللة لكل من قررت إعدامهم بهذه الطريقة!

إن فرنسا أمرت كل قائد وجندي أن يستخدم مخيلته في القتل الجماعي .. والحقيقة أنني وجدت هذا هو الأسلوب المفضل بالنسبة لي ..

ليس كالذبح مثلما يفعل البعض وليس كالدفن حياً مثلما انتهج البعض الآخر ..

يبدو أسلوبي أكثر مرحاً بكثير ..

بل هو بالتأكيد أكثر رقة من الحرق الجماعي الذي يؤمن به بعض الجنرالات الفرنسيين كوسيلة لقمع الجزائريين ..

مهلاً!

هناك شيء يتحرك بالأسفل ..

طفل عمره عامان نجا من السقطة ويتحرك؟!

لابد أن أمه استخدمت جسدها كدرع لتحميه أثر السقطة أو أي شيء!

يا للحمقاء ..

ضحكت ساخراً من هاته المغفلات المسلمات .. إن الطفل جالس بجوار أمه ليبكي .. لابد أنه يطلب منها أن تصحو لتنجده من المشهد البشع لعشرات الجثث المحيطة به ... دعك من أوضاعهن الغريبة تشريحياً .. لابد أنه سينهض ليلاً ليجد الجثث المتحللة والمتعفنة .. ياله من مشهد!

لا أحب أن أرى هذا المشهد أكثر من هذا .. قلبي ليس بهذه القسوة ..

استدرت وأمرت الجنود بالتحرك .. يوماً ما سيكتبون عن هذه الأفعال والمذابح .. أنا واثق من هذا ..

لكني واثق كذلك أن أغلب البشر لن يصدق أبداً أننا قد صنعنا هذا الهول!



Balayés pour toujours

Je repars Á zero

❁ ❁ ❁

وسط دوي مدافع البحرية الفرنسية التي قررت إبادة أهل إحدى المدن الساحلية بمساعدة الطيران الذي يقصف من الجو بلا هوادة ..

كنا قد أكملنا عاماً كاملاً ..

عام كامل من الابادة ..

الجبال والصحاري امتلأت بالدماء ..

فرنسا أقامت احتفالاً تاريخياً جباراً بنهاية الحرب العالمية الثانية ..

قتل الفرنسيون حوالي خمسين ألفاً من أهلنا الجزائريين المسالمين الذين تجرؤوا وطالبوا بحريتهم كما تحررت أوروبا ..

عقاب فرنسا شديد همجي كالمعتاد .. لا تفهم السياسة والمكائد ولا تحبها كجيرانها الإنجليز .. تؤمن بأن باقي البشر وخاصة المسلمين هم مجرد حيوانات بدائية متوحشة ..

هكذا انتهى عام ٤٦ وقد وعينا الدرس ..

لا رحيل لمحتل دون تضحية لا تتوقف ..

والآن ..

أقسم بربي يا فرنسا أنك سترحلين ..

لا تفاوض بعد اليوم يا فرنسا ..

وإنما جهاد ..

نصر ..

أو شهادة ..



نحن جند في سبيل الحق ثرنا

وإلى استقلالنا بالحرب قمنا

لم يكن يصغى لنا لما نطقنا

فاتخذنا رنة البارود وزنا

وعزفنا نغمة الرشاش لحنا

وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر

فـــاشـــهـــدوا ...

فـــاشـــهـــدوا ...

فـــاشـــهـــدوا ...

❁ ❁ ❁

يا فرنسا قد مضى وقت العتاب

وطويناه كما يطوى الكتاب

يا فرنسا إن ذا يوم الحساب

فاستعدي وخذي منا الجواب

إن في ثورتنا فصل الخطاب

وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر

فــــاشــــــهـــــدوا . . .

فــــاشــــــهـــــدوا . . .

فــــاشــــــهـــــدوا . . .



في مركز الكون

كانوا يدورون أمامي .. بينما المنشد يشدو بصوت عذب بلا توقف ..
رائحة البخور العطرة .. الجو البارد المنعش ..

لم أستطع منع نفسي .. انضممت إليهم وبدأت أدور حول نفسي .. أدور .. أدور وأدور .. غبت عن الدنيا كما نعرفها .. فقد جسدي الوجود والتماسك .. روحي اندمجت بذرات الكرة الأرضية .. أدور معها بلا توقف وسط الكون الهائل اللانهائي..

ومن أبعد مسافة من الفضاء ..

من الأبدية الغامضة ..

جاء الصوت العذب الشجي:

مولاي صل وسلم دائماً أبداً

على حبيبك خير الخلق كلهم

محمد سيد الكونين والثقلين

والفريقين من عرب ومن عجم

مولاي صل وسلم دائماً أبداً

على حبيبك خير الخلق كلهم

❁ ❁ ❁

أين أنت يا رسول الله؟

هل نحبك حقاً؟

إنهم يسبونك يا رسول الله .. يهزؤون بشريعتك .. يهزؤون بسمتك وفعالك وسمت زوجاتك .. إنني على قيد الحياة لا زلت يا رسول الله .. سمعت كل هذا ولم أمت كمداً .. إنني ميت يا رسول الله فأين أنت؟ هل تحبني يا رسول الله؟ إنني لا أموت فألقاك .. لا أعرف كيف أواجهك يوم القيامة .. هل أنت غاضب مني يا رسول الله؟ لا لم أمت عندما سخروا من دينك .. لا لم أمت عندما احتقروا شريعتك .. لا لم أمت عندما سبوا زوجاتك .. لا لم أمت عندما افتروا على صحابتك .. لا لم أمت عندما رأيت منا من يطلب الحوار مع كل السابقين .. لم أمت يا رسول الله وليتني فعلت ..

إنني أدور يا رسول الله .. إنني ثور يدور في الدنيا بلا توقف .. أخاف التوقف والتفكير يا رسول الله .. أخاف التأمل حتى لا أموت ..

يا حبيب الله .. يا رسول الله .. تأمل ورطتي في هذه الدنيا .. سامحني يوم لقياك يا خير الخلق .. سامحني عندما أتشكك في حبي

لك .. كيف أصدق حبي لك وأنا على قيد الحياة في مجتمع يأنف أبو جهل من العيش وسطه؟

كيف أصدق حبي لك والمسلمون من عرب وعجم يذوقون الهوان والذل وأنا في مكاني لا أفعل شيئاً سوى البحث عن رزق حياتي؟ أبناؤك يا رسول الله يُذبحون وأنا مشغول عنهم .. مربوط بحدود وهمية رسمها بيننا أعدى أعدائك .. لن أنقذ أبناءك يا رسول الله لأنهم ليسوا من جنسيتي التي أعطاني إياها فرنسي وإنجليزي! هكذا أنا كاذب في صدق محبتي لك يا رسول الله .. سامحني يا رسول الله ..

أحاول إنقاذ روحي في مدينتك يا رسول الله .. فلا أرى فيها سوى بلاط فاخر وأضواء مبهرة ومحلات متعددة .. أنت لست معنا يا رسول الله .. حتى في مدينتك غبت عنا يا حبيبي .. فسامحني يوم ألقاك ..

❁ ❁ ❁

أدور أدور .. أنا مركز الكون ..

والصوت الشادي لا يتوقف أبداً:

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته

لكل هول من الأهوال مقتحم

مولاي صل وسلم دائماً أبداً

على حبيبك خير الخلق كلهم

❀ ❀ ❀

أرجو شفاعتك؟

لا .. لا أظنك سترضى ..

أتدري يا رسول الله .. إنني أعيش في بلد فيه عجائز ينامون في البرد تحت المطر .. ومع ذلك أنام قرير العين ..

لا أرق لهم ولا أشفع يا رسول الله فكيف أستحق شفاعتك؟

أتدري يا رسول الله .. إنني أعيش في بلد فيه أطفال لا يجدون قوت يومهم يدورون في الشوارع يومياً يشحذون مني ولو لقمة فأكتفي بأن أعطيهم مبلغاً ضئيلاً وأرحل إلى وجهتي .. أعرف أنهم سيموتون أو سيكونون مجرمين .. أعرف أنهم لا يملكون ديناً لأنهم لا يملكون مكاناً ينامون فيه أصلاً سوى مقالب القمامة ..

ومع ذلك لا أرق لهم ولا أشفع يا رسول الله فكيف أستحق شفاعتك؟

لماذا أستحقها يا رسول الله إن كنت بهذه القسوة مع إخواني وأبنائك من المسلمين؟

أخاف لقياك يا رسول الله .. هذه هي الحقيقة ..

❀ ❀ ❀

أدور بلا توقف .. لا أشعر بالرغبة في العودة إلى جسدي .. إنني كوكب يسبح في الفضاء .. لماذا أتوقف؟

النشيد هو الآخر لا يتوقف:

ثم الرضا عن أبي بكر وعن عمرٍ

وعن علي وعن عثمان ذي الكرم

مولاي صل وسلم دائماً أبداً

على حبيبك خير الخلق كلهم

❀ ❀ ❀

دائماً ما أتصورك يا سيدي أبا بكر في صورة الجد الأشيب العجوز الطيب، ذلك الرجل الهادئ الصديق الذي عرف الحق مبكراً فوقف بجواره حتى في أشد لحظات الفتنة ..

ما قولك يا جدي ويا حبيبي في حفيدك الذي يضع يده في يد من يسبك؟ ما قولك يا جدي ويا حبيبي في حفيدك الذي لا يعرف عنك أكثر من اسمك؟ ما قولك يا جدي ويا حبيبي في حفيدك التائه الذي يضطرب ويتحرك صوب الإلحاد لمجرد فتنة بسيطة يتعرض لها؟ أنت الصديق الثابت كالطود جاء من نسلك أحفاد بهذه الهشاشة ..

هل تُصدق ضعفنا الحالي يا جدي؟ هل تُصدق قلة إيماننا هذه

يا حبيبي؟ ألا ترغب في أن تعاقبنا يا سيدي .. تعال يا جدي وعلمنا الإيمان والثبات ..

ألم تدرِ ما أحدثنا بعدك يا سيدي عمر؟ لك الحق أن تنظر لي في ضيق .. أكاد أشعر بالألم من درتك .. أعلم أنه لولا غيابك عنا لأقمت فينا الحدود بلا رحمة .. نستحقها يا فاروق بين الحق والباطل .. تعال يا فاروق علمنا كيف نعرف الحق من الباطل .. علم أحفادك الذين أصبحوا لا يعرفون الحق من الباطل .. أصبحوا لا يدركون الرايات فينضم بعضهم تحت لواء معاد لشرع نبينا وحبيبنا .. أصبحوا ينكرون الفرق بين المسلمين وغيرهم أيها (الفاروق)! أنقذنا بدرتك فنحن نستحقها .. أنقذنا بدرتك فما شردنا إلا غيابها ..

عثمان .. سيدي وحبيبي .. تعال علمنا الحياء فقد نسيناه، لقد استحيا منك رسول الله يوماً يا حبيبي وجدي .. فتعال وشاهد معي اليوم أحفادك لا يستحيون من ارتداء ما يكشف عوراتهم .. إنهم ذكور يا جدي فلا تندهش .. يقومون بإسقاط بنطالهم كمسايرة لمفاهيم الجيل .. نعم يا جدي هم ذكور .. لن أحكي لك على النساء يا جدي الحيي .. لو رأيتهن لتبرأت مني ومنهم إلى الأبد .. لم يغب الحياء يا جدي وسيدي .. بل مات .. تعال يا جدي وتحملنا أرجوك .. تحملنا وعلمنا ما هو الحياء ..

يا سيدي علي .. أيها الحكيم .. أنقذنا يا علي ممن يدعون أن الحكمة هي في السجود لغير الله .. تعال أيها الحكيم لتعلمهم أن السجود لغير الله مذلة .. علمهم الحكمة يا إمامنا فقد تعبنا من حكمتهم التي يدعونها .. علمهم يا منبع التمسك بالحق وبالكلمة وسط الأخطار والأهوال .. يا من خضت بحر الفتنة شاهراً سيفك لا تبالي سوى بالحق وحده .. علمهم

أن الحكيم كثيراً ما يكون شاهراً سيفه وليس العكس ..

نحتاجكم يا صحابة رسول الله .. نحتاجك يا سيدي أبا بكر ويا سيدي عمر ويا سيدي علياً ويا سيدي عُثمان ..

أنجدونا ..



شارفت الأرض على التوقف .. إنها النهاية تقترب .. هل يجيء الموت بعد التوقف؟ هل سيكون بمقدوري إن توقفت أن أراك يا رسول الله؟ هل سيكون بمقدوري أن أراكم يا أسيادنا الخلفاء الراشدين؟ هل ستحبونني كما أحبكم؟ هل ستعرفونني كما أعرفكم؟

قبل التوقف تماماً كانت رائحة البخور تغيب بينما الصوت يشدو مبتعداً:

يا رب بالمصطفى بلغ مقاصدنا

واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم

مولاي صل وسلم دائماً أبداً

على حبيبك خير الخلق كلهم

مولاي صل وسلم دائماً أبداً

على حبيبك خير الخلق كلهم



آخر الطابور

اليوم انتخابات ..

نزل الملايين بفرحة وسعادة ..

الجميع عقدوا النية على إنجاح التيار الإسلامي في البرلمان هذه المرة ..

سيكسرون أسطورة أصنام أعداء الإسلاميين ..

في هذا البرلمان سيكتب الجميع نهاية حكايتهم في هذا البلد ..

واليوم .. بالصناديق المؤدية للبرلمان .. ستكون نهاية البداية ..

وقف (منسي) في الطابور المؤدي للجنة الاقتراع ..

كانت على وجهه ابتسامة حالمة .. التيار الحبيب قادم .. الإسلاميون قادمون .. في سبيل الله نمضي .. رددي يا جبال رددي يا سهول ..

ساعات يا أوغاد والإسلاميون يجتاحون كالموج المتدفق بلا نهاية ..

الإسلام قادم ..



اقترب منه شاب ملتح، على وجهه ابتسامة مرحبة أنيقة، بدأه بالسلام فرد عليه ببشر وسعادة ..

- من ستنتخب يا أخي؟

- لم أُحدد بعد.. سأنتخب التيار الإسلامي عامة ..

- إذن فعليك بحزب (الشعلة) .. هو الحزب الوحيد الثائر الذي صمد أمام الطواغيت حين باع الجميع القضية ..

- لكن ..

قاطعهما شاب ملتح آخر كان واقفاً بالقرب منهما، قائلاً لمندوب (الشعلة) في ضيق:

- لا تتاجر بثوريتك .. إن كنت تعتبر حزبك ضد الطواغيت فلماذا نزلت معنا العمل السياسي؟

في عصبية رد عليه الشاب الأول:

- نزلت لأغير الواقع المرير الذي أفسدتموه ..

- لولانا ولولا عقلاؤنا في حزب (المصابيح) ما كان لك أن تعيش هذا الواقع ..

- بل لولا ثوريتنا التي أوقفت الطواغيت لكان حالكم الآن في المعتقلات ..

اقترب شاب ثالث غير ملتح على صدره شعار حزب (الحضارة) قائلاً:

- نحن من كنا في الثورة منذ البداية .. نحن كنا قبل أن توجدوا أصلاً ..

رد عليه مندوب حزب (الشعلة) :

- لكنكم بعتمونا من أجل الطواغيت ..

تكهرب الموقف .. رد مندوب حزب (المصابيح):

- بل أنتم من عقولكم تأبى احترام الاختلاف في الرؤية .. نحن لم نبع أحداً .. أنتم بتهوركم كنتم ستضيعوننا جميعاً ..

في حزم قال مندوب حزب (الحضارة):

- هذا صحيح .. إننا نقبل الجميع ونحتضن الجميع لكنكم تدفعوننا لمعارك ليس وقتها الآن ..

هتف مندوب (الشعلة) في غيظ:

- دائماً ليس وقتها .. منذ قديم ونحن نتلقى الصفعات المتتالية ولا يوقفها نجاح وراء نجاح كما تدعون .. بل كلما زادت النجاحات الزائفة ازداد الأذى واشتد ..

في صوت واحد قال مندوبا حزب (الحضارة) و(المصابيح):

- الغد أفضل لا محالة .. الصبر أيها المتهور ..

- لا صبر ..

- ما دمت لا تعرف الصبر .. لماذا نزلت الانتخابات؟ لماذا لم تُكملها

ثورة حتى النهاية؟ إن نزولك معناه قبولك بالصبر من أجل التغيير واعتراف منك بعدم جدوى إكمال الأمر ثورة دائمة ..

- أنتم من دفعتمونا لهذا ..

- لا تتحجج بنا .. إن تاريخك معنا ما هو إلا رفض لكلامنا في التهدئة .. قلنا لابد من التهدئة حتى جعلها إسلامية بالكامل ..

هنا تدخلت فتاة عارية الشعر هاتفة في انتصار:

- ها أنتم يا حمقى تعترفون أمام الجميع أنكم تريدونها إسلامية وأن الغد سيحمل المزيد من هيمنتكم ..

بسرعة تراجع مندوب حزب (الحضارة) هاتفاً:

- إن قيمنا الإسلامية لا تعني الصدام معكم .. إننا وسطيون ولسنا مثل حزب (المصابيح) المتشدد ..

هتف مندوب حزب (المصابيح) في غيظ:

- تباً لك أيها المتساهل .. أتخوننا عند أقرب فرصة؟

في غيظ أشد رد مندوب (الحضارة):

- أي تساهل يا رجل وحياتي كلها ضاعت من أجل ديني؟ أي خيانة يا رجل وقد رأيتك تحادث العسكري الذي يؤمن اللجنة من أجل تسهيل دخولك إليها متى شئت!

- أتُنكر عليّ ما فعلته بينما رأيتك بالأمس مع هذا العسكري تتناولان العشاء؟

هنا هتف مندوب حزب (الشعلة):

- ها أنتما تعترفان بأنكما أصدقاء العسكري ..

- ألهذا تتهمنا بمجاورة الطواغيت؟ الأيام قادمة يا عزيزي وسنعرف قريباً من الذي سيتنازل بلا توقف!

هتفت الفتاة في الواقفين:

- أنقذوا بلدنا من هؤلاء .. الإسلام يعني العودة لعصور التخلف .. أنقذونا من التعصب والجهل ..

بابتسامة سريعة قال مندوب الحضارة:

- أقسم لك أننا نؤمن بوسطية الإسلام .. إن الشريعة عندنا متسعة وسطية حتى إن الحدود التي تخيفكم قابلة للحوار والتوافق ..

هنا ظهر مندوب حزب (الشمس) فجأة ليهتف بعصبية بالغة:

- لا توافق ولا وسطية .. أنتم أبعد الناس عن الوسطية ..

ثم اقترب مندوب (الشمس) من الفتاة ليمسك يدها قائلاً:

- حزب (الشمس) هو الوحيد الباحث عن توافق حقيقي .. إننا أهل الوسطية ولا نقبل أي متشدد من أي تيار .. عندنا الشيوعي والقومي والإسلامي يعيشون معاً في سلام ..

ظهر شاب من حزب آخر ونزع يده من الفتاة هاتفاً:

- بل مرجعيتكم في النهاية شبيهة بمرجعية هؤلاء .. إننا أهل الوسط الحقيقي .. أن تاريخنا كله هو التوافق بلا فرض لمرجعية معينة ..

أمسك مندوب (الحضارة) بيد الفتاة ليواجههم هاتفاً في غضب:

- كنتم منا وتركتمونا .. كُفوا عن هذه الألاعيب الصبيانية فما تعلمتم الوسطية إلا منا!

كشر مندوب (المصابيح) عن أنيابه هاتفاً:

- أترغبون حقاً في التنافس على لقب أنتم أبعد الناس عنه؟ إننا أهل الوسطية الحقة ..

وسط بين المفرطين ..

واستدار بسرعة هاتفاً وهو يشير إلى رجل ملتح جالس على الناحية الأخرى من الرصيف:

- وبين المتطرفين ..

ابتسم الملتحي الجالس في سخرية وأخرج من جيبه مسدساً كبيراً قام بتنظيفه متجاهلاً المعركة الدائرة ..

شعر (منسي) بالضيق الشديد من الجدال الدائر ..

- أنا وسطي ..

- بل أنا الوسطي ..
- معنا التوافق ..
- أثبت التاريخ أن التوافق مرتبط بنا ..
- أنا ثوري ..
- أنا حكيم ..
- معي مشاريع بناء المستقبل..
- لا بناء دون هدم الباطل .. معي مشاريع هدم الباطل ..
- أي هدم للباطل وقد تحالفتم مع أهله سابقاً؟
- أنت متهور ..
- أنت عميل ..
- هذا لا يعمل إلا لمصلحته ..
- أنتم متطرفون .. نحن الوسطيون ..
- كلكم متطرفون .. (هُبل) هو الحل ..
- الإسلام هو الحل ..
- إنه شعارنا التاريخي ..
- وتركتموه لنستعمله نحن ..
- هل تمزح؟

- لا أمزح .. مع شيخنا وملهمنا سنعمل على تطبيقه ..

- بل مع جماعتنا بدأ التطبيق فعلياً ..

- والله لا إسلام بلا دعوة .. بالدعوة ينجح التطبيق ..

- لا تطبيق لمفاهيمكم .. الإسلام أصلاً مُطبق .. لو كنتم وسطيين لفهمتم هذه الحقيقة البديهية منذ زمن!

- دعوكم من كل هذا الغثاء .. (هُبل) هو الحل ولا حل سواه ..

خرج منسي من الطابور المُصاب بالارتباك، تحرك نحو الجالس يُنظف مسدسه .. شعر بأنه مُختلف .. قابله الرجل بوجه جامد ..

- لماذا لا تُشاركنا عُرس الديموقراطية هذا؟ ألا ترغب في عودة الإسلام؟

أشار الرجل بسبابته إلى الجمع المُشتبك في الناحية الأخرى قائلاً في سخرية:

- وهل سيعود الإسلام بهذه المعركة أمام الطابور الحائر؟

- وكيف سيعود؟

رفع مسدسه قائلاً في صرامة:

- بهذا فقط سيعود ..

- لكن ضد من ستستخدمه؟

- لن أستخدمه ..

- لكن مادمت لن تستخدمه .. ماذا ستفعل الآن؟

- أُراقب وأسخر من هذه المسرحية السخيفة ..

- تُراقب؟ ألن تعمل أنت الآخر؟

أشار الملتحي إلى عسكري تأمين اللجنة قائلاً في اشمئزاز:

- هذا يمنعني من العمل .. يُخبرني أنه مادمت لا أملك حزباً ديموقراطياً ممنوع علي التحدث لمن في الطابور ..

- والحل؟

- الصبر ..

- أي صبر؟ الكل يعمل بمجهود رهيب وأنت جالس للسخرية!

- يعملون للسراب ..

- وهل من وراء جلستك هذه إلا السراب؟

- لن أستخدم سلاحي ..

- وأنا أرفض أن تستخدمه ..

- إذن لن أعمل!

- لا عمل دون سلاح؟

- لا عمل دون سلاح.

- والحل؟

- القيامة قريبة .. الدجال قادم والملاحم إرهاصاتها تملأ الأجواء ..

- أتنتظر القيامة؟

- في الملاحم يبدأ العمل!

- أتتفرغ للسخرية من العاملين والرثاء على الطابور؟

-ليس أمامي غير ذلك .. وإلا الرحيل من هذا الرصيف ..

- وما مشروعك؟ ما هو البديل الذي تقدمه؟

- بالسلاح أهدم .. وبالسلاح أبني ..

- لكن .. أين مشروعك؟ أين البديل؟

- بالسلاح أهدم .. وبالسلاح أبني ..

اقترب من الجالس رجل آخر يرتدي السواد هتف فيه غاضباً:

- أنت أحمق! أيها الجالس أفق! بالسلاح اقتل العسكري والدجالين!

- لا أقدر .. لقد وجدته يقرأ في المصحف منذ قليل .. والواقفون حمقى لكن أبرياء ..

- لا أحد بريء .. لا أحد بريء ..

تركهما (منسي) ورجع مبلبل الفِكر .. كان الجدال لازال مُستمراً بين الجميع .. الطابور بدأ بالاشتباك مع بعضه البعض .. كل شخص يسأل الآخر عن الحزب الذي اختاره .. وما إن يجده حزباً مُخالفاً حتى يشتبك معه في معركة لفظية .. وجد (منسي) الطريق مفتوحاً

للجنة الانتخاب .. تحرك وسط التراشق ليجد العسكري يقوم بعد عملات ذهبية وعلى وجهه ابتسامة ساخرة لا مبالية متجاهلاً المعركة الساخنة ..

دخل (منسي) إلى اللجنة فوجدها مزدحمة بالأجانب!

ارتفع حاجباه في دهشة، قال له رئيس اللجنة بلكنة غربية واضحة:

- ضع صوتك في الصندوق للحزب الذي ترغبه!

شعر (منسي) بالغرابة والذعر يتسرب بداخله، صرخ ملتاعاً:

- أين أنا؟ من أنتم؟ أريد إعادة الإسلام ..

نهض رئيس اللجنة قائلاً وعلى وجهه ابتسامة فيها مكر وسخرية:

- جميل .. ضع صوتك للحزب الإسلامي الذي تريده ..

وسنعيد إلى بلدك الإسلام!



ماهي

(ماهي) هي أجمل من في الكلية .. هذا متفق عليه بلا جدال ..

بل هي أجمل من في جامعة القاهرة كلها .. عشرات الآلاف من الفتيات موجودات لكنها أجملهن جميعاً ..

وإن كنت لا تثق برأي ريفي بسيط مثلي فلتثق برأي أساطين الجامعة من الشباب (الثري) و(الوسيم) الشبيه بممثلي السينما .. كلهم يؤمنون بهذا دون جدال أو شك .. كلهم يحاولون معها بلا أمل .. هناك جمال معين يتحول إلى رمز يرفض الخصخصة .. ويحافظ الجميع باتفاق سري غير شفهي أن تظل بلا خصخصة!

شقراء بيضاء ذات أعين عسلية .. هناك آلاف الفتيات مثلها في العالم لكن حتى أكثر الشباب سفراً وترحالاً يقسم أنه لم ير مثلها .. ملامحها غير طبيعية فعلاً .. ثرية من أسرة معروفة جداً .. مازال اللغز الأكبر لدينا هو كيف سمح أهلها بأن تجيء لتختلط بنا نحن طلبة (التعليم المجاني) وعندها الجامعات اللائقة بمستواها الاجتماعي .. والجمالي!

اتفقنا على جمالها الخلاب غير الطبيعي؟ اتفقنا على ثرائها؟

أنا (خالد منصور سعيد بيومي) .. شاب من أرياف الشرقية .. من

قرية تعتبر السكنى في مدينة (الزقازيق) رفاهية كبرى .. متدين بشدة لي توجه معين أفخر بالانتماء إليه .. لحيتي غير المهندمة وبشرتي المشققة ولهجتي الريفية القوية يمنعون سهولة اختلاطي مع الجميع منذ أتيت إلى القاهرة للدراسة .. حياتي غالباً من المدينة الجامعية إلى المحاضرات والعكس .. في غرفتي بالمدينة شابان لهم نفس توجهي وشاب ثالث (شبه منحرف)!

اسمي غير مميز كما ترون .. وجهي غير مميز .. ثقافتي عادية مقتصرة على بعض الكتب الدينية البسيطة .. مستواي العلمي متوسط أو أقل من المتوسط .. حالتي المادية بالنسبة لقريتي معقولة وبالنسبة لهذه المدينة في أدنى الدرجات!

هذا أنا وهذه ماهي ..

أظن أنه لم يعد صعباً عليكم فهم الفكرة التي أكتب من أجلها: أنا أحب ماهي ..

بل الحقيقة .. أنا أعشقها .. لا أستطيع النوم منذ رأيتها .. ولا أتصورها مع أحد غيري!



وماذا بعد؟ إن كنت تنتظر مني قصة عن محاولاتي للتعرف عليها أو عذابي كل ليلة فسأخيب أملك ..

الأمر أبسط من هذا .. لن أحاول التعرف على فتاة حتى لو رضت بي ووقعت أسيرة في هواي وأتى والدها يعرض علي نصف ممتلكاته والتعيين ملكاً لجزر القمر مقابل الزواج بها، فرقبتي ستطير فور معرفة أهلي بالخبر ورؤية والدي لرأسها الأشقر غير المتوج بحجاب ملكات العفة ..

وكذلك برغم أن قلبي يشعر بانقباضة تعصره عندما أتذكرها، إلا أن الحياة أبسط من الأفلام والروايات وأقل عذاباً مما تبدو فيهما .. الأمر حقيقة لا يستأهل الحكي لأنه لا عذاب مروع هنا ..

سأحكي لك عن محاولتي التخلص من حب فتاة لم تعرفني يوماً ولن تعرفني أبداً! ومع ذلك تُعذبني!



نظر لي محمود في دهشة ساخرة قائلاً:

- هذه جديدة يا عم الشيخ!

قلت له في سخرية مماثلة:

- كنت أظنك ستخبرني بأنك شاهدتها في ألف فيلم سابق يا خبير السينما!

- ليس بين شيخ وفتاة كهذه .. ربما فيلم الإرهابي؟ لكن لا .. أنت لست إرهابياً وحالتك فريدة .. لست تافهاً إمعة مثل أحمد عيد في

(أنا مش معاهم) ولست كحالة هنيدي في ابن العمدة في الجامعة الأمريكية! أنت حالة جديدة حتى بالنسبة للأفلام يا صديقي!

- وأنا لم أبح لك بهذا لتبحث في الأفلام عن شبيه .. أخبرني ما الحل ..

اتسعت عينا محمود قائلاً:

- هل تتكلم بجدية؟ تسألني عن حل لماذا؟! أنت تحب فتاة لا يكافئها إلا رئيس اتحاد طلاب المجموعة الشمسية! هناك شباب أفضل منك مليون مرة في الكلية يشعرون بأنهم أقل من أن ترضى ماهي بهم .. ثم تطلب مني أنا الحل! لو عرفت حلاً لاستخدمته وتقدمت أنا شخصياً لها يا عبقري زمانك!

- أنا لا أريد وصالها بل أريد نسيانها! ثم إنني كنت أعتقد أنك خبير في ا?مور النسائية!

- أي خبرة يا معتوه؟ أنا زنديق وسط المتدينين متدين وسط الزنادقة! أحب رؤية البنات وأطوف حولهن مع بعض ا?صدقاء الخبراء لكني لا أحب التعرف عليهن والانخراط في صداقات كاذبة في نفس ذات الوقت لأني مؤمن بحرمتها! أنت و(إجماع الشيخيْن) فقط من تعتقدون زندقتي وخبرتي لأني أقف في مجموعات مختلطة!

كان يطلق على (عبد السلام بيومي) و(محمود السنوسي) زميليْنا في الغرفة، (الشيخان) ورأيهما عنده (إجماع الشيخيْن) وإن كان يتحاشى

ذكر هذه الكلمة أمامهما كيلا يوبخانه .. خاصة (عبد السلام) سريع الانفجار ..

لماذا أخبرت محمود؟

لأنه برغم كل (زندقته) هذه - كما يسخر دائماً من نفسه - أكثر انبساطاً وتقبلاً لغريب أقوالي من (الشيخيْن) فعلاً!

(بيومي) و(السنوسي) منخرطان في العبادات وطلب العلم يظهران الجدية والصرامة كضرورة لا مفر منها .. أنا نفسي غير قادر على مجاراتهما في التحصيل بسبب انشغالي بالجامعة وجعلي الأولوية لها في المذاكرة بينما هما يفعلان العكس ..

وبرغم أن بيومي له مع ذلك (انحرافات) بسيطة مثل تعاطفه مع قضية الجهاد وهو ما يحاول (السنوسي) وشيخنا ضبطه .. تعاطف نعم لكن بلا تفريط .. لابد من طلب العلم والعمل الدؤوب كي يتحقق الانتصار .. كيف تنتصر أمة لا تصلي الفجر في المسجد؟

الخلاصة أن كليهما متجهم أكثر الوقت يخيفانني أنا شخصياً في بعض الأحيان .. واحد يرى الضحك جريمة في حق أمتنا المنكوبة والآخر يعتبر الضحك بدون داعٍ منقصة للرجال ولطلاب العلم .. ومتى يأتي الداعي للضحك عنده؟ لا أدري بصراحة! أغلب الأفعال الطبيعية التي يقوم بها شيخنا نفسه أحياناً لا يقبلها على نفسه باعتبارها من

(خوارم المروءة) وما أكثر (الخوارم) عند السنوسي .. وكم من مشكلة دبت بين (محمود) و(السنوسي) برغم الانسجام العام بيننا بسبب كلمة (خوارم) هذه التي يستعملها (محمود) بطريقة ماكرة في أحيان كثيرة!

لهذا أحب (محمود خضيري) زميلنا الثالث وأتبسط معه برغم ملاحظاتي الكثيرة عليه .. طبعاً غير أمانته الشخصية وهو شيء أُثمنه بشدة .. ثم إنه بعيد عن جو طلاب العلم الذي أقضي فيه وقتاً غير قصير وهو جو لو اشتم خبر فعلتي هذه من حب (ماهي) لجعلني أكبر (خوارم) في الجلسة!

- محمود .. قد لا تصدق هذا لكني أتألم .. الأمر لا هزل فيه ..

قلتها وقد ظهر على وجهي أثر هذا الاعتراف من هزيمة .. اعتدل محمود فوق سريره وقال بجدية بالغة وهو يشير إلى مكتبي الصغير الذي علقت فوقه ملابسي الداخلية كي تجف:

- هذه هي ملابسك الداخلية يا خالد .. وهي تشبه ملابسي .. مهترئة يا صديقي ومع ذلك نرتديها يومياً وإن أردنا تغييرها لابد من توفير يرهق ميزانيتنا و يرهق أهالينا .. عندما تراها ويغمرك هذا الحب العجيب تذكر ملمس ملابسك المهترئة فوق جلدك لتعرف حجم الفارق ..

- وكيف سيساعدني هذا؟ أنت تزيد من مصيبتي!

- بل أساعدك في أن تتذكر مصيبتك متى نسيتها! لابد أن تتذكر كي تبعد هذه الحماقة عن تفكيرك ..

ظللت صامتاً قليلاً في عدم اقتناع قبل أن يقاطعني مستفسراً:

- لكن أخبرني .. كيف لشيخ مثلك أن يقع في حب متبرجة سافرة كهذه؟ حتى لو كنت من نفس مستواها لم تكن لتقبلها أبداً .. أليس كذلك؟

نظرت له وقد ثار الجرح الحقيقي نازفاً بلا انقطاع!

❁ ❁ ❁

كنت أعبث في طبقي شارداً .. حبات اللوبياء المطبوخة بجوار المكرونة واللحم المسلوق .. نعم أنا ريفي من منطقة فقيرة لكن حتى بالنسبة لي هذه الوجبة غير متناسقة! مأساة مطعم مدينتنا الجامعية معدوم الحس ..

لكن شكوانا لا تخرج بعيداً عن غرفنا .. المسئولون في المدينة الجامعية يتعاملون معنا كأننا حيوانات أليفة لن تشكو من أي خلطة طعام توضع .. إن تحدثنا سيقال لنا ألا يكفيكم أكل اللحم والفراخ بصورة يومية .. وسيكون معهم الحق للأسف! أغلبنا لا يتناول الفراخ واللحم بصورة متبادلة يومية في منزله كما نفعل هنا .. إذن علينا

الصمت وعدم الشكوى ولنتعود على هذا (العك) في أصناف الطعام .. ناهيك أن بعضنا يعتبره إبداعاً مميزاً!

«أليس عيباً عليك يا عم الشيخ!»

رفعت رأسي مندهشاً، كان جالساً أمامي شاب أسود البشرة لا أعرفه ينظر لي مبتسماً!

- نعم؟! هل تحدثني؟

- نعم أنت ..

- عم تتحدث؟

- أتحدث عن مجيئك كثيراً (مُصادفةً) لمكان كلية تجارة مع الآتين! كنت أظن الشيوخ لا يُغرمون بماهيتاب هانم!

دلو ماء بارد انسكب في قفاي منعني من الكلام .. ماهيتاب؟ أكيد يقصد ماهي هذه! غريب أنني لم أحاول معرفة اسمها الأصلي ولم أسمع من قبل باسم ماهيتاب العجيب هذا! لكن .. كيف؟

رفع ملعقته إلى فمه ليكمل طعامه وهو يقول لي مشيراً إلى طعامي:

- أكمل يا شيخ طعامك ولا تندهش هكذا! أنا فقط كنت أحب التعرف عليك لأن مشهدك باللحية وسط الحجيج الطائف بماهي كان يثير دهشتي دائماً ..

الماء البارد لازال يجمد عمودي الفقري بينما عقلي وأذناي وصلا

لدرجة الاحمرار من الغليان .. حاولت إنكار كلامه متلعثماً فأكدت ظنه، أشار لي بأن أكمل طعامي وهو يقول:

- بالله لا تجعلني أشعر بالضيق لإفساد شهيتك! إنه طعامك وبعد الغداء سنتجول قليلاً نحو الملعب ..

- أي طعام؟

قلتها في غيظ وأنا أقوم من مجلسي مُغضباً مُفارقاً المطعم .. ركض الشاب ورائي ليمسك بذراعي ويعتذر وراح يقسم مُخلصاً أنه لم يكن يريد سوى التعرف علي بصورة مرحة ..

- يا عم الشيخ كلكم تغضبون بسرعة هكذا؟

- اسمي (خالد) وأنا لست بشيخ .. أنا شاب مثلك يا أخي .. تجاهل اللحية في وجهي وعاملني بصورة طبيعية ..

ثم تنهدت عندما ابتسم مؤمناً على كلامي محاولاً مراضاتي قبل أن أكمل بصوت منخفض:

- ثم بفرض أنني كنت أفعل ما تظن أني أفعله .. كلنا أصحاب أخطاء يا أخي ولم يكن من حقك أن تفضح ما أحاول مداراته ..

- لا .. أنت حكاية .. تحب نكمل الغداء أم نذهب للملعب كي نتحدث قليلاً .. اسمي حمزة النوبي بالمناسبة ..

- فقدت شهيتي يا حمزة ..

تحركنا إلى الملعب وهو يحكي لي عن نفسه وأصوله النوبية وسبب فعلته التي أغضبتني .. إنه يشعر بالوحدة في كليته بل في كل هذه المدينة .. فاعتقد أن (شيخاً) مثلي سيتحمله ويتفهم (مزاحه) الثقيل!

تجاذبنا الحديث مع الوقت وعرفت أنه برغم صغر سنه ذو ثقافة عالية جداً جداً ..

- لم الوحدة وشاب في ثقافتك يسهل عليه التغلغل في أي مجموعة ..

- ما علاقة الثقافة بالمهارة الاجتماعية؟ ثم إنك تنسى أنني أسود!

عقدت حاجبي مستنكراً ورحت أوبخه على حمله لهذه العقدة في مجتمع مسلم ..

- يا شيخ (خالد) .. بالله عليك أنا الذي أعرف ما لا تعرفه أنت .. إننا مجتمع عنصري جداً لكنه لا يعترف بذلك ..

- يا أخي لا داعي لهذا الحديث .. اتق الله ..

- حسناً .. إن تقدمت لأتزوج من أسرة قاهرية ليست سوداء وحالي متيسر .. كم تبلغ نسبة قدرتي على النجاح في هذا؟ أكاد أقسم أنك أنت نفسك يا شيخ لو تقدمت لواحدة من أسرتك لكنت من الرافضين بسبب لون بشرتي!

لم أعلق وإن ظللت أدير الأمر في رأسي .. يمكنني الإنكار بشدة

وإنشاء خطب عصماء عن المساواة لكن الحقيقة أن الرجل في كلامه صدق ..

- أتعرف لماذا لاحظتك في الكلية يا شيخ؟

نظرت إليه مستفسراً فأردف:

- لأنني أحب متابعة المنافسين! نعم أنا أحب ماهي يا شيخ! لكن مشكلتي أكثر تعقيداً! مشكلتي في لوني وهذا أمر لن تُحسنه أموال الدنيا!

نظرت له في استغراب انقلب إلى رثاء لنفسي ولحاله ثم إلى ضحكة خفيفة جاوبها بضحكة مماثلة ..

- اسمي خالد فقط يا حمزة .. إن كنا سنصبح أصدقاء فلا تنادِني بلقب شيخ بعد هذا ..



قال لي الشيخ:

- فلتعلم أن الحلول التي قدمها لك الله ورسوله أهمها غض البصر أي إيقاف جهاز التصوير الموجود في عقلك عن العمل وشغله بصور أخرى، والصوم أي حرمان نفسك من شهوة الطعام كي يشغلك البحث عن إرضائها بعيداً عن البحث عن شهوة أخرى .. وشهوة الطعام أقوى ..

تخيل نفسك بعد يومين من الجوع أمام امرأة جميلة ومائدة طعام بأيهما ستبدأ؟

قلت ضاحكاً:

- بالجميلة طبعاً ..

ضحك الشيخ ثم تابع:

- سهل هذا الحكم ما دمت لم تجرب .. لكن حاول أن تظل لمدة يومين بدون طعام على الإطلاق ثم اذهب للكلية محاولاً التفكير في فتاتك .. ستجد النتيجة تدهشك! شهوة الطعام أقوى لهذا استخدم الرسول الحرمان منها كوسيلة مقاومة للحرمان من شهوة أقل وهي الجنس ..

- لكني لن أصوم ليومين يا شيخي .. ساعات وأفطر ووقتها ستعود الخواطر ..

- ضع هذا مع غض البصر بجوار شغل نفسك بالعبادة والرياضة ستجد أن لا مكان في عقلك لهذه الفتاة.

- لكنني لا ألعب الرياضة ..

نظر لي نظرة لائمة ثم تابع في جدية شديدة:

- لابد أن تعلم يا خالد أن لا حل نهائي في هذه المسألة .. أنت تريد إنهاء الموضوع وهذا مستحيل دون إرادتك الشخصية .. أنت متعلق بها

برغم أنه من المستحيل زواجك منها لقلة دينها وأخلاقها وللفارق الكبير بينكما .. لابد أن تنهي هذا التعلق .. هذا هو الهدف الرئيس ولابد لإنجاحه من تقديم إرادتك الشخصية قبل اتباع الوسائل التي أمرك ربك باستخدامها .. ازرع الرغبة في نزع تعلقك بها أولاً وستجد الأدوات التي يقدمها لك الدين أكثر من كافية لمساعدتك في تنفيذ هذه الرغبة ..

ظللت صامتاً أحملق في الأرض شارداً وشيخي جالس ينتظر ردي .. انتبهت لانتظاره فرفعت رأسي فوراً أعتذر له وأخبره بأني سأفعل ما قاله لي ..

بلهجة الخبير قال لي:

- أعلم أنك ستحاول لكن الشيطان يحاول منذ الآن إيجاد مخرج يمنعك من نزع التعلق .. حاول أن تجرب نصيحة ابن مسعود: إذا رأيت امرأة أعجبتك فتذكر مناتنها ..

نظرت له متسائلاً فأردف:

- تذكر مشهد المرأة التي تعجبك وهي في الحمام مصابة بإسهال مثلاً .. تذكر رائحة فمها الكريهة .. لا تخلو امرأة من مناتن كأي كائن حي وهي الحقيقة التي يفطن لها كل رجل عاشق بعد الزواج فيصاب بالهم ويعتقد أنه خُدع بصورة ما لكن خدعة أبدية ..

قالها وضحك فضحكت لهذا التشبيه وفي عقلي جاءت صورة ماهي في الحمام .. ياله من مشهد قذر فعلاً!

استأذنت شيخي في الرحيل بينما كان يشير لشاب آخر كي يقترب ليحادثه ..

❁ ❁ ❁

نعم أثق - صدق أو لا تصدق - في شيخي وفي تحمله لي ولاعترافي بينما لا أثق في تلاميذه من أصدقائي! ليتهم يخلعون أقنعة الجدية ويأخذون الأمر ببساطة مثله .. لكن إجابتهم كالمعتاد أن الشيخ يحق له هذا لأنه وصل وهم مازالوا في بداية الطريق!

صارحته بعدما تعبت ولم ترشدني نصائح محمود لأي حل ..

لا بديل عن تجربة نصائح الشيخ ..

هي الملاذ الأخير ..

❁ ❁ ❁

- شاهدت فيلماً بالأمس شبيه بحالتك .. أتريد أن تعرف ما اسمه؟

- لا .. لا أريد أن أعرف ..

- حسناً .. اسمه كان (هي أعلى من مستواي) .. أتحب أن تعرف قصته؟

- يا أخي أخبرتك بأني لا أريد هذا ..

- كما تحب .. قصته تتلخص في أن شاباً أحمقمثلك أحب فتاة جميلة فوق الخيال ومع ذلك أعجبت به وأحبته .. لكن تذكر يا صديقي .. هذا فيلم أمريكي يدخل في نطاق الخيال العلمي!

نظرت إليه متضايقاً أقول:

- ياللظرف! يا أخي أخبرتك أنني لا أريد معرفة قصص أفلامك ..

رفع (عبد السلام بيومي) رأسه من فوق الكتاب قائلاً في ضيق أشد:

- ليت الأفندي اقتصرت معاصيه على الأفلام .. سيادة المحترم يشرب السجائر الآن!

نظرت له في استنكار فتلعثم قائلاً:

- مرة واحدة فقط كنت أجربها ولا مشكلة .. لكن حظي العاثر أوقعني في نوبة مرور (بيومي) بيك!

- اتفقنا يا (محمود) أن هذا الأمر بالذات لا مزاح فيه .. السجائر إدمان .. ألم نتفق على هذا؟

أكمل (عبد السلام):

- وأنت كاذب في دعواك أنها المرة الأولى يا أفندي .. إنما سترك الله ولم يفضحك عدة مرات قبلها ..

احتقن وجه (محمود) قائلاً:

- أنت over يا عبد السلام! قلت لك أنها مرة ولن تتكرر .. أنت لست ولي أمري ..

- مادمنا في غرفة واحدة فأنت أخ له واجب النصيحة .. وأحياناً لابد من الشدة فيها ..

- وهل هذا أسلوب نصيحة يا أخ؟

قطعت تراشقهما قائلاً لـ (محمود):

- بالله عليك يا محمود لا تكررها ..

زفر في ضيق قائلاً:

- لن أفعل والأمر لا يستحق .. شكراً على النصيحة يا شباب ..

ثم قفز من فوق سريره خارجاً من الغرفة فالتفت لـ (عبد السلام) ألومه على أسلوبه .. كان متضايقاً خائفاً عليه فأخبرته أنه ليس ولي أمره حتى يعامله بهذا الأسلوب ..

- وماذا عنك أنت أيضاً يا (خالد) أفندي؟ ألا ترى أن قصة هذه الفتاة زادت عن الحد؟ لقد تسرب سرك.

- عبد السلام .. لو سمحت .. لن أتحمل هذا الأسلوب ..

شعرت بتوتر .. السنوسي يضع سماعات في أذنه ليستمع للقرآن فاصلاً نفسه عنا وهو ممسك بكتاب شارد فيه ولن يتدخل ليفصل بيني وبين (عبد السلام) .. وشجارات عبد السلام معي عنيفة ..

- يا أخي اتق الله في نفسك .. لا أنت طالب علم مجتهد ولا حتى حامل لهموم أمتك .. ثم تذهب لتحب فتاة متبرجة سافرة ..

- يا أخي أنت لست ولي أمورنا .. وربما كان عيبي أنني أعترف بمعصيتي كي أعالجها بينما تخفون أنتم مصائبكم .. إن الشيخ نفسه لم يحدثني هكذا ..

- شيخ مُخرف معادٍ للجهاد!

في حركة عنيفة نزع (السنوسي) السماعات من أذنه وقد جحظت عيناه ذهولاً ..

- ماذا تقول يا لعين؟!

- الآن سمعتنا!

وتكهرب الجو بقوة ألف فولط!



تضحك في دلال .. يتناثر شعرها لثوان ثم يعود لتصفيفته الفريدة .. جالسة على الرصيف مع ثلاثة شباب تتحدث كالمعتاد ..

أراقبها من بعيد وحرب دائرة بداخلي .. هناك جزء بداخلي يُحمل هذه الفتاة سبب كل ما حدث لي ولأصدقائي من فرقة!

لكن عندما أفكر مرة أخرى أتعجب من نفسي ومن تحميلها ذنباً لم تقم به .. لكن هل حقاً لم تقم به؟ أليس تبرجها فتنة لي ولغيري؟ كم شاب مثلي مصاب بداخله وصامت لم يفضح نفسه مثلي؟ أليس اختلاطها بنا هو السبب الأول؟!

أظن أن الاختلاط أشد كارثية من تبرجها! فلو كانت متبرجة في مكان نسوي لكان عقابها عند ربها على ما فعلته بمعصيته وهو أمر بينها وبين ربها .. أما هنا فالتبرج يجعله الاختلاط ناراً كارثية تحرق عقول وقلوب الكثيرين من الذكور ويزيد النار بالوقود! إنها مذنبة في حقنا ولن نسامحها!

أدرت عيني إلى وجهة أخرى لأغض بصري .. لكن هل غض البصر يكون عن (ماهي) فقط؟ إن ذهبت (ماهي) من أمام بصري فهناك (نيرمين) و(هناء) و(دنيا) يلبسون ما هو أشد وألعن! سيتعلق قلبي -وقبل قلبي ستتعلق هرموناتي- بإحداهن! إنه معرض في الجهات الست ومطلوب مني أن أغض بصري فيه! ولا غض بصر هنا إلا بالعمى التام!

أتذكر مناتنها؟ لكن يا شيخي ويا سيدي ابن مسعود الروائح العطرة تمنع حتى محاولتي لتذكر هذه المناتن! المُنتن الوحيد هنا هو الشباب برائحة عرقهم المقرفة بينما الفتيات أمثال (ماهي) يضعن روائح جديرة بإثارة كافة ذكور الثدييات في كل القارات فلماذا يُطلب منا نحن مقاومتها؟! هل كان خبراء العطور وقتها بنفس احترافية شياطين العصر الحاضر؟!

جدير بالذكر أني صائم أيضاً! قمت بعمل كل الوسائل .. لكن هذه الكلية تحول صيامي إلى مهزلة!

إنني أظلم (ماهي) .. ليست (ماهي) بشخصها هي الكارثة .. الأمر أكبر ..

انتصبت واقفاً في ضيق .. تذكرت كلمات الشيخ: الإرادة .. لا حل نهائي ..

من وسط كل ما ذكره ظلت هاتان الكلمتان في رأسي ..

نعم لا حل نهائي وصدق الشيخ .. (ماهي) كيان كامل للنسوية وليست مجرد فتاة أحبها .. إن تخلصت منها لن أتخلص من باقي الماهيات!

فقط الإرادة في فصل نفسي عن هذا الكيان هي السبيل الرئيس لمقاومته بالوسائل الدينية ..

تحركت نحو كليتي خارجاً من نطاق (ماهي) الرئيسية .. أنظر إلى الأرض محاولاً بلا جدوى استخدام وسيلة غض البصر وتفعيل الصيام .. لا جدوى يا أحمق فالمهزلة مستمرة ..

اصطدمت بشاب راح يضحك .. رفعت رأسي فوجدته حمزة النوبي ..

- ألم تكتف بعد يا خالد؟

بتصميم أجبت:

- أخرجني من هنا يا حمزة ..

- من الكلية؟

- من الجامعة كلها .. ماهي في كل مكان!

- لكن لابد أن تنجح .. لابد أن تستمر .. ما الحل؟

نظرت له في حيرة ..

- لا حل نهائي .. بل لا أرى حلاً على الإطلاق!



بتروف المجاهد

فلتعترف يا بتروف أنه الدين الحق!

إنها نهاية رحلة طويلة من البحث .. رحلة مُرهقة لكنها أخرجتك من التيه!

إنه الإسلام ولا دين سواه ..



عدة سنوات وبتروف يبحث.

إنه شخص كره حياة موسكو الملحدة القاسية التي لا تعرف ربّاً سوى المال والشهوات ..

حياة هؤلاء لا تعرف أي سبيل للهدوء والسلام النفسي ..

هنا بدأ بتروف الطريق .. تفرغ من حياته كلها للبحث عن الدين الحق ..

مستحيل أن يكون هذا العالم بلا إله .. لابد أن يبدأ من هذه النقطة .. إن عالماً بلا إله، عالم مخلوق عبثاً لهو تفاهة سخيفة لا حدود لها يكذبها ذلك النظام البديع المخلوق به جسد الإنسان قبل جسد الكون .. لا صدفة هناك على الإطلاق ..

هناك إله موجود ..

لكن أين هو هذا الإله؟ أي دين هو الطريق للذهاب إلى الإله الحق؟

❀ ❀ ❀

فليبدأ بما هو أقرب للإلحاد .. في أديان مصنوعة بالكامل من العقل والفلسفة والفكر ..

ماذا عن البوذية؟ ماذا عن الكونفوشيوسية وأديان آسيا؟ ثنائيات الظلام والنور والخير والشر .. هيمنة السماء وسمو البراهما ..

كلها ديانات بلا توحيد .. بلا رأس أو ذيل .. مجرد تعاليم حكيمة يمكن أن يقولها أفذاذ عباقرة لكنها تحولت إلى فلسفات وإلى دين كامل! وهو قد قرأ كثيراً في الفلسفة الغربية ويعرف أن عقل الانسان عبقري بحق .. إنه قادر على أن يقنعك بالشيء ونقيضه في نفس الوقت وكل شيء له منطق!

بل لكل فكرة في الكون مهما كانت شاذة: منطق!

هيجل نظريته التاريخية قائمة على أن الأفكار والفلسفات ستواجهها حتماً أفكار وفلسفات بشرية أخرى مضادة .. ثم تجيء موجة جديدة مضادة للموجة الثانية ثم تجيء ثالثة ترفض السابق كله! هكذا التاريخ حرب فكرية لا تنتهي ..

إذن عقل الإنسان عاجز وحده عن الوصول للإله القادر الحق .. لأن

ما سيذكره من أطروحات سيواجه بأطروحات مضادة تنقضه .. وساحة الفكر واسعة لا تنتهي ..

ومادام العقل عاجزاً فلابد من وحي .. ومادام لابد من وحي فأديان شرق آسيا ستتبخر كالسراب ..

ومادام قد بدأ البحث عن الوحي فلابد من الذهاب لمجموعة محددة من الأديان تخبرنا بأنها مستمدة من الوحي ..

فليبحث هناك ..



تبدأ الرحلة في طريق الوحي من الكنيسة .. يشاهد بتروف عشرات الطقوس الأرثوذكسية الغريبة، يحاول أن يفهم معنى وجود ثلاثة آلهة وفي نفس الوقت هم إله واحد .. ثم يحاول أن يفهم معنى نزول جزء من هذا الإله ليتعذب ويُضرب ويُقتل ثم يعود مرة أخرى كأن لم يكن! لماذا هذه المسرحية الدرامية؟ ما هذا الإله العابث الذي يسمح لنا بضربه والبصق عليه وإهانته بكل الطرق ليستجدي منا العطف فنعبده؟!

في النهاية يترك بتروف الكنيسة للأبد .. لم يستطع أحد أن يشرح له ما هو الإله الواحد المصاب بانفصام ثلاثي في الشخصية!

إلى معبد اليهود ذهب .. مزيد من الطقوس والتعاليم .. هناك وجد

إلهاً واحداً بالفعل ووجد قانوناً يقوم بتسيير الدنيا ..

شعر (بتروف) بالراحة وظن أنه وجد ضالته في التوحيد .. لكن مع المزيد من القراءة في التوراة وتعاليم الحاخامات بدأ الشك يتزايد بداخله .. أي إله هذا الذي يبكي ويندم ويُضرب ويخدع ويطالب بقتل الأطفال بهذه الطرق البشعة المذكورة في التوراة؟ وأي شعب مُختار هذا الذي يحوز الفضل كله طوال التاريخ دون باقي شعوب الأرض؟ إنه روسي وهو غير قادر على أن يفهم سبب عنصرية إله اليهود هذا ضده وضد باقي الشعوب!

وداعاً أيتها اليهودية .. وداعاً أيها الحاخاميم!

❁ ❁ ❁

في الإسلام وجد ضالته .. هناك قرآن بلا وسيط بينك وبين ربك .. في القرآن تعلم التوحيد وتعلم كيف يجمع الإله بين الحزم والرحمة .. بين الجهاد وبين الدعوة ..

في الإسلام الأمر بسيط .. هناك إله قادر خالق للكون غير مصاب بأمراض نفسية كإله المسيحيين ولا تذبذب في الشخصية كإله اليهود ..

حزم (بتروف) أمره أخيراً .. وفي تلك الليلة التي قضاها بين الصلاة المستمرة التي تعلمها من الفيديوهات الكثيرة .. كانت دموعه في السجود هي نهاية الرحلة ..

إنه الاسلام ولا دين سواه ..

أشهد أن لا إله الا الله .. وأشهد أن محمداً رسول الله ..



لم يكن بمقدور (بتروف) المنغلق على نفسه التواصل مع المسلمين في موسكو .. هكذا راح يتعلم العربية قدر الإمكان بمجهودات ذاتية بحتة ..

برغم الصعوبات تعلم الكثير ..

وبعد مضي عدة سنوات من البحث كان قد استطاع مشاهدة القنوات الإخبارية العربية ..

وهنا جاءته الصدمة!



فلسطين مُحتلة من اليهود؟

اليهود يقصفون الأطفال المسلمين ويقتلونهم؟

المسجد الأقصى تحت الاحتلال اليهودي؟

شعر (بتروف) بالغضب .. ضربات المطارق على رأسه جعلته ذاهلاً عن الكلام ..

ما كل هذه الجثث؟ ما كل هذه الإبادة؟ كيف يُسمح بقتل المسلمين هكذا؟

في الليل كان تسار يُصلي ويبكي بلا انقطاع ..

وعند الصباح كان قد حزم أمره ..



في مطار موسكو وقف (بتروف) مُنتظراً دوره في الصف ..

لقد حزم أمتعته وقام بشراء ملابس عسكرية مناسبة ..

حاول عدم إظهار ارتباكه قدر الإمكان فهو يعرف أن في روسيا لو علم أحدهم بما ينتويه فسيُقتل قبل أن يرتد طرفه!

لكن الحمد لله مر الأمر بسلام ..

ركب الطائرة وهو يدعو الله والفرحة تكاد تنفجر فيها من مقعده كقنبلة ضاحكة ..

لقد درس الأمر طوال الليل في صلاته بينه وبين ربه ..

ووصل للقرار الأخير بلا رجعة ..

سيذهب إلى أهله المسلمين في فلسطين للجهاد وتحرير الأقصى ..

لن يجلس أبداً في روسيا بلد الكفار لساعة واحدة وأهل الاسلام ومقدساته في يد الأوغاد ..

قرر البدء من أقرب بلد إسلامي .. فكر في سوريا الإسلامية .. فكر في الأردن الإسلامية .. لكنه شعر براحة أكثر للذهاب إلى مصر .. من هناك سيسهل عليه التحرك لغزة المحاصرة .. سيسهل عليه

الانضمام لمجاهديها فينال الثواب من عند الله .. ولكم يود لو أكرمه الله بالشهادة في سبيله وقد ترك كل شيء في روسيا ..

أنت من الآن مجاهدٌ في سبيل الله يا بتروف ..

فيالفرحتك ويالحزنك في نفس الوقت على ما ضاع من عمرك دون جهاد ..

إلى مصر أرض الكنانة .. أرض الإسلام ..

إلى حيث يبدأ الجهاد مع مسلميها ..

❀ ❀ ❀

أمام مطار القاهرة جاءه سائق تاكسي .. ابتسم له كما أوصاه رسول الله برغم أن السائق متجهم قليلاً .. سأله السائق عن وجهته فقال مبتسماً بالعربية المضعضعة التي تعلمها بصعوبة:

- غزة أخي بارك الله فيك ..

ظل السائق صامتاً لثانية كأنه لم يفهم، ثم أعاد السؤال في دهشة:

- قلت تريد الذهاب إلى أين؟

- غزة أخي جزاك الله خيراً .. بارك الله فيك أخي أريد ذهاب غزة .. جيهاد جيهاد ..

ظهرت دلالات الفهم على السائق فهز رأسه في غموض قائلاً:

- آااه .. اركب اركب ..

ركب (بتروف) وهو يكاد يقفز من السعادة في الهواء .. فكر في السجود شكراً لله أنه لم يعد يفصله بينه وبين غزة والجهاد إلا ساعات .. لكنه أجل ذلك إلى حين الوصول ..

أخذه السائق بين شوارع القاهرة .. كان بتروف يراقب الناس في فضول وبداخله بعض خيبة الأمل .. إن هذا هو وقت صلاة الظهر ومع ذلك الناس كلها في الشارع لا تصلي .. ثم إن الفتيات والشباب يرتدون ملابس غربية مخالفة للشريعة .. لا تنس يا بتروف أن تحدث إخوانك المجاهدين في مصر أن يزيدوا من دعوتهم للشباب أكثر .. هو على يقين بأن كل هؤلاء الشباب مجاهدون لا يفوتون الصلاة لكن من الواضح أنهم فقط متأثرون بالغرب في ملابسهم ..

في النهاية وصل السائق أمام مبنى ضخم محاط بالأسوار .. تركه في التاكسي ودخل إلى هناك لمدة ربع ساعة ثم خرج معه شخصان ..

قال (بتروف) مستفسراً:

- من هؤلاء أخي جزاك الله خيراً؟

رد السائق:

- إنهم سيقومون بتسهيل دخولك لغزة .. هم المسئولون عن المجاهدين هنا وبعثهم لقتال اليهود ..

في سرعة ولهفة قام بتروف بفتح الباب والقفز من السيارة بينما راح

السائق يحدث بعض حراس البوابة بالعربية .. أخذ حقيبته ودخل المبنى وسط إخوانه المسلمين المصريين الذين اقتادوه بتفهم كبير على ما يبدو .. هل يطلب منهم الآن السجود أم ينتظر سيارة المجاهدين الذاهبة لغزة؟

فلينتظر إلى حين دخوله سيارة المجاهدين .. سيحاول كتم هذه الفرحة البالغة إلى حين الوقت المناسب لأن إخوانه المسلمين السائرين بجواره تبدو عليهم الجدية .. بالتأكيد طبعاً لا وقت لديهم بسبب تقاطر آلاف المجاهدين من كل أنحاء الأرض على مصر كي تقوم بتسهيل سفرهم إلى فلسطين .. لابد أن سوريا والأردن أيضاً مشغولتان باستقبال مئات الآلاف من المجاهدين ..

في النهاية دخل لمكتب أنيق .. كان بداخله شخص مهيب قابله بابتسامة .. لابد أن هذا هو مسئول الترحيل ورعاية شؤون المجاهدين ..

المفاجاة أن هذا الشخص حدثه بالروسية!

يا الله .. يالعظمة بلاد المسلمين!

لقد قاموا بتجهيز مسئولين يتحدثون كل اللغات! لابد أنك يا بتروف يا أحمق لم تكن أول المجاهدين الروس! لابد أن الآلاف غيرك سبقوك إلى هنا تاركين جحيم روسيا الملحدة عدوة الله والإسلام ..

كان المسئول المهيب يُحدثه عن سبب مجيئه .. في سعادة راح يحكي له عن قصته .. عن رغبته في الموت دفاعاً عن دين الله وأهله المسلمين .. عن قراره بالجهاد في فلسطين من أجل تحرير المسلمين ..

استمع له المسئول في صمت .. ثم في النهاية قال وهو يبتسم:

- أخي الحبيب .. هناك مشكلة حالياً في السفر إلى غزة .. لكن مواطن الجهاد في العالم الإسلامي كثيرة .. نحن نحتاج إلى مجاهدين في الشيشان خبراء بالروسية .. هل توافق أخي الحبيب على الذهاب إلى هناك؟

أصيب (بتروف) بالحيرة، إن غزة هي الأولوية وهي ما جاء من أجله، لكن عقله راح يصفعه هاتفاً في غضب: بتروف يا أحمق! ما الفارق بين مسلم شيشاني ومسلم عراقي ومسلم فلسطيني؟ إنك ذاهب للدفاع عن دين الله فأخلص النية، والجهاد هو الجهاد في كل مكان ..

رد بتروف على عقله في حيرة وتردد: لكن .. لكني فقط أردت أن أقاتل وسط إخواني المسلمين .. وسط بلاد العرب الإسلامية المزدحمة بالقرآن وأهله .. كنت أريد أن أعيش وسط أحفاد النبي وأستمع بصورة دائمة للغة القرآن ..

نقل تساؤله المتردد إلى المسئول عن المجاهدين فهتف هذا في دهشة:

- ومن قال لك أننا سنجعلك تُجاهد وحدك؟ سنقوم بإرسالك مع ثلة

من إخوانك المجاهدين المصريين.

عادت روحه إلى لونها الأبيض .. هتف مُرحباً في سعادة:

- الله أكبر.. الله أكبر .. إذن أذهب معهم .. إلى الشيشان .. الله أكبر ..

نادى المسئول أحد الموظفين، يالها من وجوه جادة هنا لابد أن الجهاد المستمر قد أصابها بهذه الصرامة رغماً عنهم .. ياللمساكين ..

نزل إلى الأسفل مع مرافقه، أدخله إلى غرفة مزدحمة بالإخوة، كانت عارية من الأثاث ولها باب حديدي. لابد أن هذا مكان التجمع ..

ما إن رآهم بلحاهم الكثيفة ووجوههم المُزينة بأثر السجود حتى هتف بسعادة كبيرة:

الله أكبر .. الله أكبر .. مُجاهدون .. جهاد .. الله أكبر ..

لم يتمالك نفسه .. خر ساجداً ليشكر الله على تمام منته وفضله .. رفع رأسه ولحيته مبتلة بالدموع فوجد الإخوة كلهم ينظرون له في دهشة واستنكار .. اقترب أكبرهم سناً وطلب منه الجلوس على الأرض بكل هدوء وسأله عن قصته ..

برغم لغته العربية المضعضعة .. وبرغم لهفته وسعادته التي منعته من التركيز .. راح يحكي قدر الإمكان كل شيء .. تاريخ هدايته ثم مشهد غزة .. قرار الجهاد ثم قرار الرحيل إلى أرض المسلمين

العربية الممتدة من الخليج إلى المغرب .. وأخيراً لقاءه مع المسئول عن المجاهدين واجتماعه بهم ..

كانوا يستمعون له في ذهول .. يتبادلون النظرات في استنكار وبعضهم وضع يده على رأسه صامتاً .. ماذا هناك أخي جزاك الله خيراً ..

ظل الأخ المصري هادئاً لثوان وأطرق بوجهه للأرض في صمت .. في النهاية رفع رأسه قائلاً في ضيق:

- أخي (بتروف) .. هؤلاء الموجودون بالأعلى منافقون .. أعداء لله ورسوله .. لقد كذبوا عليك ..

فغر (بتروف) فاه مصدوماً .. قال بدهشة مستنكرة:

- مُسلم ويكذب؟ كيف لمُسلم أن يكذب؟

تبادل الأخ النظرات مع من حوله مرة أخرى ثم قال في حزم:

- أخي بتروف .. أفق يا أخي الحبيب الطيب الساذج .. لقد خدعك المنافقون ليسجنوك معنا ..

مرحباً بك أخي في مقر المجاهدين ..

مرحباً بك أخي في لاظوغلي ..

مقر أمن الدولة المصري ..

حبشة زرء يعقوب

خرج الآلاف من كافة أنحاء المدينة .. تحلقوا حول تلك الفتاة السوداء ذات الكفن الأبيض والجالسة تبكي على سرير مرفوع بواسطة عشرة رجال أشداء .. يبكون بدورهم في قهر ..

اسمها (فاطمة) هذه المرة .. أبوها رفض الخروج من منزله وراح يبكي طوال الوقت مع زوجته .. ابنه الأكبر رحل بسبب طغيان مشاعر العار عليه ..

كانت المدينة كلها تشعر بالقهر والعجز .. الفتاة الجالسة مُكفنة فوق السرير المرفوع تنظر لهم في استجداء .. أرجوكم أنقذوني من هذا المصير البشع ..

إن (فاطمة) كانت تُحافظ على الصلاة، وهي حافظة للقرآن وتلقت الكثير من علوم الدين برغم صغر سنها ..

لكن (زرء) اختارها لنفسه هي بالذات!

تقدم الموكب حتى وصل إلى مندوب ملك الحبشة .. كان المندوب يرتدي رداء الرهبان ومحاطاً بمجموعة شرسة من الفرسان الحاملين لراية الصليب .. قام الرجال بإنزال (فاطمة) على الأرض وهي تتمسك بهم وتبكي في قهر .. حاولوا إخفاء عيونهم عنها .. أمسك بها جنود

الجيش في حين ابتسم الراهب مندوب الملك في سخرية قائلاً لهم:

- خيراً فعلتم يا كفار .. إن الملك (زرء) قد اختار هذه الفتاة لنفسه ولم يكن ليقبل بأي تأخير هذا العام بالذات ..

رفع الفرسان الفتاة فوق خيولهم ورحلوا مخلفين غباراً كثيراً .. وعاراً أكبر ..

❁ ❁ ❁

كان الملك (زرء يعقوب) ملك الحبشة راكعاً في خشوع أمام الصليب حين دخل عليه نائبه يبلغه بوصول فاطمة .. أشار إليه بأن يدخلها عليه في المحراب فدفعوا بالفتاة المنهارة إليه ..

دخلت وهي تنظر حول نفسها في ارتياع .. الشموع .. الجو المقبض الجامع بين الظلمة واللون الأحمر .. البخور الزيتي الخانق .. عشرات بل مئات الصلبان المعلقة في كل مكان .. تمثال يجسد المسيح معذباً في قلب المكان يقف أمامه رجل ملتح مخيف الهيئة ضخم الجثة يرتدي صليباً ذهبياً كبيراً على صدره .. كان ينظر لها هي بالذات ..

بنبرة متعالية آمرة قال لها:

- اقتربي يا خادمة يسوع واسجدي لربك!

برغم ارتياعها الشديد قالت في عصبية:

- ربي الله ونبيي محمد ..

ابتسم (زرء يعقوب) ساخراً واقترب منها وهو يقول:

- بل منذ الآن ربك المسيح وأنت أمته المطيعة .. نبيك وربك ودينك مجرد أوهام عشتِها في حياة ماضية .. ألم ترتدي الكفن وتُخلقي من جديد؟

تراجعت الفتاة الصغيرة في رعب أمامه وهي ترفع يدها أمام وجهها قائلة وصوتها يرتجف:

- بل ربي الله ونبيي محمد ..

صرخ (زرء يعقوب) في غضب مفاجئ وهو يهجم عليها:

- بل ربك المسيح أيتها الكافرة ..

أحكم قبضته القاسية عليها وهي تحاول التملص منه صارخة وباكية .. لكنها بدت كالفرخ بين يدي وحش هائل مخيف ..

في النهاية سقطت مستسلمة بعدما خارت قواها .. فمزق كفنها قائلاً في حزم وهو يفك إزاره:

- الآن تتعمدين!



بعد نصف ساعة خرج (زرء يعقوب) من المحراب .. أشار إلى أحد حراسه بأن ينقل الفتاة إلى اخواتها في الكاتدرائية ..

مال أحد الحراس الجدد هامساً لزميله:

- أنا لم أفهم أي شيء .. الفتاة مسلمة وستذهب للكاتدرائية؟

قال له زميله وهو يبتسم في فخر:

- إنها حكاية طويلة .. لكنها باختصار شديد: الملك زرء يعقوب بعدما انتصر على مسلمي الحبشة أمر أحد كبار مدنهم بإخراج فتاة مسلمة عذراء سنوياً كي يغتصبها تنكيلاً بهم وينصِّرها فتنضم للكنيسة .. وهو يختار دائماً الفتيات المتمسكات بإسلامهن كي يُزيد من جرعة التحدي!

تساءل الحارس المندهش:

- وهل قبل المسلمون هذه الإهانة؟ كيف يقبلون هذا؟

قال له زميله وهو يهز رأسه:

- لقد هددهم الملك بإبادتهم وتخريب بلادهم إن لم يفعلوا .. ففضلوا الحياة الدنيا ووازنوا بين المصلحة التي تقتضي إبقاء مئات الآلاف من المسلمين على قيد الحياة مقابل مفسدة صغرى بتسليم هذه الفتاة .. ووجدوا أن العقل والحكمة يقتضيان تسليمها!

هتف الحارس الجديد مُستنكراً:

- ماذا؟ أي لعنة؟ أي حماقة؟ ماذا يبقى لهم من دين ورجولة ومروءة إن فعلوا ذلك؟

ساخراً أشار زميله إلى الفتاة التي يشدها الحراس وهي عارية تحاول

لملمة بقايا الكفن الأبيض الذي تلوث بدماء عذريتها المسفوحة:

- أترى هذا الكفن؟ هكذا أراح المسلمون أنفسهم من تعذيب الضمير! إنهم يُكفنون الفتاة ويعتبرونها قد ماتت بمجرد تسليمها! يتحايلون على ربهم وضميرهم! هكذا هو الأمر منذ سنوات طويلة ..

تابع الحارس الجديد الفتاة في تعجب ثم قال مندهشاً:

- وهل لدى مثل هؤلاء الذين سلموها أي ضمير؟



«رسول من ملك الحبشة زرء يعقوب يا مولاي»

اعتدل السلطان المملوكي (الظاهر جقمق) في عرشه وأمر بإدخال الرسول ..

دخل الحبشي الراهب وهو يُمسك برسالة في يده سلمها للسلطان الذي فضها فوجد فيها نبرة غريبة متعالية .. لم يُكمل السلطان الرسالة قبل أن يطلب من الرسول تركه وحيداً مع وزرائه ..

بمجرد خروج الرسول التفت السلطان إلى مماليكه هاتفاً في ضيق شديد وهو يطيح بالرسالة في الهواء إلى أقرب الوزراء:

- استمعوا إلى رسالة هذا اللعين ..

راح الوزير يقرأ الرسالة بصوت عال:

- من صاحب العزة «زرء يعقوب» المكنى «قسطنطين» ، من نسل

أرعد ، من بني سليمان بن داوود عليه السلام ، ملك سلاطين الحبشة ، وصاحب النواب بالمملكة النجاشية ، إلى الإمام الشريف العالي الأوحدي السلطان الملكي «الظاهر جمقق» ، سلطان المسلمين والإسلام بمصر والشام .....

قصدنا تجديد ما سبق من العهود من الملوك المتقدمين ببلادنا وبلادكم ، ليكون ذلك العهد مستمراً بلا انحراف ، والاتفاق بيننا وبينكم بلا خلاف ، وأنتم عارفون بما يلزم الراعى من نظر فى حال رعيّته ، وأنتم تعلمون أن الرب يطالب الراعى بذلك ، وأبونا البطريرك وإخوتنا النصارى الذين هم تحت عز سلطانكم ومملكتكم الشريفة نفر قليل جداً ، ضعفاء الحال مساكين في كل الجهات ، ولا يمكن أن يكونوا قدر قيراط من المسلمين القاطنين بإقليم واحد من بلادنا ..

توقف الوزير عن القراءة واتسعت عيناه وهو يقرأ الباقي صامتاً في ذهول، فهتف فيه (جقمق) بأن يُكمل ولا يخاف ..

أكمل الوزير القراءة:

وأنتم حفظكم الله ليس يخفى عليكم ما في بلادنا الواسعة من المسلمين تحت حكمنا ، ونحن لهم ولملوكهم مالكون ، ولم نزل نحسن إليهم في كل وقت وحين ، وملوكهم عندنا بالتيجان الذهب راكبون الخيول المسومة ، وليس يخفى عليكم ولا على سلطانكم

أن بحر النيل ينجرّ إليكم من بلادنا ، ولنا الاستطاعة على أن نمنع عنكم ما يروي بلادكم ، ولا يمنعنا من ذلك إلا تقوى الله والمشقة على عباد الله ، وقد عرضنا على مسامعكم ما ينبغي إعلامه ، فاعلموا أنتم بما يلزمكم ، وبما يلقي الله في قلوبكم ، فلم يبق لكم عذر تبدونه بعد الآن.

أنهي الوزير الرسالة بينما أحد المماليك يهتف مندهشاً:

- ما كل هذه الوقاحة؟ إنه يهددنا بأننا إن لم نُمكن نصارى مصر الأقلية من التحكم فيها بأن يُعاقب مسلمي بلده الذين هم أضعاف أضعاف ما في بلادنا! بل ويهددنا بمنع مياه النيل عن مصر إن لم نخضع له!

قال (يحيى بن أحمد) وهو أحد حُكماء البلاط في ضيق:

- إن ملوك الحبشة النصارى لا يملكون سوى ذلك التهديد المرعب كل مرة .. بل وهناك ما يشبه اليقين بأن كثيراً من المجاعات الضخمة التي حدثت لنا بسبب نقص مياه النيل لعدة سنوات كان بسبب هؤلاء الملاعين وتحكمهم في مياه النيل كي يُباد المُسلمون!

تراجع السلطان (جقمق) في مقعده مبهوتاً وقد خفت الكثير من غضبه:

- هل تقصد بأن هذا التهديد بوسعهم فعله بالفعل؟ بوسعهم إبادة

المسلمين هناك وقطع مياه النيل عنا؟

هز الشيخ الحكيم رأسه بلا رد فازدادت حيرة السلطان (جقمق) وأطرق مُفكراً ..

هتف قائد جيشه غاضباً:

- يا مولاي .. إن الله راعينا ومولانا ومولى المسلمين .. مثل هذه الرسالة الحقيرة لا يُرد عليها إلا بقطع رقبة حاملها وتسيير جيش ضخم إلى هناك لتأديب هذا الصليبي الحقير ..

رفع السلطان رأسه وقد عقد حاجبيه في ضيق وغيظ قائلاً:

- متسرع ولا تملك أي حكمة كالمعتاد .. إن الرجل يملك رقاب آلاف المسلمين وأي قرار بالعنف سيعود بالهول على مسلمي بلده .. فكيف بالله عليك لا نمتلك الحكمة لمعالجة أمر كهذا ..

رد عليه قائد الجيش:

- يا مولاي مثل هذا الرجل لا أشك لحظة في أنه يذيق أهل بلده المسلمين صنوف العذاب بالفعل دون أن ينتظر أي رد منا .. لكن أسألك بالله أن لا تتراجع أو تعطيه رداً ضعيفاً .. بل أره عزة المسلمين وقوتهم ..

تراجع السلطان في كرسيه لدقائق مفكراً، ثم طلب إدخال رسول

الحبشة .. دخل الرسول المتعجرف وهو يعبث في صليبه حتى وقف أمام السلطان ..

قال له (جقمق) بهدوء:

- سنُرسل لكم رسولاً من عندنا اسمه (يحيى بن أحمد) بهدايا كثيرة كتحية لملكك ودلالة على حسن نوايانا .. فتفضل إلى حيث سيعتني الخدم بإقامتك في القصر حتى ترحل عزيزاً ..

ولم يكد الرسول الصليبي يخرج حتى انفجر قائد الجيش المملوكي منفعلاً:

- يا مولاي السلطان .. هذا الخنزير الحقير لا يستحق هذا التكريم أبداً أبداً ..

هتف (جقمق) فيه:

- ليس بالعسكر تُحل الأمور .. بل بحكمة (يحيى بن أحمد) سنقوم بإيقاف تسلطه على المسلمين وربما إقامة علاقات ودية حقناً للدماء ..

ثم التفت إلى الحكيم (يحيى بن أحمد) هاتفاً:

- هل أنت جاهز يا يحيى؟

انحنى يحيى أمامه قائلاً:

- من أجل الإسلام وحكمة حقن دماء المسلمين أفعلها يا مولاي ..

التفت إليه قائد الجيش هاتفاً في ضيق:

- أكثر ما أخافه يا يحيى .. أن تدفع أنت ثمن الحكمة واللين مع المجرمين أعداء المسلمين ..

ووقتها سيكون الثمن غالياً ..



منذ البداية شعر (يحيى بن أحمد) أن هناك أجواء إرهابية مسيطرة بشدة على مضيفيه ..

لقد كانت أجراس الكنائس كلها تُقرع بعنف بينما آلاف الجنود اصطفوا في الشوارع بكامل تسليحهم لملاقاة رسول سلطان مصر .. قد يبدو هذا احتراماً لكن نظرات الجنود الغاضبة ورايات الصليب التي يرفعونها وتعمد الكثير منهم اصطحاب بعض الخدم العبيد المربوطين من أعناقهم بجوار خيول الفرسان، والذين نظروا إلى الرسول في شوق وهتف بعضهم بتحية الإسلام لإعلامه أنهم مسلمون مما زاد من غضب الفرسان الحبش وجعلهم يلهبون ظهورهم بالأسواط أمامه بلا رحمة!

دخل (يحيى) إلى بلاط الملك (زرء يعقوب) فوجده واقفاً وخلفه كبار القساوسة حاملين الصلبان الذهبية .. تقدم منه وقال في هدوء:

- سيدي ملك الحبشة .. جئتك بهدايا عظيمة من سلطان مصر كدلالة على حُسن الـ ..

قاطعه (زرء يعقوب) قائلاً في عجرفة:

- لا تُهمني الهدايا .. إن لدي مُلك الحبشة كلها وهي أعظم من بلدك المسلمة .. أخبرني ماذا فعل سُلطانك بالنصارى وبطركهم؟

تضايق (يحيى) قليلاً وبدأ يشعر بالقلق وهو يقول:

- يا مولاي هناك شيء ما خاطئ بشدة .. من قال لك أن نصارى مصر مُضطهدون؟ إنهم يملكون جباية الضرائب ومنذ قديم ومنهم الوزراء بلا تمييز ..

في عصبية اقترب منه (زرء يعقوب) هاتفاً:

- بل أريد منهم قادة جيش وربما سلطاناً كذلك! لقد حذرت سلطانك بألا يتأخر عن إجابة طلباتي لكنه بعثك إلي متودداً حقيراً بلا استجابة حقيقية ..

عقد (يحيى بن أحمد) حاجبيه وهتف في غضب:

- لقد هددتنا بقتل كل رعاياك المسلمين وتطلب منا تمكين نصارى مصر من مفاتيح الدولة! بل وتعتبرني رسولاً حقيراً لأننا أردنا التوافق وبناء علاقات سلمية معك؟

اندفع (زرء يعقوب) نحوه ولطمه لطمة هائلة وهو يصرخ في حراسه:

- اعتقلوا هذا الحقير وعذبوه .. سأريه معنى السلمية بحق!

❀ ❀ ❀

أربع سنوات!

لقد ظل (يحيى بن أحمد) أربع سنوات في الاعتقال المهين ..

كانت قد تسربت إليه أخبار أن السلطان يسعى جاهداً للإفراج عنه ..

لكن لا أمل!

إن (زرء يعقوب) كان يلعب لعبة صليبية كبرى لم يفهمها (يحيى بن أحمد) إلا في الاعتقال ومشاهدة الأمور عن قرب ..

لقد كان يراسل بطريرك الأرثوذكس المصري والبابا الكاثوليكي من أجل توحيد الصف وإبادة المسلمين من جهتين .. البحر المتوسط والحبشة .. وكان كل من بابا الأرثوذكس المصريين وبابا الكاثوليك متفقين .. لهذا كان يتحرش بسلطانها طلباً لسيادة بابا الأرثوذكس المصري والذي يتبعه زرء يعقوب ..

لكن المشكلة كانت في بابا الكاثوليك .. كان الرجل مشغولاً بحروب أخرى فلم يجد وقتاً لإجابة مطالب الملك الحبشي ..

لهذا ازداد (زرء يعقوب) توحشاً مع مسلمي بلده .. شن حرب إبادة حقيقية لأي تجمع إسلامي صغير وأهان تجمعاتهم الكبرى ودولهم المحيطة به في كل موطن وبأبشع أساليب الإهانة ..

حتى جاء ذلك اليوم الذي انتصر فيه على مملكة (عدل)

الإسلامية الحبشية .. لقد أخرجه من محبسه وجاء به في البلاط.

دخل (يحيى بن أحمد) ليجد عشرات الجنود واقفين والسفاح (زرء يعقوب) واقفاً في منتصف القاعة في وضع غريب!

كان يُمسك بيده اليمنى صليباً هائلاً ثقيلاً يرفعه عالياً وبيده اليسرى رجل عربي يبدو النبل الشديد على محياه برغم ثيابه المغطاة بالدماء ووجهه الممتلئ بالكدمات ..

هتف (زرء يعقوب) في جنون أمام (يحيى):

- هذا مشهد لا يُمكن أن يفوتك أيها المسلم .. هذا هو ملك دولة (عدل) الإسلامية .. لقد أسرته ورفضت قتله في ساحة القتال حتى تُشاهد ما يفعله الصليب بملوككم المسلمين ..

ما إن أنهى كلامه حتى هوى بالصليب الثقيل فوق رأس ملك (عدل) بقوة ساحقة ليهشمه تماماً قبل أن يطلق القتيل صرخة واحدة ..

تقيأ (يحيى بن أحمد) في اشمئزاز، بينما راح (زرء يعقوب) يقهقه بشدة قبل أن يهدأ قائلاً:

- سأدعك تعود إلى سلطانك المسلم كي تحكي له عما أفعله بالمسلمين في بلدي .. لكن لن ترحل قبل أن تشاهد منظراً آخر أكثر طرافة .. لا تبتئس .. إن هي إلا بضعة أيام أخرى!



على ساحل البحر الأحمر وقف (زرء يعقوب) في شرفة قصره يراقب عشرات السفن الحربية الضخمة تتراص لتحيته .. دخل الحراس عليه ومعهم (يحيى بن أحمد) .. اقترب منه (زرء يعقوب) وقال بلهجة تهكمية:

- معذرة لأني جعلتك تسافر طوال هذا الطريق الشاق من عاصمتي حتى البحر الأحمر يا عزيزي المسلم .. لكن عليك بأن تشاهد هذا قبل رحيلك إلى سلطانك ..

ثم أشار إليه وهو يقول آمراً:

- هيا .. اقترب من الشرفة ..

لم يُجبه (يحيى بن أحمد) وإنما وقف مُنهكاً لا يتحرك، اندفع نحوه (زرء يعقوب) وأمسكه من شعر رأسه الشائب وشده بعنف مُجبراً إياه للتحرك نحو الشرفة وهو يقول:

- عندما يأمرك الحاكم بالصليب (زرء يعقوب) العظيم عليك أن تُنفذ الأمر فوراً أيها المسلم ..

مُتألماً راح (يحيى) يُراقب هذا الأسطول الحربي الضخم الذي ترفع كل سُفنه رايات الصليب الحبشي المُميزة لزرء يعقوب .. قال هذا الأخير وهو يراقب المشهد في فخر:

- مائتا سفينة حربية! تخيل!

لقد بنيت وحدي أسطولاً من مائتي سفينة حربية .. أتعرف لم بنيتهم؟

ثم استدار إلي (يحيى) ومال عليه مُكملاً:

- سأغزو الحجاز بهم .. سأدمر مكة والكعبة .. كل أحلام الصليبيين الأرثوذكس والكاثوليك سأحققها ..

التفت إليه (يحيى) قائلاً في سخرية:

- حاول العشرات قبلك .. لكن الله أذهب ريحهم ولم يفعلها أحد من قبل .. فما الجديد؟

تراجع (زرء يعقوب) قائلاً في حزم:

- فعلاً .. لا جديد .. سنحاول مرة تلو الأخرى .. سيظل حلمنا الأبدي أن نهدم كعبتكم ونمحو دينكم .. سنحاول آلاف المرات إن فشلنا هذه المرة ..

ثم التفت مشيراً إلى أسطوله قائلاً:

- سأقوم بمحاولتي الخاصة .. وليبارك الصليب من يأتي بعدي محاولاً تدمير دينكم ..

في النهاية سيرتفع الصليب فوق مكة ..

بنفس الحزم رد (يحيى) وقد عزم أن يلجمه حجراً ولو كان في هذا هلاكه:

- حربكم أبدية؟ ونحن أيضاً حربنا أبدية .. وسنرفع يوماً راية المسلمين فوق مملكتك كلها .. بل فوق موضعك هذا ..

شئت أم أبيت ..



دستور تأويلستان

استعد الجنود الإسرائيليون للهجوم على جنود دولة (تأويلستان) الإسلامية ..

إنه الهجوم الأخير .. الهجوم القاصم المبيد ..

سيقومون بإفناء جنود دولة (تأويلستان) هذه المرة ..

هم يعرفون ذلك، جنود دولة (تأويلستان) يعرفون ذلك، القادة من الجانبين متأكدين من ذلك.

وبدأ الهجوم ..

فجأة حدث أغرب شيء يتخيله أي منهم ..

قام جنود دولة (تأويلستان) بنزع ملابسهم وكشف عوراتهم!

حدث اضطراب في جنود إسرائيل ..

ما هذا؟ ما هذه الحماقة؟

أثناء ذلك الارتباك راح جنود (تأويلستان) العرايا يركضون هاربين مستغلين ذهول الجنود الإسرائيليين الذين نظروا إلى بعضهم البعض في بلاهة!

ما معنى هذا؟ كيف حدث هذا؟

أي جنون؟!

❁ ❁ ❁

حدثت ثورة في (تأويلستان) ..

ياللفضيحة وياللعار ..

تم تحويل قائد الجيش للمحاكمة .. وقف أمام القضاة في هدوء .. طلبوا منه في ثورة بالغة أن يوضح سبب هذه الخطة الفضيحة للانسحاب .. في برود شديد قال لهم:

- استندت إلى فتوى الشيخ (آية الدين ماضي) .. إن أردتم محاسبتي فحاسبوه أولاً!

ساد الاضطراب قاعة المحاكمة .. الشيخ (آية الدين ماضي)؟!

ياللهول ..

الرجل من كبار العلماء .. من كبار المجاهدين .. كيف نتصرف؟!

طلبوا استدعاء الشيخ .. جاء معه مليون ونصف محام وأكثر من عشرة ملايين محب وقفوا في القاعة .. ساد الاضطراب بين الجميع .. سأله القاضي بصوت مرتعش:

- يا شيخ (آية الدين) .. هل حقيقي أنك قلت بجواز كشف العورات للمجندين كي ينجو بحياتهم؟

رد الشيخ (آية الدين) في قوة:

- نعم .. أصدرت فتوى بهذا المعنى ..

قال شيخ الأئمة الجالس بجوار القاضي:

- لكن هذا لا يجوز .. كشف عورة ونقض مروءة وهزيمة مذلة وعار تاريخي ومساخر أمام الأعداء!

كيف قلت بهذا؟

رد الشيخ (آية الدين):

- تأولت هذا استناداً إلى واقعة كشف (عمرو بن العاص) لعورته أمام (علي بن أبي طالب) كي ينجو بحياته!

اتسعت أعين شيخ الأئمة في ذهول، دق على منضدته بغضب قائلاً:

- واقعة كاذبة .. رويت من طريقين كلاهما كاذب .. من رواهما اثنان (ابن مزاحم) و(ابن الكلبي) وكلاهما في مراتب الرافضة الكارهين لـ (عمرو) ..

رفع محامي الشيخ (آية الدين ماضي) يديه اعتراضاً .. طلب الكلمة فأذن له القاضي .. قال في انتصار:

- لكنها ذكرت في التاريخ .. والشيخ ذكر أن هذا تأويل خاص به .. وقد قال بهذا القول منذ سنوات فلم يعلق عليه أحد من كبار المعلقين إلا بكل أدب باعتبار هذه وجهة نظر وتأويلا خاصاً ..

ثم أخرج فجأة من حقيبته دستور دولة (تأويلستان) وفتح الباب الأول وقرأ منه:

«مادة ١: كل عالم حصل على تزكية شيخ معروف وله تصنيفات في العلم والفقه له أن يتأول كيف يشاء دون تعرضه لأدنى عقوبة ويُمنع من الرد عليه إلا عالم أكبر منه دون رفض لتأويله .. وإلا فالسجن مصير من يرفض كلامه ممن يعتبرون من العامة الذين لم يحصلوا على تزكية الشيوخ حتى لو ألفوا ألف كتاب»

وضع قائد الجيش يديه في جيبه مبتسماً في ثقة، بينما رفع الشيخ (آية الدين ماضي) رأسه في إباء .. لقد نصره دستور (تأويلستان) أيما نصر .. فحتى شيخ الأئمة لا يعدو أن يكون رأيه المضاد مجرد (رأي آخر) أمام رأيه ..

وخرج الشيخ (آية الدين ماضي) من المحكمة والملايين يرفعونه فوق رؤوسهم .. اسم الله عليه اسم الله عليه .. بينما قائد الجيش الذي سمع الكلام أخذ البراءة وخرج معه محاطاً بهالات الإعجاب والتقدير من محبي الشيخ الكبير .. لقد أخذ بفتوى شيخهم إذن فهو منهم وهم منه ..

وأصبح قائد جيش (تأويلستان) أسطورة عند تاريخ مسلمي هذه الدولة .. ومسخرة عند تاريخ الإسرائيليين ..

وأصبح تأويله هو السنة .. وفي كل حرب يحاول اليهود الانتصار على (تأويلستان) قدر طاقتهم كي يصلوا إلى هذه النهاية المضحكة .. مشهد آلاف الجنود يركضون عرايا كي يفلتوا من الموت!



الأخطر

تحرك الجنرال (جيمس ريتشاردسون) في سرعة داخل مبنى السي آي إيه، جهاز المخابرات الأمريكي، وبجواره (أو رايلي) الثعلب المخابراتي العجوز، نحو الطابق الثاني من المبنى، ودخلوا إحدى غرفه حيث كان يجلس مجموعة من العسكريين والاستخباراتيين من جنسيات مختلفة ..

وبعد التحيه المقتضبة، بدأ (أورايلي) في الحديث مباشرةً:

لقد اجتمعنا هنا لمناقشة أخطر ما يهدد هيمنتنا على العالم، لقد نجحنا في تحديد هويته، ألا وهو الفكر الإسلامي المتشبع بالجهاد، لكننا ظللنا لفترة في حالة بحث مستمر عن مصدره حتى وجدناه.

نزع الجنرال (ميخائيل لومونوسوف) قبعته العسكريه في ضيق وقال:

- لقد رأينا الويلات في الشيشان بسبب هذا الفكر المتعصب، نحن بحاجة فعلاً إلى معرفة مصدره الحقيقي، من هو الذي بعثه في هذا العصر مرة أخرى بعد أن قضى جدودي البلاشفة عليه تماماً؟

نظر إليه (واين شارلز) المخابراتي الإنجليزي وقال في حزم:

- لستم وحدكم، لقد قمنا بعمل لا مثيل له في نزع هذا الفكر من عقول المسلمين، بل دمرناه في أقوى الدول الإسلامية الحاضنة له بصورة شبه تامة تفوق الخيال ..

قطع (أو رايلي) الحديث وهو يدق على منضدته قائلاً:

- يا سادة .. جهودكم مشكورة، وقد شاركت فرنسا أيضاً بمجهود مضاعف في هذا، بل وإننا برغم تأخرنا كأمريكان عن الدخول لحلبة السباق لعدة قرون، قمنا بمجهودات مضاعفة في إضاعة عقيدة الجهاد، فاقت بكثير مجهوداتكم جميعاً ..

وأخذ نفساً طويلاً .. قبل أن يكمل:

لكن هذا ليس ما اجتمعنا لمناقشته، اقرؤوا اسم صاحب هذا الملف لتعرفوا من أين ظهر الخطر مرة أخرى ليهددنا بكل هذه الدرجة ..

وفي حركة خاطفة ألقى على منضدة الاجتماع بملف مكتنز، تسابقوا جميعاً في النظر بلهفة إلى الاسم الإنجليزي المكتوب فوقه بقلم غليظ:

(سيد قطب)!



على نفس هذه الأرض، لكن في نهاية الأربعينات، كان الأستاذ (سيد قطب)، الذي عبر منتصف الأربعينات، بشاربه المضحك الصغير،

وملامحه الهادئة الشعبية، يشتري مجلة (النيوزويك) الأمريكية، ليتسلى بقراءتها في الطائرة العائده لمصر، بعد رحلة استغرقت عدة شهور في أمريكا ..

في الطائرة فتح المجلة ليتصفحها، قبل أن يُمسكها بقوة ودهشة وهو يعيد قراءة هذا المقال عدة مرات (مقتل حسن البنا يُنقذ العالم)!

راح يقرأ المقال بسرعة ودهشته تزداد، وتذكر كيف أنه طوال الأيام الأخيرة راح يسمع عن احتفال إعلامي غربي بمقتل البنا، لكنه لم يصدق إلا الآن ..

وفي صمت وهدوء أخفى به توتره بصعوبة، تراجع في كرسيه مفكراً بعمق ..

لماذا يحتفلون بقتله؟ ألهذه الدرجة كان حسن البنا مقلقاً للغرب كله؟ هل كانت شخصيته هي المقلقة أم أن روح الإسلام النقي المثابر العنيد هي السبب الحقيقي؟

عند نزوله مطار القاهرة كان الأستاذ قد حزم أمره، سينضم لجماعة الإخوان المسلمين، برغم أنها كانت تمر بمحنة كبرى، إلا أن روحه الفدائية كانت تأبى ألا ينضم لتنظيم إسلامي يسبب هذا الرعب للغرب ..

كانت مشكلة سيد قطب طوال حياته هي فصل الألوان!

كان يكره اللون الرمادي بشدة، ويتمنى أن يظهر كل شيء بوضوح الأبيض والأسود ..

كان يكره هذا الرجل الذي يدعي أنه مسلم ثم يملأ كلامه بالسب والتحقير في رسول الإسلام وعقيدة المسلمين، كانت بريطانيا قد علمت المصريين أن هذا الرجل مسلم، قد علمتهم اللون الرمادي، كلامهم رمادي، أحكامهم رمادية، لم يعد أحد يعرف يقيناً ما هو الصواب وما هو الخطأ، علمتهم أن من يسب الرسول إسلامي، ومن يمدحه رجعي .. وكلاهما مسلم!

إنها الأربعينات، جيل الإلحاد المصري الشهير، حين كانت الماركسية موضة، والعلماني يقال عنه إسلامي متعصب، واليقين الذي كان يدرس في الجامعات هو أن العلم قد وصل للنجاح في كل شيء، وأنه يتعارض مع الإسلام بشدة، لهذا الإسلام دين مكذوب!

وسط هذا الجو المقبض الكئيب عاش سيد قطب، كان يقاتل وحده في العالم بلا أمل .. وأخيراً وجد الأمل في جماعة الإخوان ..

تذكر وهم يستقبلونه ويعتمدونه عضواً نافذاً لديهم، ذلك اليوم الذي ترك فيه عمله بالوزارة، لأنه كان يطالبهم بالالتزام بتعاليم الإسلام النقية وتنقية قوانينهم من شوائب معاداة الإسلام، فقاتلوه

بعنف وسخروا منه بشدة وأظهروه بمظهر الرجل البدائي الأحمق ودفعوه لترك العمل ..

تذكر ذلك اليوم الذي غضب منه نجيب محفوظ، واتهمه بالتعصب والرجعية، لأنه رفض أن يمدح في الجرائد كاتباً نصرانياً جديداً موهوباً بشدة، وكانت وجهة نظره أن هذا الشاب في كتاباته عداء مبطن للإسلام، ولن يشارك في صنع قلم سيقاتل الإسلام فيما بعد مجتهداً بأسلوب ناعم مؤثر ..

أخيراً وجد من سيتقبل كلامه، من سيتشرب فكره .. وبدأ عمله أخيراً مع الإخوان ..

ولكن لم يمر وقت طويل، حتى ساقهم ناصر إلى السجون، ومن أوائلهم سيد قطب ..

وفي السجن الذي استمر لعشر سنوات، ممتلئة بالإهانة والتعذيب، جلس قطب يكتب ويكتب ..

راح يدون رسالته التي كان يتمناها، رسالته في صنع جيل جديد، يلتزم بتعاليم الإسلام كلها، وأولها الجهاد، ليكونوا قدوة لباقي المسلمين، وليقودوا الأمة لتصبح في طليعة الأمم مرة أخرى ..

كانت وجهة نظره أن الغرب على الرغم من قوته، منحل أخلاقياً، وهو في الحضيض، بينما المسلم إن التزم بكل تعاليم إسلامه، أصبح في

قمة الرقي الديني والأخلاقي، مدعوماً بالقوة الإلهية، ووقتها يمكنه أن يهزم الغرب والشرق ويسود المجرات كلها ..

راح يكتب ويكتب، راح يفصل بين الأبيض والأسود، عذبه ناصر طويلاً، دخل عليه الضابط حمزة البسيوني المجرم في زنزانته ليضربه فوق رأسه ويحرق أوراقه، ويسب الله ويذكر سيد قطب أنه قادر على سجن إله سيد قطب معه في الزنزانة! لكن سيد قطب يستفيق ويستكمل الكتابة .. يصر على التفكير .. يصر على عدم الاستسلام .. يكره اللون الرمادي ..

بعد سنوات عشر يخرج لفترة قصيرة، فيبدأ في تجهيز ما تمناه من جيل قرآني فريد، لكن ناصر لا يتحمله، لا يتحمل عودة الإسلام مرة أخرى، أعاده إلى الزنزانة، وحكم عليه بالإعدام شنقاً ..

يوم الإعدام وقف متماسكاً بصعوبة، فقد كان الضرب والتعذيب قد أنهكاه بشدة، وهو في الستين من العمر .. وضعوا حول رقبته الحبل، آذاه بشدة فقد كان غليظاً يشبه الأشواك، لكنه صمد، وراح يفكر، رافضاً الاستسلام، رافضاً اللون الرمادي ..

وضعوا على رأسه عصابة رمادية اللون .. يريد ناصر منه أن ينهي حياته على رؤية أكثر لون يكرهه .. لكنه صمم على التفكير وعدم الاستسلام ..

فتحوا الأرض تحت قدميه، فسقط ينفض قدميه، انكسرت قصبته الهوائية فوراً، حاول التفكير في كيف أن المشنقة عذاب أليم، حتى في الإعدام كان الله أكثر رحمةً من هؤلاء، راح يقاوم ويتعذب، الثواني تمر كالدهور، والدم ينفجر من فمه، يختنق وألف قنبلة تنفجر في جسده وعقله، توقف عن التفكير أخيراً، الألم قضى على الأمل كالمعتاد ..

نجح ناصر في قتله بالتعذيب حتى آخر لحظة ..

في النهاية .. استسلم للموت ..

❁ ❁ ❁

دخل إلى الجبل كلٌّ من (أحمد عدنان) اليمني، و(خالد عنتر) الجزائري، و(عبد الحق العجمي) الخليجي، ليجلسوا أمام الشيخ الهادئ برغم صلابة مظهره وحزمه، سلموا عليه واتخذوا أماكنهم في صمت ..

قال لهم الشيخ: اليوم سنعرف كيف نهزم أمريكا هنا في أفغانستان، وروسيا في الشيشان، وكل القوى العظمى أينما لاقيناها.

نظروا لبعضهم بلا تعليق، وعلق (خالد) في دهشة:

- كيف نهزم تلك الدول يا شيخي، وهل من عاقل يقول هذا؟

أخرج لهم الشيخ هذا الملف الممتلئ بالكتب، ووضعه على المنضدة قائلاً:

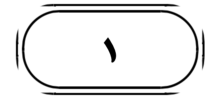
- نعم .. هناك عاقل قال هذا .. وأرشدنا إلى السير في الطريق بمعالم واضحة .. هذا هو ..

تسابقوا جميعاً في النظر بلهفة إلى الاسم العربي المكتوب فوقه بقلم غليظ:

(سيد قطب)!



فيديكامراس



كاراكاس، فنزويلا - ٢٠٠٢

«لقد حاصروا القصر»

هتف بها (إليخاندرو) وهو يراقب الحشود الضخمة من نافذة قصر (ميرافلوريس) .. نهض (هوجو شافيز) من مقعده واتجه ليراقب مئات الآلاف من مواطنيه يسدون الطرقات الرئيسة المؤدية للقصر ..

لقد وصلت الثورة إلى منتهاها ..لكن كيف؟!

في عصبية هتف (شافيز) بعدما استمع للأصوات المطالبة بقتله في الشوارع :

- لقد نجح الملاعين .. وصولهم إلى هنا يعني اختراقاً واسعاً ..

لم يكد يكمل جملته حتى انفتح باب القاعة بعنف شديد، دخل مجموعة من جنرالات الجيش وبأيديهم المسدسات بينما أحاط بهم مجموعة من الجنود المدججين برشاشات ثقيلة وحديثة، قال الجنرال (أندريس بيلو) في صرامة وهو يصوب مسدسه نحو صدر (شافيز):

- انتهى الأمر يا هوجو .. الأمة والجيش معنا ..

نظر لهم (شافيز) وعلى وجهه علامات ضيق هائل .. اتجه نحو مقعده وجلس عليه في صمت لدقيقة ..

صوت صراخ المحتجين المطالبين برحيله شديد للغاية .. الجنود أمامه في غاية التحفز والعصبية .. إليخاندرو خادمه منهار تماماً ..

فكر لدقائق .. ثم وقف قائلاً في حزم:

- سأرحل تفادياً لصنع حمامات من الدم .. لكن لن أكتب استقالتي .. وأريد بعض الشروط الأخرى لرحيلي ..

اقترب منه الجنرال (خوان راي) وأنزل مسدسه قائلاً في هدوء:

- لا يهم .. مادمت ستقبل الرحيل .. سيتم نقلك واحتجازك في حصن (تيونا) مؤقتاً حتى نقرر مصيرك ..

هيا .. تحرك ..

تحرك (شافيز) ببطء بينما أحاطه الجنود من كل اتجاه .. كان عقله يدور فيه سؤال واحد:

متى بدأ كل هذا حقاً؟ وكيف فعلتها الفيديكامراس؟



فنزويلا - ١٩٧٤

نهض (كارلوس بيريز) رئيس فنزويلا ليستقبل (نيلسون روكفيلر) نائب الرئيس الأمريكي الجديد والشبيه للغاية بهنري كيسنجر بنظارته ووجهه المربعين وشعره المصفف بعناية ..

تبادلا تحية حارة ثم تحركا نحو أفخم صالونات قصر الرئاسة الفنزويلي (ميرافلوريس) الفخم .. هناك جلس كل منهم محاطاً بمجموعة من الوزراء ..

كعادته ابتدأ (روكفيلر) الحديث واضعاً إحدى قدميه فوق الأخرى باسترخاء:

- سيادة الرئيس (بيريز) .. نحن في أميركا كنا دائماً متابعين لنشاطك كرئيس جديد لفنزويلا تسعى لرفاهية شعبها عن طريق عائدات البترول ..

هز (بيريز) رأسه موافقاً وقال في حماس:

- إن برنامجي الانتخابي قام أساساً على بناء الدولة بعائدات البترول ..

أنزل (روكفيلر) قدمه وانحنى للأمام قائلاً بابتسامة صغيرة على ركن فمه:

- لكن الصعوبات واجهتك يا سيدي .. العائد الحالي غير كاف .. نحن نعلم هذا أيضاً!

قال (بيريز) وقد ظهر بعض الضيق على وجهه:

- للأسف هذه حقيقة .. إننا بحاجة إلى صديق عالمي كبير كي يهتم بنا ..

بلهجة واثقة قال (روكفلر):

- لهذا جئناك .. أميركا ستكون صديقك الوفي .. سنقوم بمساعدتك في خططك الطموحة وسنجعل من فنزويلا البديل الأساسي الحقيقي للعرب بالنسبة لنا ..

التمعت عينا (بيريز) في سعادة وأخفى مشاعره قدر الإمكان وهو يقول:

- فنزويلا لديها احتياطي هائل يا سيد (روكفلر) ويسعدنا أن نكون أصدقاء .. سنمدكم بكل ما تحتاجون إليه من بترول لصالح شعبي .. وصدقني أنا تابعت أزمة قطع العرب للبترول عنكم والتي حدثت في حرب يوم كيبور ١٩٧٣ .. ولطالما ساءلت نفسي لماذا لا ينتبه أصدقاؤنا الأميركان إلى محبيهم في فنزويلا؟!

هز (روكفلر) رأسه موافقاً وهو يقول مشمئزاً:

- إن الهزة التي أصابت أمتنا من غدر العرب بنا وتكتلهم مع بعضهم البعض لن ننساها .. وسنعمل ألا تتكرر وحدتهم هذه ولا تحكمهم في مصادرهم الطبيعية مرة أخرى ..

ثم نظر إلى (بيريز) مكملاً:

- وبعون أصدقاء جدد أغنياء بالبترول مثل فنزويلا سنتلافى أي تكرار لهذه الكارثة ..

تدخل رئيس وزراء فنزويلا في الحوار قائلاً في برود:

- حسناً .. وما الثمن يا سيد (روكفلر)؟

ظهرت بعض معالم الاستنكار على وجه روكفلر ومرافقيه فقال (كارلوس بيريز) مبتسماً:

- نحن لسنا سذجاً هنا يا سيد (روكفلر) .. بالتأكيد هناك مقابل لنا ومقابل لكم .. ستنهض فنزويلا مقابل أن تصبح صمام الأمان لنظامكم الأمريكي .. فكيف ستتوزع الأرباح بيننا؟

تراجع (روكفلر) إلى الوراء وتبادل نظرة مع أحد مرافقيه ثم قال:

- ستحصلون على كل المال الذي تحتاجونه .. لكنكم ستتبنون اقتصاد السوق الأمريكي وستفتحون أسواقكم لنا ولشركاتنا .. وسيكون لنا نسبة معقولة من شركة البترول الوطنية ..

تلاشت الابتسامة من على وجه (بيريز) وهو يقول:

- لكن .. أنتم بهذا ستتدخلون في أعماق دولتنا .. ستكون هناك نخبة اقتصادية مرتبطة بكم تماماً ولن تدور إلا في فلك مصلحتكم فقط!

أجاب (روكفلر):

- بل ببعض المهارة ستصبح مصلحة دولتينا واحدة .. صدقني إن الازدهار الذي سيحدث لشعبك لن يصدقه أحد .. ستصبحون نموذجاً لدولة خرجت من الفقر إلى الثراء الهائل بحسن استغلال مصادر البترول عن طريق صديقكم الأمريكي الوفي .. أنت قلت بنفسك أنك لن تنهض إلا بمساعدة صديق عالمي كبير .. فهل لديكم أفضل منا؟

وصمت لثوان قبل أن يكمل بنبرة خاصة:

- إن أحد المأفونين من (كوبا) اعتقد يوماً أن السوفيت أفضل منا .. فانظر إليه الآن وهو محاصر مع شعبه ولم يزدهم السوفيت إلا بؤساً!

تنهد (كارلوس بيريز) ونهض قائلاً:

سأطلب منكم الانتظار.. سأقوم بعقد عدة اجتماعات مع وزرائي وحكومتي ثم أبلغكم بقراري النهائي مساء ذلك اليوم ..



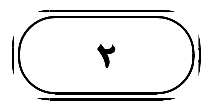
في العاشرة مساءً دخل (روكفلر) وحده على (كارلوس بيريز) في مكتبه .. في ترحيب وقف (بيريز) هاتفاً:

- صديقي (روكفلر) .. منذ الآن دولتانا ستصبحان أصدقاء .. لقد وافقنا على معاهدة الصداقة ..

ابتسم (روكفلر) في سعادة وتقدم إلى (بيريز) يصافحه في حميمية قائلاً في ثقة:

- صدقني يا سيدي الرئيس .. مع أمريكا سيأتي عام ٢٠٠٠ و(فنزويلا) لا يوجد فيها سوى الأغنياء فقط ..

وهذا وعد ..



فنزويلا - نوفمبر ٢٠٠١

تأمل رجل الأعمال الفنزويلي الشاب (روبن آروخا) القاعة الفخمة الهائلة التي يجلس فيها على إحدى الموائد المزدانة بالفواكه والمرطبات ..

في مقدمة المكان كانت هناك منصة جلس عليها أساطين رجال المال في فنزويلا .. خلفهم طبعاً الشعار الشهير للفيديكامراس .. وهي اختصار لاتحاد الغرف التجارية الفنزويلية .. وبصورة أكثر وضوحاً: الفيديكامراس تضم مالكي البنوك، الزراعة، صناعات الطاقة، الصناعات الثقيلة، الاتصالات، مقاولي العقارات والإنشاءات، السياحة، التعدين، المواصلات، الإعلام .. وغيرهم!

بالطبع الجالسون على المنصة هم نخبة النخبة، و(روبن) مازال طفلاً صغيراً أمام هؤلاء الحيتان الضخمة .. لكنه برغم ذلك سعيد بالانضمام إليهم في هذا السن الصغير، بفضل ثروة والده الزراعية الضخمة التي ورثها منذ شهور قليلة ..

يعرف بالطبع سبب الاجتماع، إنه (شافيز) اللعين مرة أخرى، لكن ما الجديد هذه المرة؟!

لم يكد ينتهي من التساؤل حتى وجد (بدرو كارمونا) رجل الأعمال الأصلع العجوز، ورئيس الفيديكامراس، يتقدم نحو منصة الخطابة ..

دوى تصفيق شديد فرفع (كارمونا) يده محيياً وهو يبتسم .. وقف يلقي بعض كلمات التحية المقتضبة .. ثم فجأة انطفأ نور القاعة وظهر ضوء بروجكتور يعرض صورة (شافيز) على شاشة قماشية في صدر المكان ..

وسط صفارات الاستهجان المعادية قال (كارمونا) :

- شافيز .. كلكم تكرهونه .. أعرف هذا تماماً .. لكن ما الجديد؟

تغيرت الصورة لتظهر طوابير طويلة من الفنزويليين الفقراء فأكمل قائلاً:

- الجديد أنه بانتخابه لولاية جديدة، عن طريق استغلال الفقراء والجهلة من أهل فنزويلا، زاد من شراسته ضدنا .. لقد أذاقنا الكثير من المر في ولايته الأولى .. قام بتقطيع الملكيات الزراعية الكبيرة، قام بإعادة توزيع أرباح البترول وأخيراً قام بتخفيض أسعار الغذاء بصورة مبالغ فيها .. على حساب من يقوم هذا اللعين باكتساب شعبية؟

تصاعدت الأصوات الغاضبة فأكمل (كارمونا) في عصبية:

- على حسابنا نحن! بعرقنا وتعبنا نحن! هل هذا معقول؟ إنه تجاوز كل الحدود في ولايته الأولى وواجهناه بقصف إعلامي مركز، لكن كل هذا لم يستطع إفقاده الشعبية التي اكتسبها، الدرس الذي تعلمناه هو: أي رئيس يجعل الفقراء يشعرون بالتغير السريع لا سبيل لمجابهته وتشويهه إعلامياً على الإطلاق مادام أغلب الشعب من هذه الطبقة!

هكذا فوجئنا باللعين يقوم الشعب بانتخابه مرة أخرى برغم التشويه الإعلامي الرهيب الذي وجهناه نحوه ..

لكن ..

هل نستسلم؟ وهل يتوقف؟

صمت قليلاً ليراقب رد الفعل الغاضب الرافض للاستسلام، فأكمل وهو يشير إلى صورة جديدة على الحائط تظهر مصنعاً عملاقاً للبترول:

- الغبي لم يتوقف .. هاهو يتحرك من جديد فيصدر حزمة من ٤٩ قانوناً تضربنا في مقتل، إنها تنقلنا بالفعل إلى حقبة أكثر انحيازاً للحثالة وأكثر إيلاماً لنخبة البلد وعظمائها .. إنه يتحرك هذه المرة نحو شركة (بترول فنزويلا) الوطنية .. يريد إحكام قبضة الحكومة عليها أكثر وأكثر وإضعاف قبضتنا عليها بصورة أشد ..

وتغيرت الصورة لتظهر مجموعة من شعارات شركات البترول الأمريكية الكبرى العاملة في فنزويلا فقال:

- وها قد ارتكب غلطة العمر .. إنه يتحرك نحو ضرب شركات أمريكا العاملة في فنزويلا .. لقد قام الأمريكان بمساندتنا كثيراً طوال الفترة الماضية بسبب ارتباطنا الأبدي معهم بكل تأكيد، لكنهم لم يوافقوا على إطلاق أيدينا إلى المدى الأبعد بسبب شعبيته الكبيرة وانتخابه ديمقراطياً ..

ثم أشار بأصابعه في انتصار هاتفاً:

- الآن قد جاءتنا الفرصة .. إن الولايات المتحدة توافق على الديمقراطية مالم تمس مصلحتها، أما إن مسستها بشعرة فهي تسحقك بسرعة وبلا مبالاة.

فهل هناك مساس بمصلحتها أكبر من تهديد أحد أكبر مصادر البترول لديها على الإطلاق منذ السبعينات؟

تصاعد صوت من القاعة المظلمة متسائلاً في حيرة:

- حتى لو دعمتنا الولايات المتحدة .. كيف يمكننا إسقاطه سلمياً وهناك أفرع كثيرة في الجيش تحبه وتدعمه؟

ابتسم (كارمونا) وقام بتغيير الشريحة لتظهر قاضياً فنزويلياً ضخماً وقال:

- سنسقطه على عدة مراحل بالطبع ..

المرحلة الأولى .. إشغاله بمعارك وهمية كبرى تشوه سمعته في الداخل والخارج .. وسيلتنا: القضاء!



«هل شافيز مجنون؟»

وقف الأمريكي ذو الأصول الفنزويلية (آنخيلو بينا) يطالع عنوان جريدة النيوزويك مندهشاً، هذه من المرات النادرة التي تكتب فيها النيوزويك عن فنزويلا!

قام بشراء الجريدة فوراً وجلس في أقرب حديقة يطالع المقال ..

كان المقال يتحدث عن تلك القضية التي رفعها مجموعة من المحامين في فنزويلا أمام المحكمة الدستورية العليا، والتي يطالبون فيها بعزل (شافيز) لأنه مصاب بتخلف عقلي!

راحت الجريدة الأمريكية تستعرض حجج هؤلاء المحامين

الغريبة، لكن محرر المجلة جعلها قوية للغاية بوضع رأيه الشخصي في أفعال (شافيز) .. هناك محلل نفسي أمريكي كبير يؤكد صحة هذا الكلام .. وهناك طبيب أعصاب عالمي يؤكده! إن شافيز بالفعل مجنون أيها الأمريكان، ومن حق المحكمة الدستورية العليا عزله فوراً!

أغلق (آنخيلو) الجريدة في ضيق .. كان في رأسه ألف سؤال وسؤال .. في اليوم التالي وجد أغلب الصحف الأمريكية تستضيف الأطباء ليؤكدوا على خطورة جنون شافيز .. الأخبار القادمة من فنزويلا كلها تصب في اتجاه واحد! الإعلام الأمريكي فجأة تذكر أن هناك دولة اسمها فنزويلا برغم أن (آنخيلو) قضى أغلب إقامته في أمريكا يتلقى السخرية المعهودة على اسم بلده وموقعها!

في العمل وجد اهتماماً وتعاطفاً من زملائه وهم يطالعون تقرير السي إن إن الذي يظهر مقدار الغضب الشعبي الضخم على (شافيز) لأنه مجنون! الأمر بالنسبة للأمريكان أصبح مؤكداً! الإعلام الفنزويلي الخاص كله يصف (شافيز) بالمعتوه ويرجو (الدستورية العليا) أن تفصل بسرعة في هذه القضية المصيرية .. عشرات من رجال الأعمال الفنزويليين وجهوا مذيعيهم لأمريكا كي يشرحوا للأمريكان مدى المعاناة التي يعانونها تحت حكم هذا الطاغية المجنون!

صمت (شافيز) ولم يرد على هذا التطاول .. راح يعمل من أجل تمرير قوانين إحكام قبضة الدولة على البترول بصورة أكبر .. ذهب في الاصطدام مع رجال الأعمال وأمريكا حتى النهاية ..

ثبتت الصورة الذهنية عند كل الأمريكان أن شافيز مجنون برغم انتخابه بصورة ديمقراطية حرة، وانشغل الشعب الفنزويلي بين مقتنع بجنون شافيز، ومدافع عنه حتى الموت ..



تغيرت صورة البروجكتور لتظهر مجموعة صغيرة من العمال الفنزويليين في تظاهرة محدودة، قال (كارمونا) وهو يشير إلى الشاشة:

- المرحلة الثانية.. التجميع المتدرج .. وسيلتنا: الإضرابات العمالية البسيطة ..



تجمع بضع عشرات من عمال شركة (بترول فنزويلا) الوطنية .. لقد علموا بالأمس فقط أن إحكام قبضة الدولة على شركتهم ورحيل رجال الأعمال يعني تخفيض أجورهم .. تجمعوا في غضب أمام الشركة .. حفزوا زملاءهم على الإضراب .. إن المرتبات الضخمة ستضيع .. شافيز سيجعلنا شحاذين مثل الشعب برغم أننا نخبة العمال .. لابد أن نتوحد ضد شافيز ..

على بعد بضعة كيلومترات في شركة أخرى بدأ إضراب آخر .. شافيز اللعين لا يريد رفع أجور هذه الشركة .. شافيز لا يقوم بمساواتنا بباقي الشركات .. تباً لشافيز إن لم يوفر لنا مطالبنا ..

مرت الأيام .. بعض النقابات بدأت تتحرك بإيعاز من رجال (الفيديكامراس) .. تباً لشافيز الشيوعي الذي يريد أخذ كل المال للدولة ولا يعطينا أي شيء .. أين حقوق العمال يا (شافيز)؟

بدأت التظاهرات تزداد يوماً وراء الآخر .. الإعلام الخاص المملوك للفيديكامراس راح يصرخ ناقلاً بكاء العمال واحتجاجاتهم .. أهل فنزويلا كلهم بدأوا يشعرون بالتوتر والقلق .. نعم الاحتجاجات ضعيفة ومتفرقة بلا تنظيم حتى الآن لكنها تظهر حالة من انعدام الكفاءة لشافيز الذي يتجاهل أكثرها .. أضف هذا لقضية جنونه المنظورة أمام المحكمة الدستورية العليا لتعرف مقدار البلبلة التي أصابت الناس ..

❀ ❀ ❀

غير (كارمونا) شريحة البروجكتور ليظهر تظاهرة هائلة في شوارع كاراكاس .. قال معلقاً عليها:

- الإضراب الموحد الكبير .. هذا هو المرحلة الثالثة .. إضراب

هائل يجمع العمال كلهم ويبدأ في ملء شوارع كاراكاس.



في ديسمبر توحدت الإضرابات كلها فجأة!

المدارس أعلنت الإضراب .. ارحلوا يا أطفال .. لا تعليم ..

المستشفيات أعلنت الإضراب .. لا صحة ..

القنوات الخاصة الكثيرة والمتشعبة قطعت عرض الأفلام والبرامج كلها وعرضت بثاً حياً مستمراً لعشرات الآلاف من المضربين ..

عمال شركة (بترول فنزويلا) أعلنوا بأكملهم الإضراب ومعهم عمال عشرات المصانع والشركات والزراعات الأخرى ..

الصحف الخاصة كلها حجبت نفسها عن الظهور!

بدأ الإضراب الهائل الكبير في فنزويلا .. ومعه بدأ (شافيز) يزداد عصبية .. بدأ يدرك بأن هناك مؤامرة كبرى ..

لكن كيف يقوم بإيقافها بلا مذبحة؟



خمسة أشهر!

خمسة أشهر من الإضراب العام!

في أبريل أصيب (شافيز) بالجنون .. عمال الحكومة يعصون أوامره

والإضراب ضخم للغاية .. قام بفصل العديد من رؤساء شركة (بترول فنزويلا) المحرضين على الإضراب والذين اعتبرهم أساس الإضراب العام .. قام بإخراج قناة تلفزيونية حكومية تنقل للناس أن البلد هادئة وليست كلها إضرابات كما تصور القنوات الخاصة التي نقلت الاعتصامات والإضرابات الهائلة على مدار اليوم طوال أكثر من مائة وثلاثين يوماً ليلاً ونهاراً!

لكن حتى القناة الحكومية لم يمر عليها يوم واحد قبل أن تقسم الشاشة إلى نصفين .. نصف للحكومة وتصريحاتها ونصف لعرض الإضراب!

بدأ شافيز يصاب بحالة من الانهيار .. لقد فقد التحكم حتى في القنوات الحكومية التي كانت تعاديه خفية طوال الوقت .. مؤامرة الفيديكامراس فاقت الحدود هذه المرة ..

❁ ❁ ❁

في الشريحة الأخيرة قام (كارمونا) بعرض صورة القصر الرئاسي (ميرافلوريس) .. قال وعلى وجهه ابتسامة انتصار:

- الخطوة قبل الأخيرة .. تحرك مليوني نحو الميرافلوريس وحصاره بمطلب واحد .. شافيز لابد أن يرحل .. أصدقاؤنا في الجيش الذين يدعموننا سراً سيضغطون من أجل حل واحد فقط ..

ثم أشار بيده علامة الذبح وهو يقول:

- التخلص من (شافيز) ..

❀ ❀ ❀

تحرك (كارمونا) بداخل قصر الميرافلوريس وسط حراسة عشرات من جنود الجيش إلى حيث اصطفت عشرات القنوات التلفيزيونية .. وقف أمام الكاميرات من كل الجنسيات وخاصة الأمريكية السعيدة قائلاً:

- لقد رحل الطاغية شافيز .. الجيش قام بوضعه تحت التحفظ يا أهل فنزويلا العظام .. مستقبل مليء بالرخاء في انتظاركم .. وقد قبلت - تحت الضغوط - هذه المسئولية العظيمة التي كلفني بها ثوار فنزويلا العظام: رئاسة الدولة!

ثم رفع (كارمونا) يده قائلاً:

- أقسم لكم أن أحفظ وحدة فنزويلا وشعبها ..

وأن أكون خير رئيس يمثل الثورة والثوار ..

٣

راح (شافيز) يدور في محبسه بحصن تيونا في توتر ..

لقد كان يعلم الخيوط العريضة للمؤامرة، بل واستعد لها ببعض الإجراءات، لكن الأحداث الأخيرة سارت بمعدل مجنون وسريع للغاية .. باغته بشدة سرعة استجابة قادة الجيش وتغير ولاؤهم للفيديكامراس بزعامة (بدرو كارمونا) ..

اقترب من النافذة ليلقي نظرة عابرة على مقدمة الحصن، لكن عينيه اتسعتا واقترب أكثر ليدقق في تلك السيارة الفخمة التي وقفت أمام البوابة، وهرع إليها بعض قيادات الانقلاب بترحاب كبير ..

نزل من السيارة رجل يعرفه جيداً، إنه الملحق العسكري الأمريكي!

قابل الملحق العسكري ترحابهم بالتهنئة والضحكات الهائلة ثم اختفوا جميعاً بداخل الحصن!

الآن (شافيز) يمتلك الدليل على تورط الأمريكان .. طبعاً كان على يقين بتورطهم في هذا الانقلاب سراً لكن كعادة الأمريكان، من شبه المستحيل أن تفهمهم إن بحثت عن الدليل المادي القوي، فهم قد يدعمونك علناً بكل قوة، في حين تعمل أجهزتهم على هدم بنيان

دولتك واستبدالك في أقرب فرصة تُبدي فيها معارضة!

لكنه الآن يملك الدليل .. أقسم أن يفضحهم إن تمكن من التحرر ..

جلس أمام التلفاز الذي سمحوا له به في محبسه ليشاهد أنباء تنصيب كارمونا .. الإعلام كله يحتفل بجنون .. رحل الطاغية .. رحل المجنون ..

برغم ضيقه الشديد بدأ يلاحظ تلك اللهجة الغريبة التي يتحدث بها كافة رجال الدولة وقادة الجيش ..

إنهم يؤكدون للشعب ومناصري شافيز أنه استقال، بدأوا يسربون كلاماً مفاده أنه منهار بشدة وأنه في حالة غريبة من الإحباط واليأس بسبب خذلانه لشعبه!

وقف (شافيز) مرة أخرى في قلق أشد، من معرفته لعقول هؤلاء لم يكن من الصعب استنتاج النبأ القادم مساءً:

- شافيز انتحر من اليأس يا شعب فنزويلا العظيم!

اتجه فوراً إلى باب الغرفة وطلب حارسه، إنه ضابط فنزويلي من الكوماندوز متعاطف معه بشدة، لكنه لا يجرؤ طبعاً على مخالفة أوامر قيادته ..

في حزم قال له (شافيز):

- فارجاس .. إنني أدرك مقدار حبك لي وحجم الضغوط عليك .. لكني سأطلب منك طلباً واحداً فقط .. أريد التحدث إلى ابنتي لدقيقة واحدة ..

التفت (فارجاس) حوله وهو يقول في حرج:

- سيدي العظيم .. إن هذا الأمر قد يكلفني حياتي ..

وضع (شافيز) يده على كتف (فارجاس) قائلاً:

- إنهم سيقتلونني الليلة يا (فارجاس) .. لا تُصدق كلامهم إليك أنهم سيكتفون بنقلي وحبسي في اللاروشا .. بل سيقتلونني هنا .. إنه الأمر الأخير لي يا فارجاس ..

تطلع (فارجاس) إلى عيني (شافيز) في ذعر وبدا أن هناك صراعاً هائلاً بداخله، قبل أن يحسم أمره في النهاية قائلاً في صرامة:

- أقسم أن لا يمسك أحدهم يا رئيسي .. سأجيئك بالهاتف كما أمرت ..

لم تكد تمر دقائق حتى كان (شافيز) جالساً يحدث ابنته، في عجاله وبصرامة بالغة قال لها:

- ابنتي الحبيبة، انشري هذا الخبر بكل قوتك إلى الجميع:

شافيز لم يستقل .. شافيز محبوس وينتظر شعبه ليحرره ..

❀ ❀ ❀

بكى (خوان جويرا) من القهر طوال اليوم تقريباً!

إنه فقير كأغلب ذوي الأصل الهندي من أهل فنزويلا، ارتضى دور المشاهد طوال الفترة السابقة!

السادة ذوو الأصول الأسبانية هم من قادوا الإضراب، هم من حركوا التظاهرات، هم من كانوا في التظاهرات، هم من حاصر القصر الجمهوري، هم من أسقطوا الرئيس المنتخب، هم من عينوا (كارمونا) عنوة!!

لقد سقط حلم الفقراء .. سقط شافيز الذي انحاز لهم وحارب من أجل حقوقهم طوال الفترة الماضية، انتهى كحلم جميل مر بسرعة البرق!

(خوان جويرا) يعيش في حي فقير من أحياء كاراكاس .. الحي رائحته نتنة والسيدات البدينات جالسات متراصات في الشوارع أغلب اليوم ينتظرن أزواجهن الذين يعملون طوال حياتهم من أجل لا شيء سوى قليل من الطعام لأطفالهم!

الشاب (خوان جويرا) كان يحلم بمستقبل أفضل .. أجل زواجه وأجل كل شيء حتى تتحقق وعود (شافيز) وينتهي من معركته القاسية مع رجال الفيديكامراس ..

لكن كل هذا انتهى في لحظة مجنونة من التاريخ!

قبل الظهر سمع ضجة هائلة من خارج شرفة منزله الخشبي المتواضع، أخرج رأسه فوجد مجموعة ضخمة من الشباب تصرخ في وسط الشارع، كان فيهم (ميجيل ميا فيتالي) وهو صديق فقير له كان يعمل بتجارة المخدرات ويأمل في الإقلاع عنها بعدما يوفر له شافيز فرصة عمل .. كان شافيز بالنسبة له هو الحلم .. لقد انتهى (ميا فيتالي) هو الآخر ..

لمحه (ميا فيتالي) فصرخ بعصبية:

- لا تبك مثل النساء يا (خوان) .. شافيز لم يقدم استقالته .. هكذا وصلتنا الأخبار .. سنتحرك الآن نحو الميرافلوريس .. ولنذهب كلنا إلى الجحيم إن لم نقم بإعادة (شافيز) إلى كرسيه!

قفز (خوان) من سريره إلى الشارع بقفزة واحدة، كانت أمه واقفة تراقب الموقف لكنها امرأة شجاعة، وجد في عينيها تصميماً وهي تهتف له بقوة:

- أعد لنا (شافيز) يا (خوان) .. لن نسمح لهؤلاء الملاعين بإضاعة رجل اخترناه وانحاز إلينا ..

تحرك (خوان) معهم .. في الطريق الرئيسي وجد مئات الآلاف أغلبهم من الفقراء والهنود .. يسقط كارمونا .. فيفا شافيز ..

امتلأت روحه بالحماسة .. نعم .. فيفا شافيز .. يسقط كارمونا ..

إلى الميرافلوريس ..

❀ ❀ ❀

عندما وصل (خوان) كانت الاشتباكات قد اشتعلت بالفعل ..

أنصار المعارضة رفضوا إفساح المجال لمحبي (شافيز) كي يدخلوا إلى الطريق المؤدي للقصر، والشرطة واقفة تحميهم وإن ادعت الحياد ..

بدأت الشرطة تستعمل القوة .. هناك حالة من الهرج والمرج سادت الجميع، اللعنة على الشرطة، سريعة جداً في تغيير ولائها لصالح أي حاكم ظالم طاغية، وبطيئة في تقدير أي حاكم عادل!

كانت الاشتباكات في البداية بالهراوات، لكن إصرار مؤيدي (شافيز) واستخدامهم الضرب جعل الشرطة تطلق بضعة أعيرة نارية في الهواء ..

تراجع الأغلبية وصعد جزء هائل فوق كوبري يطل على أنصار المعارضة .. كان (خوان) فوق الكوبري مع (ميا فيتالي) الذي وصلت حماسته للذروة .. اشتعل اللهيب في جوانح الجميع .. اليوم نموت ولن يحكم الكلاب ..

كان هناك تراشق بالطوب وأشياء أخرى .. اشتباكات بين الفريقين والشرطة مع الفريق المعارض تدعي حمايته لكنها تضرب

في اتجاه واحد فقط: أنصار شافيز .. لاحظ البعض أن الشرطة بدأت تصوب على الأقدام!

أثناء الضرب فوجئ (خوان) بـ (ميا فيتالي) يخرج مسدساً أخفاه طيلة الوقت!

اتسعت عينا (خوان) في ذعر .. الأمر سيتجه نحو مذبحة كبرى ..

لكنه لم يملك التحدث في وسط هذا الهياج العصبي المسيطر على الجميع، بل ظهرت بضع مسدسات في يد قلة من أنصار (شافيز) .. راحوا يطلقونها في الهواء لإرهاب الشرطة ..

ما لم يعلمه (خوان) هو أن كل إعلام (فنزويلا) الذي ينقل المشاهد الحية لهذا الصراع وضع الكاميرات في اتجاه واحد فقط: أنصار شافيز!

وما إن بدأ ظهور المسدسات حتى التهبت خدود المذيعات والمذيعين من اللطم والصراخ والبكاء على وحشية أنصار شافيز المسلحين!

لكن الطلقات العشوائية بدأت تدوي من فوق الكوبري نحو المعارضة .. بينما المعارضة هي الأخرى أطلقت بعض الطلقات العشوائية للإرهاب ..

لم يمر وقت طويل في هذا المشهد، حتى سقط (ميا فيتالي) مضرجاً في دمائه .. ركض (خوان) نحوه في هلع ووضع رأسه على ركبته وهو

يبكي .. لم يكن من الممكن إسعاف (ميا فيتالي) .. فقد جاءته الرصاصة في يا فوخه مباشرة!

رفع ثلاثة من زملاء (ميا فيتالي) رؤوسهم قائلين في غيظ:

- قناصة .. هذه قناصة الشرطة أو الجيش .. لقد سقط ثلاثة منا بنفس الطلقات في المخ!

تلعثم (خوان) وقال:

- لكن .. لكن ماذا نفعل؟ أين هم وكيف نوقفهم؟

نهض زملاء (فيتالي) هاتفين في قوة:

- سنثأر لفيتالي بالطبع .. لن نعود أحياء!

وقف معهم (خوان) وقد امتلأ بالحماسة والقوة .. التقط مسدس (فيتالي) وهو يقول لنفسه في حزم:

- ألف لعنة على ثائر يواجه الرصاص بالصراخ والشكوى والاحتجاج!

اتجه فوراً نحو الخطوط الأمامية، كانت تفاهمات الثوار من محبي شافيز ألا يقتلوا أحداً من المعارضة، إن هي إلا رصاصات إرهاب فقط .. وعلى ما يبدو أن هذا كان نفس حال ثوار المعارضة .. لأن رصاصاتهم كانت بقصد الإرهاب أكثر منها بقصد القتل ..

راحت الطلقات تدوي من الجانبين، سقط البعض أحياناً لكنها

كانت من رصاصات خاطئة، أحياناً كان (خوان) يشعر بأن زملاءه يتألمون لسقوط قتيل من الجهة الأخرى بالخطأ وبودهم لو اعتذروا .. ولم يخالجه شك بأن الجهة الأخرى تحمل نفس المشاعر .. كلنا مخطئون فيما نفعله .. لكن التراجع أصبح مستحيلاً .. أحدنا لابد أن يقضي على الآخر ..

بدأ المعارضون في التراجع .. أنصار شافيز بدأوا في التقدم لحصار القصر .. يبدو أنهم سينتصرون في النهاية بسبب الفدائية المبالغ فيها وأصولهم الفقيرة التي لا تجد شيئاً تبكي عليه ..

مع توالي القتلى برصاصات تخترق الأدمغة بدأ (خوان) يلاحظ على الجهة الأخرى أمراً خطيراً:

هناك عدد أكبر منهم يسقط - أيضاً - بطلقات في الأدمغة!

إن قناصة الشرطة أو الجيش تصطاد من الجهة الأخرى أيضاً!

اللعنة!

ما معنى هذا؟!



الملازم (هيرمو بالومينو) يشعر بالتوتر!

منذ تم تكليفه بتأمين هذا الجزء من قصر الميرافلوريس بالأمس، أي منذ بداية الانقلاب، وهو يشعر بأن هناك شيئاً ما غير طبيعي!

هناك أصوات آتية من تحت الأرض، خافتة نعم، من الصعب جداً سماعها هذا أكيد .. لكنها موجودة!

في النهاية حزم (هيرمو) أمره واتجه نحو أحد حراس المكان القدامى .. سأله في عصبية:

- هل هناك مدخل إلى قبو سري تحت الأرض؟

تراجع الحارس في ذعر دون أن يجيب، فأخرج (هيرمو) مسدسه وقام بجذب الحارس بعنف ليضع فوهة المسدس تحت ذقنه وهو يقول في صرامة:

- سأعتبر صمتك هذا أبلغ إجابة، الآن أيها الحقير ستدلني عليه وإلا قتلتك هنا فوراً.

هتف الحارس في ذعر:

- سأدلك عليه يا سيدي .. أقسم لك ..

دفعه (هيرمو) وهو يقول:

- هيا .. أرني الطريق ..

تحرك الحارس بسرعة مع (هيرمو) الشرس، كان الحارس يعرف مقدار عنف هذا الملازم بالذات وعداوته الشديدة لشافيز ومحبيه منذ دخل القصر بالأمس .. لذا قام بتنفيذ الأوامر بلا تردد ..

وصل الاثنان إلى لوحة جدارية كبرى، قام الحارس بالوقوف جوارها

وفتحِ بابٍ سري .. دفعه (هيرمو) إلى الداخل المظلم ونزل بضعة درجات وقد شهر مسدسه في تحفز ممسكاً بتلابيب الحارس دافعاً إياه أمامه ..

لم يكد يتحرك لثلاثة أمتار في الظلام حتى شعر بفوهة مسدس باردة تلتصق بقفاه .. وصوت صارم للغاية يأمره بغلظة :

- بهدوء الآن .. ألق سلاحك بلا ضوضاء!

كاد (هيرمو) يقوم بحركة قتالية لكن الضوء عاد فجأة إلى القبو السري المظلم ..

هنا اتسعت عيناه في ذعر هائل وألقى مسدسه بلا تردد ..

❀ ❀ ❀

مهموماً جلس (بدرو كارمونا) على مقعد الرئاسة وحيداً في غرفة مكتب قصر ميرافلوريس ..

كانت حالته النفسيه في انحدار، صوت طلقات الرصاص القادم من بعيد بين أبناء فنزويلا، وإصرار محبي شافيز على مساندته بأي ثمن، واحتجاجاتهم الصارخة التي تهز أركان قصره، ترافق مع ملاحظات غريبة بدأ يجدها (كارمونا) منذ ألقى القسم كرئيس لفنزويلا ..

إن هناك من قادة الجيش الذين ساندوه من أبدوا تبرماً ورفضاً لاختياره .. دارت مناقشات طويلة بينهم نقلها له بعض جواسيسه

مفادها شيء واحد: مادمنا قد قمنا بالانقلاب فلماذا نجعل هذا المدني يحكمنا؟!

إنها عقلية صاحب السلاح مرة أخرى .. مهما امتلكت من نفوذ وقوة ومال يا كارمونا يظل حامل السلاح هو صاحب الكلمة الأخيرة .. الجيش بدباباته وطائراته وصواريخه أكثر نفوذاً من كل مال الدنيا إن امتلكته .. ولا يوجد شيء يعادل عشرات الآلاف من الجنود المسلحين الأقوياء يتحركون بإشارة واحدة منك بدون أي تردد وبلا أي مناقشة لإشارتك، فأي مال في الدنيا يجعلك تشعر بمثل هذه القوة والسيطرة والامتلاك؟

لهذا بدؤوا يتبرمون من وجودك يا (كارمونا) .. قد يلجؤون لتصفيتك وتصفية شافيز وأخذ زمام الحكم في قبضتهم!

أليس هذا وارداً؟

في وسط هذه المشاعر المضطربة رن جرس هاتف مكتبه، رفع سماعة التليفون فوجد صوتاً عميقاً يقول في ثقة:

- اسمع يا (كارمونا) .. معك الجنرال (راؤول بادويل) .. سأعرض عليك عرضاً لا تستطيع رفضه ..

اعتصر (كارمونا) سماعة الهاتف في قلق، بادويل معروف بولائه المطلق لشافيز .. لكن (كارمونا) معه باقي الجيش ..

أكمل (راؤول) بنفس الهدوء:

- أمامك الآن دقائق قليلة لمغادرة القصر! أخبر مجموعة الجنرالات الحمقى أنهم تحت رحمتي تماماً .. لقد قمت بتوجيه عشرات الصواريخ في القواعد العسكرية الموجودة خارج العاصمة .. أتعرف ما وجهتها الآن؟

الميرافلوريس نفسه!

في ذعر هائل وارتباك هتف (كارمونا) :

- مستحيل .. معي هنا قادة الـ ..

قاطعه (راؤول) في صرامة:

- لا تقاطعني أيها اللعين .. بل ما أقوله صادق تماماً .. أنت ومن معك تحت رحمتي تماماً .. بل أنت السجين بالفعل وليس شافيز .. تحت قصرك يوجد مئات من رجال الكوماندوز قمت بإخفائهم ليلة الانقلاب تحسباً لأي طارئ يحدث .. أخرت استخدامهم فقط حتى اللحظة المناسبة .. هل أدركت من السجين الآن؟

قفز (كارمونا) من مقعده وفك ربطة عنقه وهو يشعر بحصار رهيب، قال في ارتياع وهو يتصبب عرقاً:

- لكن .. هذا مستحيل!

إن معي قوات كوماندوز أيضاً تابعة للجنرالات الموالين .. سأقوم

بعمل مذبحة صدقني .. يمكنني أن أؤكد لك أنني سأنتصر في النهاية .. قوات الحرس الجمهوري أيضاً يمكنها ..

دوت ضحكة هائلة من (راؤول) قبل أن يقول في قسوة:

- أحمق .. مغفل كبير .. انظر يا لعين إلى ساحة القصر الآن ..

تحرك (كارمونا) بالهاتف نحو الشرفة فوجد المئات من قوات الحرس الجمهوري تجتاح الساحة، كان (راؤول) يتابع بنفس اللهجة المتشفية:

- لقد انقلب الحرس الجمهوري ضدك .. واجتاح القصر من ممرات سرية بأسفله .. أنصحك يا أحمق بأن تهرب بأقصى سرعة .. ربما نحاكمك فيما بعد وربما نعفو عنك .. لكن هؤلاء إن رأوك ذبحوك بلا تردد!

ألقى (كارمونا) سماعة الهاتف مذعوراً .. انطلق راكضاً إلى خارج الغرفة فوجد كل شركائه العسكريين ورجال الأعمال يهربون في هلع شديد من خلف القصر ..

راح يركض بسرعة إلى أقرب سيارة دون أن يكلم أحداً أو يكلمه أحدٌ ..



وصفة الملك جيمس

ركع الأمير (جيمس) على ركبة واحدة أمام البطرك الإنجليزي .. إن هي إلا لحظات ويلبس التاج ويصبح ملك إنجلترا العظيم ..

وما إن ارتدى الملك (جيمس) التاج .. حتى قام بوضع إصبعه في أنفه، ثم أخرجه ووضعه في فمه .. وبصق على جميع الحاضرين المندهشين المشمئزين!!

وبدأ عهد (جيمس) .. أصبح هو عهد الحضارة والتنوير لانجلترا .. فقرر الملك (فيليب) الفرنسي فعل نفس الحركات عند التتويج .. الإصبع في الأنف ثم الفم ثم البصق على الحاضرين لحفل التتويج!

وما إن نجح (فيليب) وازدهرت بلاده حتى اشتعلت هذه الموضة في أوربا كلها .. كل الملوك قاموا بنفس الحركات، إنها سر نجاح الأمم .. طبعاً بجوار الاقتصاد والزراعة والقوة العسكرية .. لكن هذا السر هو الأعظم من بقايا (جيمس) ..

يجيء (مبهور أفندي المصري) إلى أوربا .. يشعر بالانبهار من التقدم والعلوم .. يقرر أن كل ما في بلادهم جميل .. وهو كذلك بالفعل .. لكنه يسأل عن السبب فيقولون له أنه الصناعة والزراعة والأهم على الإطلاق: الأصبع في الأنف .. تراث (جيمس) الحضاري الأعظم!

يشمئز في البداية .. هذا ضد أخلاقه ونظافته ودينه .. لكن الكل يقنعه أن هذا هو قلب سر النجاح الأوربي .. يقتنع في النهاية، يبحث عن الأدلة الشرعية المناسبة .. ويلوي عنقها بشدة .. ثم يذهب إلى وطنه الشرقي ..

ولأنه الأدرى بقومه، فلا يحكي لقومه مباشرة عن هذه العادة القذرة .. إنما يجيء معه بألف صورة لأوربا تبهر الأنفاس وتحير العقول، ويعرض عليهم ألف آلة لا مثيل لها .. يسألونه عن السر .. يخبرهم أنها عادةً ما .. فيها قبح قليل .. لكن من لا يقبلها يظل قابعاً وسط ظلام التخلف إلى الأبد .. وإن قاموا بها جاءت الصناعة والزراعة تهرول إليهم تلقائياً .. يخبرهم بتفاصيل العادة .. يستنكرونها بشدة في البداية .. لكن فقر البلاد وقذارتها يجبرانهم على الحلم .. وفي النهاية يقبلون بهذه العادة على مضض .. ويبدأون في نشرها .. الكل يستقذرهم، لكنهم يؤكدون أن النجاح بدونها مستحيل .. وبعد وقت يتعصبون لهذه العادة، يؤمنون بها تماماً أكثر من أي شيء .. إن هذه العادة هي المفتاح لكل أوروبا المتقدمة!

تمر السنوات .. ويضع الأغلبية أصابعهم في أنوفهم، وتبقى أقلية رافضة لهذه القذارة .. أصبحت هذه الأقلية هي المتهمة بالقذارة نفسها!!

لكن النجاح لا يأتي .. ويظل الشعب والنخبة يضعون أصابعهم في

أنوفهم بلا جدوى .. ولا أمل، لكنهم مصرون أنهم الصواب، وغيرهم هم القذارة والتخلف!



أفقت من نومي، وبعد الفطور تناولت الجريدة وفتحتها على مقالة لأحد المثقفين المشاهير جداً .. يعتبرنا بلد تخلفٍ وعفونة، لأننا لا نسمح بالميني جيب وحرية المرأة الجنسية .. الذي أخذت به أوروبا فجاءت الصناعة والزراعة تهرول راكعة، فهكذا تقدمت أوروبا، وهكذا يجب أن نسير، أما المخالفون فهم شرذمة حيوانية متخلفة يجب التخلص منها في أسرع وقت!

حاولت تذكرَ حلمٍ يفسر هذا الكلام الغريب .. لكني كنت أنساه كل مرة!



لتكن حرباً

ارتفعت العيون إلى أعلى، حيث صعد شاب فوق أحد المآذن العالية لمسجد الأزهر كي يؤذن لصلاة المغرب ..

قام كل مؤذن بأداء واجبه كالمعتاد .. ثم فجأة انفجر في الهجوم على المماليك والدعاء عليهم!

اندهش أهل القاهرة .. خرج الجميع من حوانيتهم يستمعون لهذا المهرجان من الأصوات ..

كان الشباب الأزهري يسب (محمد بك) زعيم المماليك! يلعنونه وجيشه ويفضحون أفعالهم ومخازيهم في مصر!

نظر بعضهم إلى مملوك واقف فوق حصانه يستمع معهم في غيظ وضيق مع كثير من الذهول!

انقبضت القلوب جميعاً ..

لقد أعلن الأزهر الحرب!



الشيخ البنداري كان يعيش أسود أيامه .. إنه متضامن مع الطلبة والشيوخ في إعلان الحرب رغماً عنه .. لكن من داخله كان يشعر بأن

الهلاك قريب .. إنهم يتحدون (محمد بك) نفسه!

محمد بك .. زعيم المماليك المتطرف الذي كون لنفسه جيشاً كبيراً متعصباً سفاحاً سماه (جيش الضرب) وسيطر به على مصر .. حتى أن الوالي العثماني (عمر باشا) كان كالفرخ بين يديه لا يجرؤ على عصيان أوامره أبداً برغم أنه المفترض أن يكون رئيسه!!

إن مندوب السلطان العثماني نفسه لا يجرؤ على مخالفة (همسة) واحدة يهمسها (محمد بك)!

ثم في يوم أسود على الشيخ البنداري .. هرب عشرة مماليك أمر محمد بيك بقتلهم أو طردهم خارج البلد .. هرب هؤلاء إلى أين؟

إلى الأزهر! إلى داخل قلب القاهرة!

المثير أن (علماء الأزهر) أعلنوا حمايتهم لهؤلاء .. و(أمروا) الوالي ومحمد بك بإعطاء الأمان لهم ..

أذعن لهم الباشا دون الرجوع لمحمد بك .. وأصدر فرماناً بذلك ..

وثارت ثائرة (محمد بك) .. وصمم على تسليمه العشرة بلا شروط ..

وعند أذان المغرب المذكور .. بدأت الحرب!

❀ ❀ ❀

تحرك عشرة مماليك من جنود (جيش الضرب) في عصر القاهرة ينبهون على الجميع بحظر التجوال بعد صلاة العشاء ..

لقد أصدر (محمد بك) منشوراً بحظر التجوال مساءً وإعلان الأحكام العسكرية .. لقد أعلن الحرب هو الآخر ..

في القلعة كان الوالي (عمر باشا) يسلم الشيخ البنداري قرار تعيين (يوسف أوضة باشي) نظارة الأزهر ..

قال (عمر باشا) للشيخ البنداري:

- اعذرني شيخ (بندراي) .. ليس هناك شيء بيدي .. إن القرار من محمد بك نفسه ..

رد عليه الشيخ (بنداري) في ضعف:

- وأنا أيضاً ليس بيدي حيلة مع العلماء يا باشا .. هم أيضاً مصممون على إشعال الموقف .. ليس عندهم حكمة على الإطلاق في هذا الأمر .. وأخاف أن يؤذى الأزهر وأهل القاهرة بسبب هذا التصميم العجيب على التحدي ..

قال (عمر باشا) بقلق:

- أخشى أن يقوموا برد فعل عنيف على تعيين (يوسف أوضة) إن فهموا أنه من طرف (محمد بك)! شيخ (بنداري) أنا أعتمد عليك .. حاول إقناعهم بالقرار لتهدأ الأمور ..

- سأحاول يا باشا .. سأحاول .. لعن الله الاستهتار بالدم ..



أمسك الشيخ (البكري) بالقرار ساخراً .. ثم التفت إلى باقي العلماء قائلاً:

- طرطور (محمد بك) الجديد اسمه (يوسف أوضة) .. محمد بك يتحدانا .. يتحدى علماء الأمة .. فماذا تصنعون معه؟

عبث الشيخ السادات بلحيته قليلاً ثم قال:

- لن نفعل نحن .. بل سيفعل أصغر تلاميذنا ..

ثم التفت إلى باب الجامع الأزهر يراقب موكب (يوسف أوضة باشي) الوزير الجديد المكلف بشئون الأزهر .. ما إن خطا (يوسف) داخل المسجد حتى قام التلاميذ برشقه بالأحذية وهم يطردونه خارج المسجد .. اذهب يا طرطور محمد بك .. بينما راقبه المشايخ من بعيد في سخرية واستهزاء .. تراجع الرجل المهان بسرعة إلى خارج الجامع .. هتف في عصبية: والله ستدفعون الثمن أيها الدراويش .. ستدفعون الثمن ..

ركض وراءه التلاميذ فهرب هو والمماليك بعيداً بسرعة!

التفت الشيخ (البكري) بعدها إلى الشيخ (بنداري) وفي عينيه نظرة غضب:

- شيخ (بنداري) .. يجب أن تفهم أننا لا نستهين بالدماء .. صحيح أننا عزل وهم أقوى الجيوش .. لكننا والله لو تنازلنا لضاعت هيبتنا ..

ولو ضاعت هيبة العلماء في الأمة لضاع الدين والدنيا .. وإنا والله لن نفعل .. لن نتنازل وإن تهدم المسجد علينا قطعة قطعة .. تباً للجبن فإنا نرجو من الله الشهادة .. إن رغبت الرحيل عنا فتفضل .. والله لن نسمح لانتهاك العسكر لحرمة العلم ..

أسقط في يد الشيخ (البنداري) فوقف يدافع عن موقفه وسط المشايخ قائلاً:

- بل والله ما أردت إلا حقن الدماء .. إن هؤلاء المماليك العشرة نعلم أنهم ظالمو أنفسهم .. وعلى الأغلب فعلوا الأفاعيل المنكرة .. فكيف نغامر بضياع الدين والعلم وأهله وتلاميذنا وطلبتنا الآلاف الذين أتوا من كل أنحاء العالم الإسلامي .. ما ذنب هؤلاء الشباب كي نغامر بهم دون مراعاة للمصالح والمفاسد ..

نهض الشيخ (السادات) قائلاً له بعنف:

- بل تحت أقدامك تنظر .. والله إننا لو استسلمنا لهم لضاعت هيبتنا ولشنقوا العلم وأهله غداً بقوتهم العسكرية .. إننا نملك ما هو أقوى منهم يا رجل فتماسك .. ما جيش الضرب هذا وما السلاح الذي معهم؟

ما هؤلاء الطواغيت؟ انظر يا رجل إلى الطلاب والشيوخ .. انظر ..

نظر الجميع إلى آلاف الطلاب المتحلقين حول شيوخهم .. كانوا

جميعاً قد عادوا لقراءة القرآن كما أمرهم الشيخ البكري .. سيقرؤونه ويقرؤون البخاري ومسلم حتى تنزاح الأزمة على أن يعتصم الجميع في أماكنهم ..

أكمل الشيخ (السادات) بفخر وهو يشير إليهم ويواجه الشيخ (البنداري) :

- هذا هو جيشنا .. وقرآننا هو سلاحنا ..

فكيف ننهزم؟!

❀ ❀ ❀

تجمع آلاف الجنود في ساحة ميدان القلعة .. في المقدمة ظهر الأمير (محمد بك) فوق جواد ضخم .. بدا قزماً ينوء بحمل العملاق المرعب الذي يمتطيه ..

(محمد بك) السفاح المرعب .. العسكري المتطرف ..

من القلعة راح (عمر باشا) يراقب المشهد في وجل ..

إنه متأكد أن هناك كارثة ستقع .. لا أحد يتحدى (محمد بك) .. لا أحد .. ولا السلطان نفسه!

كان (محمد بك) ينتظر رسوله الذي بعثه إلى الأزهر .. لقد أبلغهم أنه ينتظر بجيشه هذا قرارهم الأخير .. وأنه لن يؤذيهم .. فقط لابد من التسليم .. وإلا ..

عند الظهيرة عاد رسوله من الأزهر فوق جواده ..

فهم (محمد بك) الرد فوراً عندما شاهد ملابس رسوله الممزقة!

وصل رسوله إليه ونكس رأسه ..

تمتم (محمد بك) في احتقار:

- أغبياء .. مغرورون وأغبياء ..

ثم التفت إلى مساعده وأمره بإحضار السجين المستحق للإعدام ..

أخذه فوق جواده ثم ركض به وسط مجموعة من الجنود إلى أمام مسجد الأزهر ..

عندما وصل كان الطلبة واقفين في الساحات الداخلية والنوافذ ليراقبوه ..

نزل من على صهوة جواده .. ودار بعينيه ساخراً في وجوه الطلاب وشيوخهم .. ثم فجأة نزل بسيفه على رقبة السجين فأطارها بقسوة مباغتة!

- هااااااااااااا.

التفت (محمد بك) في ذهول إلى مصدر الصيحة .. فعاجله حجر كالقذيفة كاد يطير عينه .. تراجع في ذهول والطلبه وشيوخهم يصرخون ويرجمونه بالحجارة .. اعتلى فرسه بسرعة وانطلق كالصاروخ هارباً من طوفان الحجارة الأزهري!

تعثر أحد جنوده ووقع في أيدي المندفعين .. التفوا حوله وأوسعوه ضرباً بجنون .. راح المملوك الشركسي يبكي ويتحدث بكلام غير مفهوم ..أصبح على وشك الموت .. كانت مجموعة من الطلاب الضاربين من بلاد الشركس .. سأله إخوانهم عما يقول فأخبروهم أنه يحاول النفاذ بحياته ويعتذر ويقول أنه لا شأن له بالكلب القاتل وبأفعاله ..

وصل أحد الشيوخ المغاربة من علماء الأزهر فأمر الطلبة بترك الرجل فنفذوا أوامره فوراً .. أمر الطلبة الشراكسة أن يترجموا له ما سيقوله ثم أمسك بتلابيبه ونظر في عينيه قائلاً في صرامة:

- الأزهر لا تخيفه أفعال عسكرك .. أزهر العلماء باق وأنتم زائلون يا حمقى .. اذهب وقل لـ (محمد بك) أن ما فعله لا يخيفنا .. مهما فعل فالعلماء وطلاب العلم هم طلبة شهادة قبل علم ..

لا يرهب العلماء سيف ..



اجتمع (محمد بك) مع قادة جيشه كلهم .. حتى القادة العثمانيون الانكشارية انضووا تحت لوائه في جيش الضرب .. الآن هو الأقوى على الإطلاق .. ومع ذلك يهينه الأزهر!

ضرب بقبضته على عرشه في غيظ .. انتقل غضبه إلى باقي القادة ..

قال (قرا فضلي بك) في حسم:

- فلنهدمه فوق رؤوسهم ..

قال له (كور يوسف) بك في دهشة:

- نعم ننتقم .. لكن .. نهدم الأزهر؟ تقصد نهدم أزهر العلماء؟!

في غضب نهض (كور علي) هاتفاً:

- اللعنة على العلماء .. لقد أهانوا العسكر .. أهانوا الحاكم .. والله لو سكتنا على هذه المهانة لا نستحق الحياة .. ولا تصبح للجيش رهبة ولا للدولة هيبة ..

هز (كور يوسف) رأسه غير مصدق وهو يكرر:

- نهدم الأزهر؟ أزهر العلماء!

في ثورة وقف (محمد بك) .. أصدر أوامره الجديدة لجيشه:

- فليهدم الأزهر فوق رؤوس من فيه .. ولو كانوا ألف ألف .. فليمت الجميع ماداموا يتحدوننا بهذا الغباء! هم من يستخفون بأمر الدماء .. لا نحن ..

وتحرك الجيش ..



في هلع دخل الشيخ (البنداري) إلى مجلس العلماء .. هتف فيهم:

- يا شيوخ الأمة وعلماءها .. (محمد بك) يحاصر المسجد الآن من

كل الجهات بالمدافع .. أرجوكم احقنوا الدماء .. آلاف من طلبة الأزهر سيقتلون بلا ذنب سوى تهورنا .. بالله عليكم اقبلوا إنذاره الأخير الذي بعثه معي .. إنه يمهلنا دقائق قبل القصف ..

نهض الشيخ (البكري) في هدوء وألقى نظرة من نافذة المسجد الكبرى .. على مرمى البصر تراصت عشرات المدافع في كل الاتجاهات .. الأهالي يحيطون بالجنود ويصرخون في هلع من المجزرة القادمة .. الجنود يجهزون مدافعهم غير عابئين بالصراخ والتحذير .. إنهم بلا حول ولا قوة والأمر يسأل عنه الحاكم العسكري ..

في هدوء أنزل الشيخ البكري الستارة ونظر إلى الشيخ السادات نظرة معروفة، فقال الشيخ (السادات):

- الطلبة كلهم أصروا على المكوث معنا إلى النهاية .. الآن يقومون بقراءة القرآن في المسجد ويجهزون أنفسهم للشهادة ..

التفت الشيخ (البكري) نحو الشيخ بنداري وقال له بنفس الهدوء المثير:

- والله لن يهان العلم والأزهر على يد العسكر في زمننا .. نسأل الله أن يتقبلنا من الشهداء ..

اتسعت عينا الشيخ (البنداري) في ذهول، احتبست الكلمات في حلقه ..

اصطف فجأة كل العلماء وراء الشيخ (البكري) يستعدون للصلاة الأخيرة في خشوع وهدوء ..

ومن بعيد دوى صوت القذيفة الأولى ..



خلافة ديمقراط

تحسس مسند العرش في تهيب، حاول جاهداً التماسك لإظهار الهيبة الواجبة، هو أول الخلفاء ولابد أن يصبح مثالاً يحتذى ..

رفع بصره بهدوء إلى العشرات من العلماء والأصحاب وكبار الأمة، رفع يده في هدوء وحزم قائلاً:

- أما وقد وليت عليكم.. فليعلم الجميع أننا سنحكم بالديمقراطية .. ديمقراطية تضمن حرية العقيدة .. تضمن حرية الرأي .. تضمن الحكم للشعب والسيادة له وحده .. تضمن حرية تشكيل الأحزاب والمعارضة وحكم الأغلبية .. تضمن التعايش السلمي .. تضمن حرية الفكر والإبداع ..

أقسم لكم أن أحترم مبادئها .. وأعدكم أن ترتقوا للرخاء وسيادة الأمم بها ..

تبادل الحضور النظرات، بعضهم في ارتياح وبعضهم في قلق وآخرون في ذعر ..

هذا عصر جديد .. عصر نظام جديد غير معروف لهم من قبل في شبه الجزيرة ..

إنه عصر الخليفة الأول .. ديمقراط الأكبر ..

❁ ❁ ❁

لم يكد أسبوع يمر على استلامه الحكم إذ يستأذن للدخول عليه وفد ضخم ممثلاً لأكبر المدن والقبائل في الجزيرة .. بعد تحية وإجلال قال زعيمهم :

- يا خليفة الديمقراطية .. نريد وقف الزكاة هذا العام .. فالناس ضجت من هذا الأمر في المدائن التي نعيش فيها .. أغلبية أهل مدينتنا يرفضون دفع المزيد منها .

- كيف تجرؤون على طلب الامتناع عن فريضة إسلامية؟

- يا خليفتنا لا شيء فوق الديمقراطية .. السيادة للشعب وأغلبيته تطلب منك أن تلتزم بوعدك الكريم في الالتزام بمبادئها ..

صمت الخليفة مفكراً، بدت الحيرة في وجهه فقرر شيوخ البلاط التدخل دون استئذان فراحوا ينبهون الخليفة أن هذا لا يجوز .. هذه ردة عن الإسلام ..

اندفع شيخ مع الوفد هاتفاً: هذا رأيكم أنتم .. وهو ليس الرأي الفقهي الذي أقررته أنا لمدينتي! لقد انتهى قولي في هذا الأمر أن آيات الزكاة يمكن تأويلها كي تصبح غير مفروضة على كافة المسلمين!

- من أنت يا هذا لتؤول كما تشاء مخالفاً الأمة؟ هذه ردة يا مأفون ..

- ليست ردة .. هذا رأيي الفقهي ..

- هذا ليس رأياً فقهياً يمكن الخلاف فيه .. أنت تدمر أصلاً من أصول الإسلام ..

رفع الخليفة يديه منهياً النقاش .. نظر إلى زعيم الوفد مطولاً ثم قال: مدائنكم أغلبيتها توافق على هذا؟

- أي نعم!

- حسناً .. قم بإيداع الفتوى التي استندت عليها في الدفتردار وسيقوم عاملي على المدينة بأخذ رأي الأغلبية .. إن وافقوا على رفض الزكاة سأرفعها من عليكم!

ضحك الزعيم في سعادة هاتفاً وسط زمجرة شيوخ البلاط:

- ونعم الديمقراطية يا خليفتنا!

هنا اندفع رجل آخر من زعماء الوفد قائلاً :

- يا خليفتنا طلب آخر .. في مدينتنا يريدون حرية العقيدة .. هناك حركة عودة لدين الآباء وأنت وعدتهم بحرية العقيدة .

هذه المرة ارتج البلاط غضباً من الشيوخ ونهض الخليفة واقفاً في استنكار!

- دين الآباء؟ تقصد الوثنية؟ تريدني أن أسمح بالردة عن دين الإسلام؟!

- بل تسمح بحرية العقيدة يا مولاي.

- بل اسمها الردة ..

استحسن الشيوخ غضبته ودخلوا في نقاش ساخن مع الوفد، ترامت الأدلة بين الفريقين، هتف شيوخ البلاط أن الأدلة المقدمة لحرية الارتداد خائبة لا عقل فيها ولا شرع .. بينما رد عليهم الوفد بأنها أدلة أقنعتهم وهم أحرار فيما يؤمنون به!

جلس الخليفة على عرشه مرة أخرى .. وضع راحتيه على ركبتيه وظل ثابتاً لدقائق يفكر ..

- استفتاء

- ماذا؟

ابتسم الخليفة قائلاً:

- لنقم بصنع استفتاء .. هل تؤيدون حرية الردة أم لا .. ولنستفت فيه الأمة كلها!

- يا مولاي .. إن قلت حرية الردة فقد حكمت بسقوطنا مبدئياً بالانحياز لخصومنا .. الديمقراطية تقتضي التوافق .. فلنسمه اسماً ديمقراطياً: استفتاء على حرية العقيدة ..

أشاح الخليفة بيده لينهي الأمر .. هو واثق بأن الشعب لن يختار طريق هؤلاء ..



صباح الاستفتاء امتلأت الشوارع أمام اللجان بأهل الجزيرة .. الكل قرر القيام بالتصويت .. انتشر مندوبو (حركة الحرية والسلام) أمام اللجان ينبهون الناس أن الإسلام يكفل حرية العقيدة .. لابد من احترام هذه القيم والتصويت بنعم لحرية العقيدة .. الكل تأثر بعد أيام طويلة من عمل هذه الحركة الدعائي صباحاً ومساء .. الأغلبية قررت التصويت بنعم .. نعم لحرية العقيدة .. نعم لمبادئ الديمقراطية ..

هكذا خرجت نتيجة الاستفتاء مساءً و(نعم) متفوقة بنسبة ٩٠ %!

حاول الخليفة التماسك برغم المفاجأة، كيلا يشمت فيه الكثيرون خرج مبتسماً يبارك النتيجة أياً كانت .. فهكذا هي الديمقراطية!

وإن هي إلا أيام حتى بدأت حركة الردة وسط أهل الجزيرة خاصة قلبها .. سعداء مطمئنون إلى الحماية الدستورية والقانونية التي وفرها لهم الخليفة احتراماً للاستفتاء والديمقراطية ..

خرج جمع من شيوخ القصر في الإعلام يطالبون بحرب المرتدين وقتالهم .. قاطعوا الخليفة ولم يأبه لهم .. لكنهم قوبلوا بحملة ازدراء واسعة خاصة بعدما وصفهم إعلام الأغلبية المرتدة بالمتعصبين

الثيوقراطيين والمتطرفين المجانين، هكذا حوكموا بعد قليل بتهمة ازدراء الأديان الأخرى وخاصة الآلهة الكبرى (يغوث ويعوق ونسرا) مما هدد السلم الاجتماعي.. وبسرعة حكم عليهم القضاة بالسجن لعشر سنوات! صرخوا مطالبين بحرية الرأي .. لكن القاضي ذكرهم بأن أي رأي يخالف الديمقراطية والتسامح من الضروري عدم التسامح معه ومنع حريته!

هكذا رسخت حرية العقيدة وانتشرت الردة بل وظهرت عقائد مخترعة جديدة!

وهللت الصحف بصورة مستمرة:

نعم لحرية العقيدة .. نعم للديمقراطية .. نعم للخليفة.. لا وألف لا لدعاة الفتنة!



اقتربت الانتخابات البرلمانية التشريعية ..

يمكنك معرفة هذا بسهولة من صور المرشحين المنتشرة في كل مكان .. تذكر أن المنافسة شرسة وحزب الأغلبية سيشكل الحكومة ومنه سيكون رئيس الوزراء ..

زعيم أشد الأحزاب تنافساً وشعبية هو حزب (الحب والسلام) لمسيلمة بن حبيب، يمتلك شعبية قوية جداً بين الأغلبية والحق

يقال .. يتنافس معه بقوة الآنسة (سجاح بنت الحارث) .. ربما تأخذ المركز الثاني إن بذلت مجهوداً أكبر .. لكن المفاجأة أنهما دخلا ائتلافاً واحداً في قائمة موحدة أمام قائمة حزب (المستمسكين بالكتاب) الأصولي ..

في يوم الانتخابات التشريعية الديمقراطية امتلأت الشوارع حتى آخرها .. الكل قرر أن يحتفل بهذا العرس الديمقراطي السعيد .. الكل قرر المشاركة .. هذه أول انتخابات تشريعية في عهد الديمقراطية وسينبني عليها الكثير والكثير ..

نجح حزب (مسيلمة بن حبيب) نجاحاً هائلاً .. تم إعلان مسيلمة رئيساً للوزراء و(السيدة) سجاح صاحبة المركز الثاني نائبة له .. استقبله الخليفة في قصره سعيداً بهذا الإنجاز الذي يؤكد وفاءه للديمقراطية .. هلل العالم كله فرحاً بهذا الإنجاز العظيم حيث يتوافق الخليفة المسلم مع رئيس وزراء مخالف في العقيدة، وتقاطرت عشرات الوفود من دول الفاتيكان وفارس وهندوستان معربة عن تقديرها لاختيار شخص توافقي عظيم كـ (مسيلمة) لرئاسة الوزراء ورئاسة السلطة التشريعية الحالية .. كل العالم دعم حزبه ودعم التجربة الديمقراطية وأشاد بالخليفة الديمقراطي ..



نزل التشريع الأول من البرلمان ذي الأغلبية التابعة لمسيلمة بإلغاء الصلاة في المساجد .. هاج علماء الدين على (مسيلمة) وخرجوا في مظاهرات غاضبة .. تركهم (مسيلمة) يعبرون عن رأيهم بالطرق السلمية ورفض لجوءهم للعنف مع التنبيه أنه فعل هذا مضطراً لتوفير أوقات زائدة للعمل ونهضة الأمة .. أعلن بعضهم الجهاد المسلح ضده فاتجهت قوات الأمن لتعتقلهم فوراً وتحولهم للمحاكمة بتهمة محاولة قلب نظام الحكم والردة عن الديمقراطية .. قام بالتنبيه في وسائل الإعلام أن الأفاكين يعتقدون أنه يفعل هذا لعداوته للإسلام .. إنما هو يشرع ذلك لرغبته في زيادة أوقات عمل المسلمين وبالتالي سرعة بناء النهضة الكبرى ..

بعد أيام استقرت الأمور .. وأعلن الخليفة احترام حكم الأغلبية .. أعلن حزب (المستمسكين بالكتاب) المعارض أنه سيستمر في محاولة إلغاء التشريعات المخالفة عبر البرلمان حتى لو نزل ألف انتخابات .. لكنه لن يرتد عن الديمقراطية واحترام الصندوق أبداً ..

هكذا زاد الانتعاش الاقتصادي من مساعدات الدول الأجنبية لـ (مسيلمة) .. وأصبح أقوى رئيس وزراء .. حزبه الديمقراطي زادت شعبيته كثيراً ..

في الانتخابات التالية أصبح حزب الأغلبية الساحقة .. وهتف

الملايين لـ (مسيلمة) بطول العمر ..

❁ ❁ ❁

ضربة ساحقة .. قوية مركزة .. نسفت مجموعة من جند حدود دولة الجزيرة ..

هاجت القيادات العسكرية، الخيانه أتت من دولة الفرس، لابد من تأديبها يا خليفتنا ..

استدعى الخليفة رئيس الوزراء .. رفض (مسيلمة) هذا التهور وطالب بضبط النفس .. ثار العسكر عليه فاحتكم إلى الخليفة طالباً إعطاءه الفرصة للحل السياسي في إطار التعايش الديمقراطي بين الدول .. فكر الخليفة قليلاً ثم أعلن القرار النهائي :

- سنجري استفتاء داخلياً سرياً في البرلمان .. نعم لرد العدوان وتأديب الأعداء أم لا ..

طقطق (مسيلمة) بلسانه معترضاً .. كان قلقاً بسبب ضرورة حصوله على أكثر من ٩٠ % لهذا الاستفتاء كي ينتصر .. هكذا أخبره أن المعارضين لا يرونه اعتداء أصلاً إنما هو خطأ يمكن معالجته .. فليكن الاستفتاء في البرلمان على هذا المسمى على الآتي: نعم للتعايش السلمي مع الدول المجاورة أم لا ..

أقره الخليفة على ما يرغب .. المعاني متشابهة ولا يرى فارقاً جدياً بينها ..



قبل الاستفتاء نشطت الأحزاب المعارضة للحرب كلها .. انتشر شباب (حركة الحرية والسلام) في الشوارع يحذرن النساء .. احذرن يا نساء .. سيأخذون أزواجكن وأولادكن لحروب وهمية وتجارب مرعبة مهلكة .. التعايش السلمي هو الحل وهو الإسلام .. اضغطوا على نوابكم فهناك استفتاء سري سيوردكم المهالك ..

خرج الملايين ليحذروا نوابهم من مغبة التصويت في الاستفتاء المفضوح بغير التعايش .. من مغبة اختيار طريق الهلاك والمغامرة ..

هكذا كان استفتاء البرلمان نتيجته ساحقة. خرجت النتيجة الساحقة .. ٩٥ % يؤيدون التعايش السلمي .. انهزم العسكر ورضوا بالأمر الواقع، حاولوا حل مشاكلهم مع أعدائهم بالطرق السلمية والمعاملات الدولية .. انهارت هيبة الدولة في كل موطن لكن الشعب ظل سعيداً والخليفة ازداد حبوراً بتجربته الديمقراطية الفريدة التي يستفتي الشعب فيها في كل شيء ..

بعد شهور قليلة حدث التصالح على أن يجري العسكر أول صفقة

سلاح أجنبية بالشراء من بلاد الفرس كي تتوثق الصلات بينهما ويتوقف الفرس عن الاعتداء!



باستحياء وخفاء .. ثم بفجر واستعلاء .. ظهرت إلى العلن صراحة صحيفة (الغلمان والشيوخ) .. برئاسة تحرير الأديب الشهير (أبي نواس) ..

طالبت الصحيفة بنشر الحرية على أوسع نطاق .. التخفف من قيود الماضي الجنسية والانطلاق الليبرالي الذي تحميه الديمقراطية المتقبلة لكافة الآراء وتنوعها ..

ثار النقاش المجتمعي .. بدأت تظهر قصائد غزل بين رجال ورجال .. هرع (حزب المستمسكين) لتنظيم تظاهرات معترضة .. تبنى الخليفة رأيهم وقرر إغلاق الجريدة .. رفع (أبو نواس) وأنصاره القضايا أمام المحكمة الديمقراطية الدستورية العليا .. لابد من الحرية الصحفية والديمقراطية .. لا ردة عن الديمقراطية ..

صدر الحكم بإيقاف تنفيذ قرار الخليفة .. وتعويض صحيفة (الغلمان والشيوخ) عن الأضرار التي حدثت جراء الإيقاف .. جاء في حيثيات الحكم أن الخليفة ملتزم بحرية الرأي .. حرية الفكر والفكر الآخر .. حرية الصحافة أمر مقدس فوق كل اعتبار .. وهو من مكتسبات الديمقراطية التي لا ردة عنها ولا انتكاس ..

الديمقراطية فوق الخلافة وفوق الجميع .. الديمقراطية تعني حرية الإعلام ..

خرج آلاف الشواذ إلى الشوارع فرحاً .. نظموا مسيرات سلمية مقابل مسيرات الرأي المطالب بوقفهم .. قامت الدولة بحماية كل المسيرات وأعلنت الحياد الديمقراطي بين كافة الآراء ..

مع نهاية الأسبوع قررت (بنت النعمان) إنشاء جريدة خاصة للشاذات فقط .. وأعلنت عن ميزانية كبرى لتصوير أول فيلم يعرض قضايا الشواذ ومشاكلهم النفسية في إطار حرية التعبير المكفول بقوة القانون الديمقراطي!



هكذا ضج العالم بالشكوى .. الوثنيون قبل النصارى أعلنوا ضرورة إيقاف مستنقع الروائح النتنة والشذوذ هذا .. لابد من ضربة تنهي الأمر ..

سراً حدث تجهيز لحملة عالمية كبرى، باتحاد بين فارس والفاتيكان ودعم هندوستان .. انقسم شعب الخليفة بين مؤيد ومعارض للتدخل الأجنبي! كان هناك رأي قومي يرى ضرورة رد العدوان وسحق المعتدين وكان هناك رأي ليبرالي يرى أن الإنسانية تسع الجميع ويمكن دخول دولة الخلافة في طوع المعتدين تقليلاً

للدمار .. احتار الشعب بين الآراء التي انهالت عليهم ليل نهار في الإعلام ..

استقر الرأي على معرفة رأي العسكريين .. هذا جيل جديد تربى في أكناف السلاح الفارسي .. هدل قائد الجيش كتفيه وقلب يديه قائلاً في حسرة: ماذا بيدي لأفعله .. جيشي لم يحارب أبداً وسلاحي كله فارسي مصمم بحيث لا ينطلق ضد فارسي آخر .. فلنستسلم لحفظ الدماء!

أقرت الأغلبية هذا الرأي وانتصر الفكر الإنساني الليبرالي على الفكر القومي .. طلبوا ضمانات غربية أن يقوم الغزاة باحترام الشعب وحفظ دمائه .. قام الغرب بتقديم التعهدات فوراً غير مصدق لما يحدث، واجتاحت جيوشه الدولة سريعاً..



أمام قصر الحكم وقف الخليفة يسلم دستور بلاده الديمقراطي للفاتح الفاتيكاني ومعه الحاكم المدني الفارسي .. نظر الفاتح إلى دستوره ساخراً ثم أطار رأسه بلا تفاهم!

- ما أسقطك إلا هذا .. فهل تظننا نعمل به حقيقة؟

ما كنت إلا قرداً غبياً .. مقلداً بلا دراية ..



وسط الدمار والهلاك الذي عم من الجند الغزاة الذين لم يروا فائدة من حفظ المواثيق والعهود مع هذه الأمة الخانعة، فتحت السجون وخرج منها آلاف المعتقلين منذ سنوات طويلة .. ارتعدت أحزاب البرلمان المنحل من خروج هؤلاء أكثر من الغزو الأجنبي، وتجمعَ الأنصار والمؤيدون في مقرات أحزابهم الكبرى .. وكلوا وفداً من حزب المستمسكين للذهاب إلى (أحمد بن عبد الله) قائد الخارجين الجديد الذي كان قد جمع المساجين وصنع بهم كياناً مقاوماً وأعلن ضرورة تنظيف الأمة من المخربين أنصار خلافة ديمقراط .. ذهب علماء وكبراء حزب المستمسكين طوال اللحى إليه ماسكين المصاحف يطلبون منه الأمان لهؤلاء ..

نظر إليهم في غيظ .. شد أحد المصاحف من يد أحدهم وقال:

- امتلكتم الحق في أيديكم .. فكيف رضيتم بمجاورة الباطل بل الرضا به حاكماً؟

- رغبنا في تجنيب الأمة ويلات الصراع والهلاك ..

- وها قد هلكت وجعلتم الناس يخسرون دينهم ودنياكم .. أنتم أئمة الضلال حقاً!

أصاب الوفد الذعر الشديد وقال رئيس الحزب محاولاً التهدئة:

-لنا اجتهادنا في هذا ..

-تطويع المسلمين للرضا بالطاغوت والكفر والعيش في أكنافه؟ سخافة وليس اجتهاداً .. بئس ما صنعتم أئمة الضلال ..

وشهر سيفه فجأة قائلاً:

- أنتم من فصلتم الدين عن السياسة عمداً وعن علم وقصد .. ألا تباً لكم ولواسطتكم وموسّطيكم ..

بكم أبدأ يا ظالمي أنفسكم!



استفاقة

بلا قلب مريضة؟!

أنا بلا قلب؟!

أنا مريضة؟!

ياله من مجتمع منافق .. يعيش في عالم منافق .. يتهم أي صريح فيه بأبشع التهم!



لقد مات (محمود) ..

طبعاً هذا أمر متوقع .. الحالة كانت في المرحلة الأخيرة من السرطان عندما قمت باستلامها .. ماذا أفعل له؟

هكذا قمت بالإجراءات الروتينية، كان أهله ينتظرونه في الخارج .. خرجت لأبلغهم برغم صعوبة هذه الجزئية بالذات .. الحقيقة أنني كنت مشغولة جداً في التفكير بلقائي مع خطيبي اليوم في منزلنا .. علاقتي متوترة به الفترة الأخيرة ولا أفهم السبب ..

هكذا في وسط تفكيري هذا لم أنتبه إلى أني أبلغت الأهل بموت طفلهم بطريقة روتينية آلية ..

أفعلها دائماً ببرود شديد ودائماً ما يدهشني رد الفعل الهستيري! ماذا كنتم تتوقعون؟ الفتى جاء في آخر مراحل مرض أكيد كلكم كنتم عالمين بنهايته .. فلماذا هذه الهستيريا؟ لماذا ينقض البعض علينا معشر الأطباء وبعضهم يشتبك فعلاً في عراك! كأنني أنا من قتلته؟

حسناً .. يبدو أن هذه الأسرة من هذا النوع! الأب يصرخ في جنون مطالباً برؤية ابنه والأم تلطم وجهها في هستيريا .. الأخ الأكبر للطفل (محمود) وهو أكثرهم تعقلاً لهذا فقط تدور عيناه الدامعتان في محجريه بجنون!

المشهد المعتاد! رن جرس هاتفي فأخرجته وأنا أستدير راحلة .. إنه (رامي) خطيبي .. ابتعدت عن مشهد الصراخ وقد فتحت الهاتف مبتسمة .. أهلاً رامي .. كيف حالك .. صراخ من بعيد؟ نعم يا رامي .. طفل توفي منذ دقيقة .. المعتاد!

هنا فوجئت بيد تربت على كتفي .. استدرت مندهشة مستعدة للانفجار لأن اليد كانت ذكورية .. كيف لذكر أن ينتهك الهالة المقدسة حول جسدي؟

كان الأخ الأكبر للطفل (محمود) .. وجدته يقول لي بطريقة رهيبة:

- أنت مريضة! أقسم بالله أنك مريضة! أسأل الله أن ترى هذا الموقف في أولادك!

هرع الزملاء يبعدونه عني ويهدئون من روعه بينما ظل يصرخ معلناً أني مجرد شخصية مريضة!

مجنون! السفالات والوقاحات المعتادة! إنني أرى كل يوم أشخاصاً كثراً يموتون منذ تم تعييني في هذا المستشفى .. فلماذا يظن الأحمق أن أخاه بهذا التميز؟ كلها (حالات) وكلها (تموت) ولا ذنب لي في هذا!

غالباً يدعي أني مريضة لأني لم أخرج عليه لاطمة وجهي باكية! لو فعلت ذلك يا حمقى ما استطعت البقاء لساعة واحدة في هذه المهنة! لابد أن نتعامل معكم تعاملاً مادياً صارماً .. أنتم مجرد (حالات) .. اسم وجسد مريض يشارف على مفارقتي .. أي تجاوز أو خرق لهذه القاعدة يهدد حياتي كلها بالدمار!

كان (رامي) يستفسر على الهاتف عما حدث .. أخبرته بألا يقلق .. وكأني أشجعه ابتسمت له في الهاتف - وهو يرى ابتسامتي في صوتي - لأؤكد على انتظاري له اليوم بشوق ..

أغلقت الهاتف واستدرت .. أمامي متابعة حالة أخرى ثم أرحل .. غالباً هي الأخرى ستموت وسأتحمل بعض سخافات أهل هذا الطفل الآخر!

ماذا دهى هؤلاء الناس؟



زميلاتي يلمنني!

كنت أستشيط غضباً منهن كل مرة .. ولم أسع لمصادقة أي حرباء منهن لهذا السبب بالذات!

هن يَلُمْنَنِي على أسلوبي العملي البارد في إخبار أهل المتوفى بالحالة .. كنت أعرف منهن من لن تبالي حتى لو احترق المستشفى بمن فيه من الأطفال .. لكنهن مع ذلك يتصنعن الأسى وقت إخبار الأهل بوفاة أقاربهم!

يعتبرهم الأهل: ملائكة .. بينما أراهن أنا مجرد شياطين! إنهن منافقات .. أقسم ألف مرة أنه بينما تتحدث إحداهن بصورة متعاطفة تكون في قمة السعادة لأن خطيبها أرسل لها رسالة رومانسية!

ما ذنبي إن كنت لا أعرف النفاق مثلكن؟ ما ذنبي إن كنت لا أقدر على تصنع المشاعر؟

نحن باردات العواطف مع المرضى .. هذه هي الحقيقة يا منافقات .. هناك قلة منا عواطفها مشتعلة ولكنها غالباً مع الأيام تتعود على البرود الداخلي .. وإن لم تفعل عاشت معذبة بروح محترقة وغالباً ستفشل في مهنتها ..

لابد من التجرد .. هكذا نفعل .. لكن مشكلتي أني صريحة في هذا التجرد .. بينما هن يجدن اللعب بوجهين!

هكذا أترك المستشفى متضايقة من حديثهن الأخير .. برغم أنه متكرر لكنه يثير شيئاً بداخلي يجعلني مستعدة لتمزيق وجه إحداهن الآن!

لابد أن أهدأ تماماً .. لدي موعد ..



في المنزل كان لقائي مع خطيبي .. (رامي) هو طبيب أمراض باطنة، وهو ما يعني أنه اختار فرع (المحيط اللانهائي الاحتمالات) في طب! لكنه يملك عيادة مستقرة أنشأها له والده، ولديه شقة يقوم والده بتجهيزها حالياً ..

ماذا؟ تتزوجين رجلاً يقوم والده بكل شيء؟

أمر مضحك! الشقة ثمنها يقارب الربع مليون جنيه والعيادة إيجارها الشهري يكاد رامي بصعوبة يتحمله من دخل العيادة .. فمتى سيكون بمقدوره أن يدخر مبلغ الربع مليون جنيه هذا؟ إنه مثل أي شاب حالياً، إن لم يستطع إيجاد مصدر مساعد من أهله خاصة في موضوع الشقة فلن يكون بمقدوره الزواج قبل منتصف الثلاثينات من عمره! لا تحدثني عن شقة بالإيجار من فضلك فأهلي وأهل أغلب البنات

يعتبرون هذا الأمر (استهزاء ببناتنا وبمستقبلهن) كما أنه يحمل (عدم تقدير واضح لأهل العروس)! كأن مستقبل كل فتاة مع زوجها يضمنه أن تكون الشقة باسمه!

هكذا طبعاً يوافق أهلي وأهل غيري (بل يرحبون وأحياناً يطلبون) على المساعدات الهائلة التي يقدمها أهل خطيبي .. في حين منذ ثلاثة عقود فقط ربما كان يُنظر لهذا الأمر في أي أسرة على أنه (ضعف من العريس) فتناله السخرية لا محالة!

مجتمع منافق .. المعايير تختلف من زمن لآخر لكن النفاق ثابت .. هذه هي الحقيقة التي أؤمن بها ..

جلس (رامي) معي بينما تركنا أبي وحدنا .. لقد كتب كتابه علي فعلاً فلا مشكلة هناك فهو من الناحية النظرية (زوجي) لكن من الناحية العملية هو بمثابة (نصف مُحرم علي)!

(رامي) شاب مرهف الحس، وهذا يثير ضيقي أكثر وأكثر .. لكني فعلاً أحبه فهو يتفهمني وله صفات مضادة لي تماماً! نعم .. أنا أعتبر الصفات المتضادة بين الزوجين من أكبر الميزات للزواج إن استطاع كل منهما التعامل بحنكة وتلافي مواطن النزاع الكبرى ..

وجد في صوتي بعض الضيق فسألني عن السبب .. اندفعت أحكي له الموقف الذي حدث اليوم وحديث زميلاتي وطلبت منه الرأي ..

ظل ينظر لي في صمت ودون تعليق .. ثم أشاح بوجهه ليأخذ نفساً عميقاً قبل أن يعود بوجهه إلي قائلاً في جدية:

- الحقيقة أنني كنت أريد مناقشتك منذ زمن في هذا الأمر .. لابد أن تقومي بمراعاة مشاعر الناس .. الموت مصيبة .. عندما يقول ربنا عنه أنه (مصيبة) فهذا دليل على فداحة الأمر .. لابد أن تضعي نفسك مكان أهل المريض ..

تباً! نفس الكلام تقريباً لكن بصورة مخففة! إن أحد أهم أسباب ارتباطنا بأطباء من نفس مهنتنا هي أن لا نتلقى مثل هذه الاقتراحات الرومانسية السخيفة والمهلكة في نفس الوقت!

- لو وضعت نفسي مكان أهل كل مريض لقضيت حياتي في فجع مستمر! هل لابد أن أذكرك كطبيب بهذه القاعدة الذهبية؟ ثم إن تكرار رؤية الموت لعشرات الساعات أسبوعياً يجعل الأمر مجرد (فعل آخر) من أفعال الحياة .. أنت تطالبني بشيء مستحيل تقريباً يا (رامي) .. أنا أعمل في عنابر الأورام وهذا مختلف عن عملك ..

- أرجو أن لا تسيئي فهمي يا حبيبتي .. لكن أنتن تنسين أنكن فتيات!

- فتاة بدأت في رؤية الجثث والتعامل معها في مطلع العشرين من عمرها! هذه هي حقيقة الفتاة الطبيبة! لابد أن تفهم أن هناك جزءاً

كبيراً من أرواحنا يتجمد تماماً رغماً عنا ..

ثم لماذا تلومني؟ اذهب وألق لومك يا رامي على المجتمع الذي يصر على جعل فتاة صغيرة السن تتعامل مع الجثث! أي أحمق هذا الذي يتصور أن حياتنا ستصبح كفتاة أخرى قضت حياتها تدرس التاريخ أو الأدب أو العلوم النظرية محتفظة بأنوثتها ومحتفظة بقدرتها على الصراخ والإغماء إن رأت قطرتين من الدم؟!

- وما الحل؟ لابد من نهاية لهذا الأمر! لابد من أن تفيقي وأن لا تجرحي الناس .. تعلمي أن تقدري حجم مأساتهم .. أرجوك افعلي فمخاطر اعتداء أحدهم عليك تتزايد بلا توقف ..

هكذا أقضي ليلتي أفكر في كلامه .. في رأيي هو يريدني منافقة مثل تلك الفتيات الأخريات .. يريد مني أن أرتدي قناعاً أبلغ به المرضى وأهلهم! والدي طبيب وكان يثير غضبه ما يسمعه مني وهو يؤكد أنني (غشيمة) وسأتسبب في كارثة لنفسي بهذا البرود الظاهر ..

ما الحل؟



هل هي روحي؟

هل هناك مشكلة فيها؟

ها أنا أجلس أمام (عاصم) الفتى ذي العشر سنوات .. إنها أيامه الأخيرة بالتأكيد ولربما كان اليوم بالذات هو النهاية ..

كيف يمكن لطبيب العناية المركزة أن يمتلك مشاعر مرهفة؟ مستحيل! سيموت كمداً! ما بالك إن كانت فتاة!

إن (عاصماً) هو شيء .. جسد مادي سيتلف وينتهي .. لابد أن أتعامل معه هكذا ولا أزيد ..

فتح (عاصم) في هذه اللحظة عينيه .. نظر لي بينما تلاعبت على فمه ابتسامة! لم أفهم! سمعت صوت جليد يتهشم ..

ظل مبتسماً لثوان .. مد يده ولمس كفي برقة شديدة قائلاً: ماما!

ثم أغمض عينيه مرة أخرى مكملاً الغيبوبة!

هذا أمر غريب .. هذه الابتسامة الحية .. هذه الابتسامة القادمة من جسد مادي تلف تماماً ..ثم: ماما! ما معنى هذا!

هناك هزة تلو الهزة حدثت بداخلي منذ تلك اللمسة .. لقد كنت أحب اسم (عاصم) .. هو اسم أبي وقد وعدته بأن أسمي ابني القادم بنفس الاسم .. فجأة شعرت بهلع .. هناك قنبلة من الذعر انفجرت بداخلي .. ماذا لو كان هذا ابني فعلاً؟ ماذا لو كنت أنا أُمه فعلاً؟

إن إحدى أمنيات حياتي هي طفل كهذا .. إن الزواج بالنسبة لنا معشر الفتيات لا يتعلق بحاجاتنا البيولوجية فقط قدر ما يتعلق

بحاجات أخرى تمس العاطفة والقلب .. الحمقى يعتقدون أن قلبي ميت بينما قلبي حي ينبض .. إنه يكاد يمزق صدري الآن .. إننا فقط نقوم بتزويده بحاجز شفاف يمنع التأثر بالمرضى كي نقدر على النوم!

هذا الحاجز انكسر الآن! بالتأكيد هذه الدماء التي تسيل من قلبي الآن سببها شظايا هذا الحاجز ..

هكذا أشعر بلمسة (عاصم) وهو رضيع يفيق من نومه ليتأكد من نومي بجواره فيبتسم مطمئناً ويكمل نومه .. هكذا أشاهد هذه الابتسامة عند رؤيتي عائدة من العمل لرعايته وأخذه من جدته .. هكذا أشاهدها وهو ذاهب إلى المدرسة وقد تعود عليها وعلى أصدقائه الجدد .. أول مرة يلعب فيها الكرة مع والده .. أبتسم أنا وقد جهزت حياتي كلها للتزود من هذه الابتسامات المستمرة ..

ثم فجأة يجيء المرض .. فجأة تختفي الابتسامة .. فجأة يهددني بالرحيل وهو لازال طفلاً .. ابني يستعد للرحيل الآن؟ لماذا لا أذهب أنا؟ لماذا يتلقى هذه الآلام الرهيبة بينما جسدي سليم؟ والآن هو على بعد ساعات من الرحيل النهائي ولازال يبتسم؟ هل تكون هذه آخر ابتسامة في حياته؟ أي شيء في الكون قادر بعد هذا على إسعادي؟ ابني المبتسم راحل الآن .. سيغادرني بروحه تاركاً جسده المادي في حوزة طبيبة لا تشعر به! بل ستخبرني ببرود عن وفاة نصف الكون بالنسبة

لي! تخبرني بهدوء أن حياتي القادمة ستكون في جحيم مستمر!

غريب أن عشرات الحالات لم تفعل بي هذا! ما الغريب في هذه الحالة بالذات؟ لماذا يحدث الانهيار في لحظة غير مفهومة؟

نهضت واقفة دون كلام زائد ..

لابد من استفاقة!



حفيدات نسيبة

استعد القائد (طيفور خان) للهجوم .. إنه مع عشرات القادة الآخرين يجهزون أنفسهم لدك عاصمة الخلافة .. إنه سيدك بغداد دكاً فوق رؤوس أهلها ..

نظر إلى جيشه الضخم والفيلق الخاص به .. إنه يعرف مقدرة هؤلاء الرهيبة لكن الأمر ليس بهذه السهولة .. إن شعوره الآن يشبه نفس شعور شاب من قبائل (الكيكويو) الأفريقية واقف على مشارف واشنطون يستعد لضمها لدولته!

اندفع الجيش إلى داخل بغداد، إنهم في حالة نشوة وسعادة غامرة لا مثيل لها في تاريخ التتار كلهم ..إن هذا هو أكبر نصر حققه المغول في التاريخ!

دخلوا على النساء في خدورهن .. نساء هذا العصر كن استكن للوداعة والهدوء .. لا لوم عليهن فالخليفة نفسه كان غارقاً في ملذاته وشهواته .. راحوا يخرجون النساء من منازلهن ليغتصبوهن في قارعة الطريق .. راحوا يعبثون بالرجال وكل صاحب شهوة وجد بغيته .. هذا رجل واقف يمسكه بعضهم ليشاهد امرأته بلا حول ولا قوة تغتصب أمامه فهي لم تتعلم يوماً أي وسيلة من وسائل الدفاع عن النفس!

الحيلة معروفة .. اقتل او كبل الرجل وحينئذ تصبح النساء كأكياس الوسائد في أيديكم .. افعلوا بهن ما شئتم واقتلوهن فلن تفعل أكثر من الصراخ!

لكن هذه لم تكن الحادثة الوحيدة ..

هذا التتري الذي يغتصب هذه المسلمة الواقفة بلا حول ولا قوة لم يكن الأول ولن يكون الأخير ..

إن الصليبي الذي عاث في الشام فساداً فعل ما هو أقبح منه .. لقد نفذ حرفياً أغلب ما جاء في سفر (يوشع) في كتابه المقدس ..

ما موقف النساء من مغتصبيهم؟

كالأفراخ بين الذئاب طبعاً .. لا حول ولا قوة ..

هل وقفت على التتري والصليبي وافاق المسلمون؟

لا ..

سيجيء الإسباني ثم الفرنسي .. سيرحل الفرنسي ويأتي الإنجليزي ..

حال النساء في هذه العصور هو هو .. دخول جيش معاد للإسلام إلى أي مدينة إسلامية يتبعه ذبح كبير للرجال واغتصاب واسع للنساء!

لكن في العصر الحديث تغير الحال!

❁ ❁ ❁

إن الليوتانت الكولونيل (توني يانج) يعرف جيداً أنه ليس محبوباً

للغاية بين القيادات العليا في الجيش الأمريكي .. لكن كفاءته كانت فوق كل اعتبار ..

إنه ليس من الحمقى الذين يؤكدون أن أمريكا دولة بلا عنصرية .. بل هو يعرف هذه العنصرية جيدا وشاهدها عن قرب .. إنه أب ذو أصول شمال صينية تترية وأم أمريكية ..

كيف حدث هذا الزواج؟

يحكون عن أن الحب كان فوق كل اعتبار عنصري وهي زميلته في العمل و.. و..

والحق أيضاً أن والده كان شديد الوسامة ومن عائلة كبيرة ..

لكن لم يغفر له الكثيرون هذا الأصل المختلط .. ذموه به كثيراً في أقرب (عراك) أو (خلاف كبير) .. لكنه بالفعل أثبت للجميع أنه أمريكي صادق متعصب .. هو ذو ملامح تميل للأمريكية قليلاً أيضاً وهذا سهَّل الأمور أكثر ..

زائد على هذا اعتناقه للمسيحية بعصبية وعنف .. إنه يعتبر (القس المرشد) بالنسبة لجنوده .. لكنه صاحب نظرية معينة فيها وحشية مع المسلمين بالذات ..

الآن هو يقف فوق دبابة يراقب فيها أحد منافذ الدخول إلى بغداد .. لقد جاءت الأوامر بمراقبة هذا الطريق كيلا يدخل أحد (العناصر

المتطرفة) إليه ويتسلل إلى بغداد .. وهو يكره المتطرفين أعداء أمريكا .. بل هو يكره المسلمين جميعاً بلا تمييز والحق يقال .. إنه امريكي صليبي ذو تاريخ كونفوشيوسي ملحد وعلاقات صهيونية مع بعض الزملاء اليهود!

ماذا تتوقع إذن؟!

بل لقد اختار بغداد بنفسه كي يخدم فيها لأنها تذكره بما فعله جدوده التتار وما ينوي فعله الآن مع التتار الجدد!

المهم .. إنه مستمر في مراقبة هذا الطريق الآمن حتى الآن .. الإخبارية هامة جداً اقتضت مجيئه شخصياً .. لكن من الواضح أن الأمر لا يعدو إخبارية كاذبة أخرى .. فليرح نفسه قليلاً وليرح جنوده معه ..

شاهد سرباً من الفتيات يسير نحوه .. حوالي عشر فتيات في سن المراهقة ووجوههم منورة من الجمال .. ذاهبات إلى مدرستهن طبعاً ..

تحركت في داخله مشاعر كثيرة .. نظر إلى جنوده المتوحشين فرأى نفس النظرات الجائعة ..

تلاعبت ابتسامة على ثغره .. إن جنوده منذ زمن وهم يحتاجون لبعض اللهو مع القطط ..

لابد أن تمر هذه الفتيات بنقطة التفتيش هذه .. أشار لجنوده من

أجل الاستعداد لأسلوب معين نفذوه عدة مرات من قبل ..

تحركت الفتيات نحو جندي التفتيش .. كانت هناك جندية أمريكية للتفتيش بجواره لكنها مصابة بالشذوذ وهي ليست أفضل حالاً من الأمريكي المجاور لها .. بل إن تحرشها أكثر فجاجة!

بعد أن مرت الأربع فتيات الأولى هتف (توني) فجأة صارخاً .. اندفعت الطلقات في الهواء وركض جنديان وراء الست الباقيات .. اندفعن ركضاً هاربات إلى منازلهن في رعب، بينما احتبست الأربع الأخريات مع جنوده .. تبادل الضحكات بينما اتسعت أعين الفتيات في هلع وقد فهمن ما سيحدث .. سمعن كثيراً عن هذا لكنهن لم يكن يصدقن أن يحدث هذا معهن! كل مسلم حالياً لا يشعر بالخطر من آلام إخوانه .. بل لابد أن يقع فيه هو نفسه!

اقتربت منهن الجندية الأولى وثلاثة جنود أمريكان آخرون .. راحوا يرددون لهن: هيا نبدأ الحفل يا جميلات ..

أخذوهن قسراً في إحدى المدرعات والفتيات كالأفراخ .. لقد علمنا الغرب كيف نعطي الفتاة حريتها في كل شيء متعلق بإظهار المفاتن .. بينما ترك تعليمهن سياسة الدفاع عن النفس والعِرض إلى المزاج الشخصي للحكام العلمانيين!

لم يتهاون في حربه من أجل إعطاء الحق لكل مسلمة في التعري

بينما لم يكترث كثيراً في إعطائها الحق في القتال دفاعاً عن نفسها!

بالطبع تمت الحفلة على خير .. مسلمات هذا العصر لم يشفع لهن تعليم ولا غيره .. لازلن أفراخاً لكل محتل مغتصب! علموهن ألف شيء لا فائدة منه ولم يعلموهن أهم شيء لأمة مهددة بالاحتلال العسكري في كل لحظة!

في النهاية قتلوهن طبعاً .. سيقذفونهن في الصحراء بلا مبالاة .. ومن سيأتي للسؤال سيتم اعتقاله وربما قتله بتهمة التطرف!

لقد قاومن كثيراً أثناء الاغتصاب .. لكنها مقاومة مضحكة شبيهة بمقاومة عصفور بين يديك!

ومازالت مسلماتنا بلا سلاح .. ولا تعلم كيفية الدفاع عن أعراضهن!

مازال الحال على ما هو منذ عهد التتار: اقتل الرجل أو كبله تصبح نساء المسلمين فرخاً بين يديك!



اندفع المسلمون يركضون هاربين .. لقد انتكست المعركة فجأة .. إن (أحُد) تحولت إلى هزيمة بسبب التعجل ..

وقف الرسول وحده ممسكاً بسيفه .. لن يتراجع ولو لقي ربه .. رفع سيفه والمشركون يحيطون به من كل الجهات .. لم يثبت معه

سوى عشرة فقط يدافعون عنه إلى النهاية ..

أثناء قتاله نظر بسرعة إلى من حوله .. وجد امرأة وحيدة في وسط من يدافع عنه!

إنها مشغولة بالقتال فلم تنتبه .. راحت تتفادى ضربة من سيف هذا .. تغمد سيفها في بطن هذا .. يحاول هذا الالتفاف حولها لكنها تعاجله بضربة مميتة!

إنها ليست عميدة الأدب العربي وليست بأميرة الشعراء وليست أكبر العالمات المسلمات .. إنها مسلمة وكفى .. مسلمة في زمن كان النسوة فيه لا ينشغلن بالبحث عن عريس يستطيع إحضار شبكة (تغيظ صاحباتها) قدر انشغالهن بالجهاد مع أزواجهن .. عملهن بين المنزل وساحات الوغي!

إنها نسيبة بنت كعب ..

دعوها تستمر في الدفاع عن رسول الله .. وتوجه الطعنات لكل من يجرؤ على الاقتراب منه ..

ولنذهب إلى هذا الحصن الكبير ..

إنها غزوة الأحزاب هذه المرة .. الرسول عليه الصلاة والسلام وضع النساء والأطفال في حصن كي يحميهن من المشركين إن حدثت الهزيمة ..

هناك إشارات أن اليهود سيغدرون بالرسول .. هناك الإحساس وهناك طبع اليهود الخسيس وهناك العلامات المنذرة ..

غدر اليهود كارثة .. فهم في الخطوط الخلفية للرسول وأي غدر من جانبهم يعني بلاء كبيراً على المسلمين ووقوعهم في حصار قاتل!

مع النساء شيخ كبير هو (حسان بن ثابت) .. شاهدت (صفية بنت عبد المطلب) مجموعة من اليهود يتلصصون على الحصن من أسفل ..

إن الغدر قادم ..

إنهم يستطلعون الأمر وستجيء الضربة بعد قليل ..

ذهبت إلى (حسان) وطلبت منه أن يفعل شيئاً .. نظر لها الشيخ الكبير وقال لها: ماذا أفعل يا بنتي ..أنا شيخ كبير لا أقوى على القتال.

لم تهدأ .. قررت أن تتصرف بقوة وشجاعة .. أخذت سيفها ونزلت .. وقفت وراء أحد جدران الحصن حتى وجدت أحد هؤلاء المستطلعين أمامها ..

كاد ينظر للمرأة ساخراً لكنها أطارت رقبته بلا نقاش!

صعدت برأسه إلى فوق الحصن وقذفته على أصدقائه .. أصابهم الهلع الشديد واندفعوا هاربين وهم يصرخون: الحصن فيه رجال .. الحصن فيه رجال.

وقد كان .. لقد كان فيه بالفعل رجال .. لكن لا يلزم أن يكونوا ذكوراً فقط!



وقف الداعية المسلم يحاول شرح أطروحته للجمع الجالس أمامه .. يعلم صعوبة مهمته في إقناع حتى أهل الثغور والجهاد:

- أن تتعلم المرأة فنون القتال والدفاع عن النفس لا يعني أبداً انضمامها للجيش .. لو أصبحت كل نسائنا مثل نسيبة وصفية لما جرؤ محتل مجرم على أن يسير في شارع دولة إسلامية أو يرفع عينه لينظر إلى واحدة منهن .. إن ذهاب الرجال المسلمين للجيش وترك النسوة وراءهم بلا حول ولا قوة كالأفراخ يعني أن الهزيمة لن تتوقف على قتل الرجال، بل ستزيد بفضح النساء ..

لو كنا نحصن خطوطنا الخلفية بنساء يتعلمن القتال منذ نعومة أظفارهن كما يتعلمن كل شيء آخر .. لما استطاع معتد أن ينظر للأمر تلك النظرة السهلة: إذا هزمنا الرجال المتجمعين في الجيش فنساؤهم حرث لنا!

لكن لا .. فليتعلمن كل شيء .. إلا الدفاع عن أنفسهن والقتال!

غمغم أحدهم ساخراً:

- قتال وجهاد؟ وهل يتعلمه رجال زماننا أصلاً؟!

❀ ❀ ❀

الهزيمة قادمة .. الهزيمة قادمة ..

إنه (يوم حنين) المذكور في القرآن ..

أغلب الجيش العرمرم تراجع تاركاً الرسول وحده مرة أخرى!

لم يثبت معه سوى ما يقارب المائة أمام عشرين ألفاً!

من هؤلاء أمرأتان فقط .. أم حكيم ونسيبة بنت كعب .. مرة أخرى نسيبة!

قبضت نسيبة على سيفها وهي تقول للرسول في ضيق وغضب هادر:

- دعني أقتل أصحابك الفارين يا رسول الله.

رفض الرسول هذا الاقتراح والتفت إلى أم حكيم .. وجد معها خنجراً كبيراً فسألها عنه .. قالت له في هدوء وصمود:

- هذا لأبقر به بطن أي مشرك يعتدي علي!

وانطلقوا جميعاً بعد هذا كالإعصار وسط المشركين ..



تنظيم الرؤيا

لم يعد يطيق .. كل هذه الأيام وسط التعذيب والضرب والإهانة جعلته مستعداً لأي اعتراف، سيعترف بأنه هو من أرشد عن المسيح، سيعترف بأنه هو أسامة بن لادن .. سيعترف بأي شيء مقابل إيقاف هذا الألم الذي لا ينتهي .. أوقفوا هذا الألم بأي ثمن ..

- نعم ولكنك يا عزيزي لازلت تحمل الكثير من الأسرار!

هكذا يقول ضابط أمن الدولة، يرفع عينيه بصعوبة وإعياء ليشاهد نظرته الباردة اللامبالية، إن اللعين يهزأ به بالتأكيد، لكن وجهه الصارم البارد الجاد يعني أنه يتوقع منه المزيد فعلاً!

- أقسم لك أنه ليس لدي أكثر مما قلت .. أقسم بالله أني قد حكيت لكم حتى عن ظروف زواجي وقسوة والدي وتفاصيل طفولتي .. ماذا ترغبون أكثر من هذا بالله عليكم؟

بنفس البرود قال له مُحقق آخر:

- لكن هناك المزيد بالتأكيد .. التحقيقات إلى الآن لم تعطنا قضية جيدة! لا مزيد من التعاون معنا بكشف أسرار التنظيم الذي تنتمي إليه معناه لا مزيد من الرحمة!

- أي رحمة؟! أقسم بالله أني قد قلت كل شيء .. أقسم بالله أنني لست منضماً لأي تنظيم ..

- تذكر جيداً يا رجل ولا تجعلنا نقوم بالمزيد من عمليات الإفاقة! لابد أنك جربت الكثير وتظن أن هذا هو آخر ما عندنا! لكن أقسم لك أننا نملك المزيد والمزيد من الحيل!

- يا أفندم أقسم لك .. أقسم لك .. لا أعرف المزيد .. أتريدون أن أحكي لكم عن أحلامي حتى تستريحوا؟!

بدا الاهتمام على وجه أحدهم، قال له في جدية:

- نعم .. أخبرنا عن أحلامك .. حتى هذه لدينا خبراء لها!

خبراء؟! خبراء خبراء المهم أن ينتهي التعذيب!

قرر أن يحكي لهم عن أحد أحلامه!

- ذات مرة حلمت برؤية أني مع الأخ (عبد الجواد إبراهيم) راكبين دراجة بخارية.. ذهبنا إلى عقيقة وأكلنا هناك ..

- فقط؟

- نعم والله لا أكثر!

- حاول تذكر وجوه من كانوا في العقيقة!

- أقسم بالله يا سيدي كان هذا مجرد حلم ورؤية!

- حاول ولا تتعبنا معك ..

- حسناً .. كان هناك (محمود سالم) والأخ (وجدان محمود) والأخ ...

...

❀ ❀ ❀

وقف الحراس يضربون القادمين على أقفيتهم، يسبونهم ويقومون بإهانتهم بكل الوسائل، راح الرجال يحاولون حماية أنفسهم بلا جدوى، إنهم لا يعرفون ما سبب مجيئهم إلى هنا أساساً!

لماذا يضربونهم؟!

دخل الرجال الخمسة إلى الزنزانة الموحشة وجلسوا في ذهول! منذ ساعات قليلة كانوا في منازلهم منهم من كان يمزح مع زوجته وأولاده يتناقشون جميعاً عن رحلة الأسبوع القادم للإسكندرية، ومنهم من كان يستعد لامتحان السنة النهائية في الجامعة لا يشغله سوى ثقل دم دكتور المادة وإمكانية وضع امتحان يدمر التقدير الذي يتمناه، ومنهم من كان مشغولاً بصحة والدته المتدهورة مؤخراً ..

فجأة امتلأت شوارعهم بالضباط والشرطة .. فجأة انتقلوا إلى هذه الزنازين الموحشة بعد وصلة من الضرب غير المفهوم!

- أين نحن يا جماعة؟

- نحن في أمن الدولة .. جئت هنا ذات مرة لإنهاء أمور متعلقة بالعمل.

- لكن .. لماذا أتيت أنا؟! والله ليس لي أي نشاط سياسي إطلاقاً! عندي امتحان بالغد ويمكن أن تضيع مني سنة كاملة!

- وأنا أيضاً لم أنتم يوماً لتنظيم .. إنني مثلك يا فتى ..

- وأنا أيضاً ..

- وأنا كذلك ..

- أي تنظيم؟ ما معنى تنظيم أصلاً؟!

دخل الحارس بعد قليل ينادي بصوت جهير صارم:

- محمود سالم ييجي ..

قام الطالب الجامعي (محمود سالم) وذهب مع الحارس تاركاً وراءه (وجدان محمود) و(عبد الجواد إبراهيم) .. كانت فرائصه ترتعش بينما جوانحه لا تفكر بكل طاقتها إلا في مصير امتحان الغد!

دخل في غرفة مظلمة قليلاً جلس فيها محقق قابله بابتسامة مخيفة قائلاً:

-أهلاً بالمسئول التنظيمي عن الجامعات!

- يا أفندم أي تنظيم؟

- تنظيم الرؤيا يا فتى! أنت عضو في تنظيم الرؤيا!

ليالي أهلك القادمة سوداء!

❀ ❀ ❀

الألم لا ينتهي.. التعذيب لا ينتهي .. حتى الضابط الذي يقوم بالتعذيب أصيب بالإرهاق ..

أخيراً جلس الضابط على طاولة التحقيق أمام (وجدان محمود) المتورم النازف، بخبرته يعرف أنه يتمنى الموت الآن فلا يجده ..

جاءت في عقله فكرة، قال ساخراً للرجل المُهدم:

- تتمنى الموت؟ حسناً .. إن فعلتها وذهبت .. ستجد نفسك تسير يوم القيامة فوق شيء اسمه الصراط .. انظر لأسفل تجد جهنم .. ابحث جيداً في جهنم ستجد فرعون .. بلغه رسالة هامة مني ..

ثم ضرب بقبضته على صدره قائلاً في فخر:

- قُل له أنك تركت وراءك رجالاً يا فرعون!



أم مؤمن

للمرة الأولى يدخل (مؤمن) المسجد الكبير .. الجامع لكافة الأحياء المجاورة ومنه الحي الذي نشأ فيه ..

جلس مبتسماً في سعادة وهو يشاهد عشرات العمائم المختلفة رائحة وغادية .. عمائم بيضاء وعمائم سوداء وعمائم حمراء! الكل يتحرك في نشاط والكل يجتمع في حلقات نقاش إسلامية .. باقي أقل من ساعة على صلاة الجمعة ومع ذلك الأفكار منهمرة بسبب اللقاء الكبير الذي لا يتم إلا كل أسبوع .. وهو لم يجئ قبلاً برغم حضور أخيه الدائم إلى هنا .. كان يفضل مسجد حيه الصغير ..

انتشت نفسه بروح الأخوة الدينية .. ارتقت روحه إلى عنان السماء .. اقترب من حلقة كبرى يتوسطها شيخ مهيب الطلعة اسمه (أبو الأسود) من الحي المجاور لهم .. راح يتحدث بكلام جذاب عن الوحدة الكبرى وإسقاط الظالمين والطواغيت والصمود أمام (هولاكو) الطاغية .. ارتقت روحه أكثر وثارت همته أكثر وأكثر ..

جاء وقت صلاة الجمعة .. الدور اليوم كان على الإمام (أبي الأسود) بالذات .. صعد إلى المنبر يفتتح الكلام بالصلاة على النبي والآل .. انطلق يحذر من امرأة سيئة السمعة .. خبيثة الطوية .. لوثت المدينة

كلها بأفعالها المتهتكة .. راح يصف في تاريخها النتن.. امتعضت نفس (مؤمن) من هذه السيدة النجسة .. التفت حوله فوجد أغلب النفوس مشمئزة .. البعض جالس في هدوء كأنما لا يستمع والبعض بدا كأنه يكظم غيظه بصعوبة فآمن بأنهم ينوون قتل هذه المرأة الخبيثة ..

تساءل (مؤمن): كيف يتركون هذه المرأة بلا عقاب؟ كيف تعيش وسط مدينة السمو دون مساءلة؟

قبل نهاية الخطبة قام بعض الغاضبين يسبّون الإمام! الغريب أنهم من حيه هو بالذات!

ما لهؤلاء المجانين؟

ذهب إليهم ونفسه مشتعلة بالضيق والثورة، عنفهم قائلاً:

- بدلاً من قطع الخطبة وشغلنا عن الإمام .. الأولى بكم أن تذهبوا لتخرجوا هذه الفاسقة من مدينتنا وحينا!

نظروا له في دهشة كبيرة .. اقترب أكبرهم ووضع يده على كتفه قائلاً في توتر:

- الإمام يتحدث عن أمك أنت يا (مؤمن)!

❀ ❀ ❀

خرج من المسجد مسرعاً في ذهول ..

أمه!!

أمه؟!

أمه هي فاسقة المدينة الخبيثة العاهرة؟

كيف؟ كيف؟

ركض كالمجنون إلى منزله .. وجد أمه جالسة في هدوء تقرأ القرآن .. إنها دائماً تقرأ القرآن حين لا تجد أحداً تدرس له علوم الفقه والحديث من أبناء الحي!

ركع على ركبتيه يبكي كالمجنون ولم يزايله الانفعال بعد .. بكى قهراً وهو لا يقوى على الحديث .. رفعت عينيها إليه في حنان وفهم .. أمسكت المسبحة وأشارت إليه كي يقترب فهرع إلى أحضانها .. همست في أذنه بهدوء:

- الآن عرفت؟ لهذا كنت مشفقة عليك من الذهاب إلى المسجد الجامع طوال هذه السنوات ..

من بين دموعه قال في مرارة:

- لكن كيف؟ كيف يطعنون في شرفك يا أمي وأنت القرآنية الصوامة القوامة؟

ربتت على شعره وبنفس الصوت الهامس الهادئ قالت:

- دعك منهم يا بني وأقم صلاتك .. حسابي معهم عند الله على إفكهم وافترائهم .. الآن أستسمحك أن تدخل لغرفتك تصلي وتتركني

لأكمل قراءة القرآن .. لا أحب هجره أكثر من دقيقة واحدة ..

نهض يمسح دموعه وألقى نظرة أخيرة عليها .. وجد في عينيها ألماً دفيناً .. إن الأوغاد يؤذونها كثيراً لكنها تتحمل وتستعين بالصبر والصلاة .. الآن فهم سر نظرة أمه الحزينة من حين لآخر!

تباً لهم!

تحرك نحو غرفته وأقام الصلاة ..

لكن باله لم يهدأ ..



في الغد بعد صلاة الفجر تحرك نحو إمام مسجد الحي الخاص به، الشيخ (حافظ) الرجل الورع التقي .. ابتسم الإمام في عطف عندما شاهد عينيه الحائرتين .. بادره قائلاً:

- إياك والأنبياء الكذبة!

أخذته المبادرة، لكنه أدرك أن الإمام لا محالة وصلته أخبار المسجد الجامع .. رد في ثورة مكتومة وصوت خافت:

- لكنه قال دلائل ووقائع وأحداثاً .. عشرات الدلائل والأحداث .. كيف يختلق المرء كل هذا الكذب؟

ابتسم الإمام في سخرية من سذاجة (مؤمن) .. مد يده إلى ورقة

دعائية حديثة وقدمها لـه طالباً منه قراءتها .. كان مكتوباً فيها بخط فارسي أنيق:

- احذروا داعية جهنم .. الشيخ (حافظ) السارق النصاب .. روى غير واحد من أهل مدينته أنه الفاسق الأكبر وعهره معروف في جميع الأنحاء .. وزوجته العاملة في الدعارة يستمتع بها أهل الحي جميعاً ويقبض (القواد) الثمن .. احذروه فهو مدلس منافق عدو للقرآن ويدمر عقول الشباب ويعلمهم القتل والبلطجة ..

فيا محبي الدين والشرف .. تخلصوا من الشيخ (حافظ) الكاذب السارق الداعر!

اتسعت عينا (مؤمن) في ذهول! الشيخ حافظ لم يتزوج أبداً بسبب انشغاله في العلم والدعوة .. فأي زوجة تلك التي تعمل في الدعارة! ثم إنه يعلم شباب الحي القرآن والسيرة ولسانه عفيف وسيرته شريفة يقسم بنقائها أهل الحي جميعاً .. فأين السرقة وأين الدعارة؟

ألجمت المفاجأة لسانه .. فسأله الشيخ (حافظ):

- بعيداً عن موضوع زوجتي الخيالية .. هل علمتكم يوماً السرقة والقتل والبلطجة؟

لم يجبه مؤمن إنما سأله في دهشة:

- يا إمام .. هل يصدق أحد من العاقلين هذه الأكاذيب الرخيصة؟

هز الإمام رأسه قائلاً في مرارة:

- ما أكثر الكذب .. وما أندر العقل .. إنهم لن يغفروا لي أبداً حفظي لسيرة والدتك وفضح كذبهم لجميع المدينة ..

- لكن كيف يا شيخي يكذبون ويجدون من يصدقهم ؟

- سلاحهم معروف .. استمرار الأكاذيب والمبالغة في حجمها، والتربص للأفعال وإساءة النية في كل خطوة .. مع استغلال ميل الكثيرين لتصديق الأفعال الخبيثة على خيار الخلق .. وبسرعة البرق تنشغل مدينتك كلها برواية الأكاذيب حتى تصبح الحقائق وتتحول الحقائق إلى سذاجة وقلة فهم ومعرفة بالحقيقة الخفية!

لكن بفضل الله ثم عبده لم يسلم سوى حينا إلا شواذ الأفهام.

دارت الأرض بـ (مؤمن) أكثر .. استأذن شيخه في الرحيل وخرج من المسجد هائماً على وجهه ..

شاهد الأضواء النيون من بعيد و(عرعر) البلطجي الشهير اللعين يقف أمام خمارته (بين الحارات) يحميها من الدعاة الرائحين والغادين في المدينة ..

فكر في خاطرة ما لكنه استغفر ربه ورحل سريعاً إلى منزله ..

❁ ❁ ❁

اقترب منه أخوه الأكبر (محب) الذي عاد للتو من سفره السريع ..

حاول معرفة سبب تغيره وكآبته فزاد من تملصه .. أمره بصرامة أن يطيع أخاه الأكبر ويحكي .. كان (مؤمن) خائفاً من أن يتهور أخوه ويذهب لقتل هؤلاء .. حكى له كل شيء وصوته يرتجف من هول ردة فعل أخيه القوي .. لدهشته لم يجد لما قال أثراً على وجهه.. ازدادت حيرته وشكوكه ..

- مالك تنظر لي هكذا ؟

- كنت أظنك ستنتفض غضباً!

وقف (محب) وتحرك نحو النافذة يلقي نظرة على مئذنة المسجد الجامع الظاهرة من بعيد .. قال (محب) بحكمة وهدوء:

- من مصلحة بقاء المسجد الجامع أن نتجاوز عن هذا يا (مؤمن) .. إن (هولاكو) يتربص بالمدينة وجيوشه على أهب الاستعداد لاجتياحها في أي وقت .. من أجل بقاء المسجد والمدينة لابد من إغماض أعيننا عن الأذى!

وقف (مؤمن) والذهول يعصف بنفسه:

- ماذا؟ أكنت تعرف ما يقال؟ هل أمنا كما قالوا؟

دار (محب) على عقبيه وصفع (مؤمن) فجأة في غضب .. نهره في عنف:

- إياك أن تؤذي أمنا بحرف .. إياك .. إنها أشرف النساء في الحارة

والمدينة والكل يعلم ذلك منذ صغرها .. إنها لم تخرج من بيت أبيك سوى مرة واحدة فقط وكانت لإطفاء حريق كبير في الحي .. إنها لم تترك القرآن منذ نشأتها .. فإياك أن تؤذيها بالظن السيء!

في ألم ووسط دموعه هتف (مؤمن):

- كيف تطالبني إذاً بالسكوت عمن يؤذيها ويطعنها في شرفها؟

في ثورة غاضبة رد (محب):

- إنه الاتحاد أيها الغبي .. إنه الخطر الأكبر الذي يهدد المدينة .. إننا نؤمن يقيناً أن أمنا طاهرة .. لكن مع ذلك علينا أن لا نثير المشاكل مع الحي الآخر كيلا تتمزق المدينة في حرب أهلية فينهدم المسجد الجامع .. ماذا نفعل وقتها إذا دخلها (هولاكو) بسببنا؟

افهم يا من لا تريد الفهم!

لم يطق (مؤمن) استمرار الحديث .. خرج من غرفته مسرعاً فوجد أمه وسط حلقة من البنات الصغيرات المحجبات يتعلمن القرآن .. مشغولة هي دائماً بقرآنها ومترفعة عن النيران المشتعلة بداخلك! استمر في الركض المجنون إلى الحي .. وصل إلى (عرعر) البلطجي الستيني .. شاهده (عرعر) بلحيته وأثر السجود فتوثبت عضلاته للدفاع عن خمارته .. لكن توتر الرجل انقلب إلى دهشة عندما سأله (مؤمن) مبادراً:

- إني أستحلفك بالله يا رجل أن تصدقني .. هل رأيت من تلك المرأة التي تسكن في (بيت الضياء) بالحي المجاور أي فعل سوء؟

استحالت دهشة (عرعر) عبوساً، سأل مستفسراً:

- تقصد المرأة الصالحة (أم مؤمن)؟

- نعم .. هي بعينها .. إنك منذ أربعين عاماً وأنت ملك العالم السفلي للحارة .. أي قبل أن تولد هي بعدة سنوات .. فهل رأيت منها ما يريب؟

في غضب كور (عرعر) قبضته وهو يجيب:

- من الحقير الذي قال هذا؟ .. إ أم (مؤمن) هي سيدة المدينة وأطهر نسائها .. أعرف أنها تكرهني وتحاربني لكن والله منذ مولدها والمدينة لم تر أشرف منها ..

ثم أمسك تلابيبه فجأة وهو يهدد:

- من أنت أيها الكلب وكيف تشك في أم (مؤمن)؟

- أنا (مؤمن) يا رجل .. أنا ابنها ..

أفلته (عرعر) فوراً وراح يعتذر له بشدة وعنف، في النهاية تساءل في دهشة:

- أنت تعيش معها في نفس المنزل منذ أنجبتك صغيرة .. ولم تر منها سوى القرآن وملازمة السنن ..

فكيف يشك المرء في مثل تلك الأم؟

❀ ❀ ❀

بعد شهر ذهب إلى المسجد الجامع مع أخيه .. إن (هولاكو) نشط جداً هذه الأيام والمدينة اتفقت على التوحد .. في المسجد جلس واضعاً عينيه في الأرض شارداً ..

على المنصة الرئيسية جلس أخوه ممثلاً عن حيه بجوار الإمام (أبي الأسود) ممثل الحي الآخر .. راح أخوه يتحدث عن ضرورة الوحدة ونبذ الخلاف .. ضرورة اتحاد المدينة للنجاة من غزو هولاكو .. ضرورة أن يترفع كل منا عن أذى أخيه والكف عن التعرض للمسائل المثيرة للمشاكل والنزاع ..

راح يتحدث كثيراً جداً .. بينما (أبو الأسود) وأهل حارته يهزون رؤوسهم موافقين ..

كان (مؤمن) في عالم آخر .. سؤال واحد ملأ عليه عقله: ما الفرق بين الموت دفاعاً عن عرضه والموت دفاعاً عن أرضه؟

فجأة نهض (مؤمن) واتجه إلى المنصة، سأل (أبا الأسود) في هدوء:

- هل لازلت تؤمن أن أمي عاهرة؟

ثار أخوه غضباً وطلب منه عدم إفشال الوحدة، لكنه تجاهله وصمم على تكرار السؤال:

- هل لازلت تؤمن أن أمي عاهرة؟

لم يجب الإمام (أبو الأسود) وإن فضح تبادل نظرات السخرية بينه وبين أبناء حارته الكثير!

بدون حرف زائد، بصق (مؤمن) في وجوههم وخرج من المسجد إلى الأبد ..



إنقاذ لاوس

واشنطن - ١٩٥٩

خلع السناتور (ب. مورتون) نظارته وألقاها على مكتبه بعصبية بالغة .. كان أمامه تقرير عنوانه (المساعدات الأمريكية لمملكة لاوس) .. في انفعال بالغ رفع سماعة الهاتف وطلب الاتصال بنائب الرئيس أيزنهاور مباشرة .. فما قرأه في التقرير كارثة حقيقية ..

جاء صوت (نيكسون) نائب الرئيس يحييه فبادره منفعلاً:

- سيدي نائب الرئيس .. لابد أن تتخذوا قراراً فورياً هاماً في مسألة المساعدات المقدمة للاوس .. إن ملايين الدولارات الأمريكية يتم العبث بها بلا داع!

أجابه نائب الرئيس في هدوء:

- أنا أيضاً قرأت تقرير لجنة الكونجرس يا (مورتون) وأدرك مدى خطورته .. للأسف حتى (مكنمارا) متورط هناك في إضاعة أموالنا .. لكن عليك أن تطمئن .. الرئيس يتفهم تماماً ضرورة قطع هذه المعونة الضخمة غير المجدية ..

هتف (مورتون) في انفعال أكبر:

- بل لابد من عقاب هؤلاء الخراف البربريين حكام لاوس .. لقد كنا نعطيهم معونة ضخمة جداً مقابل أن يمتلكوا جيشاً متطوراً قوامه ٢٥ ألف جندي ليتصدى للشيوعية .. فإذ بهم يسرقون هذه المعونة السنوية على مرأى ومسمع من مسئولينا دون وجود خطر شيوعي حقيقي!

بنفس الهدوء أكمل (نيكسون):

- مورتون .. اهدأ الآن .. المعونة سيتم قطعها وسيحاسب الكثير على هذه السرقة الكبرى لأموال الأمريكان ..

فقط انتظر وسترى ..



(سايسانجكي) هو أحد كبار قادة الجيش في لاوس .. تسربت إليه أنباء تقرير الكونجرس المرعب الذي سيقطع المعونة العسكرية الأمريكية عن لاوس .. أصيب بالذعر .. اتصل فوراً بكبار قادة الجيش للاجتماع ..

في موعد الاجتماع وصلت السيارات الكاديلاك الفخمة تحمل قادة الجيش المنتفخين غروراً .. إن لاوس بلد فقيرة للغاية بل إنها من أفقر دول آسيا، وأغلب الشعب يعيش على فتات الفتات .. لكن مع ذلك هؤلاء القادة العظام يركبون أحدث السيارات الأمريكية الفخمة ويسكنون

في القصور ويملك كل منهم الملايين بفضل المعونة الأمريكية السنوية ..

في بداية الاجتماع وقبل أن يجلس على مقعده ألقى (سايسانجكي) القنبلة:

- أمريكا ستقطع عنا المعونة العسكرية!

انفجرت قنبلة من مشاعر الذهول والارتياع في وجوه الجميع، الكل راح يتخيل نفسه واحداً من عامة الشعب الفقير الذي يعيش بصعوبة حياة أقرب للموت، سادهم جميعاً شعور بالضياع فلم ينبس أحدهم بحرف لفترة ليست بالقصيرة بينما (سايسانجكي) يجول بعينيه في وجوههم المسودة اليائسة ..

في النهاية تمتم أحدهم وفمه يرتعش:

- مستحيل .. أنت لن تقبل معنا بالضياع .. بالتأكيد لديك خطة لمنع ذلك ..

عاد الأمل ينتشر في وجوه الجميع .. ركزوا الأبصار فوق وجه (ساي) في اهتمام لسماع رده .. ظل صامتاً بارداً لدقيقة كاملة ..

في النهاية سحب مقعده إلى الوراء وجلس قبل أن يقول ببرود شديد:

- فكرت في شيء ما .. لعبة خطيرة لكن لا أمل غيرها ..

افتحوا آذانكم جيداً لما سأقول مهما بدا مخيفاً ..

❁ ❁ ❁

أغلق رئيس تحرير جريدة الواشنطن بوست سماعة الهاتف وعيناه جاحظتان .. استدعى إلى مكتبه كل الصحفيين الكبار فوراً .. دخلوا جميعاً في وجل منتظرين قنبلة صحفية جدية تستدعي تلك اللهفة في تجميعهم ..

في توتر بالغ قال لهم:

- كارثة .. لاوس تم اجتياحها بواسطة الشيوعيين المجانين! أمريكا في خطر داهم!

نظروا لبعضهم في قلق ودهشة في حين تجرأ أحد كبار الصحفيين وتساءل:

- لاوس؟ من بحق الجحيم لاوس هذه؟

أشار رئيس التحرير بيده مستنكراً وقال:

- لا يهم .. المهم أنها كارثة كبرى .. وزير الدفاع نفسه أكد لى على أن هذا أمر شديد الخطورة على الولايات المتحدة .. الشيوعيون يتقدمون!

لابد أن يعي الشعب هذه الكارثة الكبرى .. لابد أن يدعم لاوس بكل قوته ..

ثم دق على منضدته منفعلاً وهو يقول في حزم:

جهزوا أنفسكم بعشرات المقالات في صحيفة الغد .. أمريكا كلها ستقف بجوار لاوس!

خرج الصحفيون بسرعة بينما ذهب أحدهم ليتفقد خريطة للعالم بحثاً عن موقع لاوس ..راح يتفقد الخريطة وهو يغمغم:

- اللعنة .. أين تقع لاوس بنت الـ (...) هذه؟

في النهاية وجدها .. كانت دولة حبيسة بين الصين وفيتنام وكمبوديا!

هرش في رأسه ذاهلاً .. نظر إلى زملائه الذين اندفع كل منهم إلى مكتبه يجهز المقالات والتحقيقات عن انهيار أمريكا الوشيك أمام الشيوعية إن انهارت لاوس .. عاود النظر إلى الخريطة محاولاً الفهم .. في النهاية هز كتفيه بلا مبالاة وتحرك إلى مكتبه يجهز مقاله الخاص عن خطورة سقوط لاوس!



خرجت صحف اليوم التالي بعناوين مثيرة للهلع .. الشيوعية تتقدم .. الولايات المتحدة في خطر .. هل أصبحنا على وشك الحرب النووية باجتياح لاوس ..

هل يبادر الشيوعيون بقصف أمريكا بالنووي إن انتصروا في لاوس

أم لا؟ ثم كيف تحمي أولادك من القصف النووي إن سقطت لاوس!

الشعب كله أصيب الهلع .. الكل أصبح يتحدث عن لاوس .. الكل يدعو إلهه كي لا تسقط لاوس وأن تصمد .. طفل صغير جالس أمام تمثال إلهه يدعوه باكياً أن ينجي لاوس من الدمار كي تبقى أمريكا ويبقى والداه على قيد الحياة ..

كلنا لاوس ..



طرقع الأدميرال (بوركه) قائد العمليات البحرية الأمريكية أصابعه في توتر .. إنها من المرات القلائل التي يجري فيها حديثاً صحفياً .. لكن الأمر شديد الخطورة .. كان الصحفي يسأله عن التدبيرات التي ستتخذها أمريكا لوقف الغزو المرعب .. حاول إخفاء توتره وهو يجيب بحزم:

- سلاح البحرية الأمريكي كله سيتدخل في الأزمة اللاوسية إن اقتضى الأمر .. الأسطول السابع بالفعل تحرك نحو المناطق الخطرة لمساندة لاوس ..

لن ندخر أي قوة لمواجهة هذه الكارثة .. إننا خلف لاوس مهما حدث!



طالع قائد القوات الجوية عدسات كاميرات القنوات الأمريكية في حزم وكبرياء، ثم قال بنبرة قوية قاطعة:

- أريد للشعب الأمريكي أن يطمئن .. يمكننا إرسال قواتنا المسلحة ونقل طائراتنا القاصفة إلى لاوس في خلال ٣٥ ساعة فقط .. إن الشيوعيين لا يعرفون مع من يعبثون!

اطمئنوا تماماً .. لاوس ستصمد للنهاية!

* * *

اليوم موعد اللقاء الصحفي مع الرئيس الأمريكي (أيزنهاور)، دخل إلى القاعة مهموماً عالماً بما سيسأل عنه، وبالفعل كانت كل الأسئلة عن لاوس .. ما مصير لاوس يا سيادة الرئيس؟ كيف ستنجو أمريكا يا سيادة الرئيس؟ إلى متى نكبت غضبنا العسكري عن تقدم الشيوعية يا سيادة الرئيس؟

في هدوء لكن بجدية تامة أجابهم أيزنهاور:

- أمريكا هي الأقوى .. سأتحدث مع رئيس الاتحاد السوفيتي (خروتشوف) وأطالبه فوراً بإيقاف هذه المهزلة الشيوعية ..

صدقوني لن تسقط لاوس!



فوضى هائلة في الكونجرس هذا اليوم .. الكل يصرخ وعشرات

المشادات قائمة .. صعد السناتور (ب.مورتن) للحديث وسط عشرات النظرات الغاضبة اللائمة .. قال في عصبية:

- أعرف أنني أحد الأشخاص الملومين بسبب موقفي من المساعدات العسكرية لـ(لاوس)! لكن صدقوني لن نتخلى عنها بهذه السهولة .. لقد بعثنا لها في الأيام الماضية معدات عسكرية أمريكية متطورة بعشرات الملايين .. حولنا لهم عشرات الملايين الأخرى لإعادة إعمار نتائج الاجتياح الشيوعي الغاشم .. لقد أغدقنا عليهم الكثير وكان لي دور هائل في هذا .. أعتقد أنني كفرت عن خطيئتي!

في غضب هتف أحد الأعضاء متسائلاً:

- وهل تظن هذا يكفي لإيقاف الشيوعيين؟

في غضب مماثل رد عليه (مورتن) :

- إن لم يكفِ فسنتدخل نحن .. سنذهب بمقاتلينا وأسلحتنا لإيقاف الشيوعيين ..

لن نسمح أبداً بسقوط لاوس!



نزل المراسل الحربي الأسترالي (دنيس وارنر) من الطائرة في مطار العاصمة اللاوسية (فيينتيان) .. شعور هائل بالضيق ينتابه بسبب تأخره في المجيء إلى لاوس لمشاهدة الحرب المرعبة التي زلزلت

أمريكا طوال الأسابيع الماضية .. لكن تلك الظروف العائلية اللعينة حرمته وأخرته ..

يعزيه على أي حال أنه جاء والحرب لازالت مشتعلة بشدة كما تعلن الحكومة اللاوسية في ارتياع مستمر ..

قابل (كونج لي) وهو المرافق المحلي له من لاوس .. كان صحفياً شديد الثقافة، وبرغم اللقاء الودي لم يفهم سبب تلك النظرة الغامضة في عينيه ولا تحفظه الشديد في الكلام عن الحرب المدمرة .. طلب منه أن يذهب إلى جبهة القتال فوراً بلا تأجيل ..

نظر له (كونج) بنظرة غامضة فيها لمحة تهكم، وسأله في جدية ظاهرية:

- أي مدينة من جبهات القتال (المشتعلة) تريد الذهاب إليها فوراً؟

لم يفهم (دنيس) ما إذا كان (كونج) يسخر أم يسأل بجدية، فأجابه جاداً:

- أريد الذهاب فوراً إلى (سامنيو) .. هي مسرح العمليات الأكبر والأكثر تعرضاً للقصف كما يقول المراسلون ..

هز (كونج) رأسه بنفس الطريقة المحيرة التي لا يفهم منها (دنيس) هل هو جاد أم لا، وفي المساء كان (دنيس) في سيارة (كونج) متجهاً إلى (سانيو)..

ساحة القتال المخيفة ..



في الطريق إلى خارج (فيينتيان) شاهد (دنيس) ثلاثة قصور جديدة في طور التشييد .. لكن الفخامة الهائلة كانت بادية عليها، التفت إلى (كونج) متسائلاً:

- من صاحب هذا المزاج الرائق الخالي البال الذي يبني قصوراً شديدة الفخامة وسط الحرب؟!

ببرود شديد رد (كونج):

- إنها قصور جديدة للسادة العسكريين والحكومة!

عقد (دنيس) حاجبيه متسائلاً في استنكار:

- أليسوا مشغولين بالحرب المهلكة؟

التفت (كونج) إليه بسرعة ليلقي نفس النظرة الغامضة الغريبة ثم عاد يهتم بالطريق مجيباً بنفس البرود:

- نعم .. إنهم مشغولون للغاية بالفعل!

ولزم الصمت باقي الطريق!



عند الوصول إلى (سامنيو) تساءل (دنيس) عن مكان المبيت للصحفيين، للمرة الأولى يضحك (كونج) ثم يصمت دون تفسير .. سأله

(دنيس) عن سبب ضحكه فقال ساخراً:

- أصلاً لا يوجد أحد هنا شاهد من قبل مراسلين أجانب يا عزيزي!

اتسعت عينا (دنيس) في دهشة وذهول، تساءل في انفعال:

- والمراسلون الأمريكان؟ إنهم دائماً ينقلون أخبارهم من الجبهة! من سامنيو بالتحديد!

هز (كونج) رأسه هازئاً ثم قال:

- الأمريكان كلهم في الفندق الذي أتيت منه أنت في العاصمة ولا يعرضون حياتهم أبداً للخطر! إنهم يتلقون (تقارير الجبهة المشتعلة) من الحكومة وقادة الجيش مباشرة!

ألجمت المفاجأة لسان (دنيس) .. ظل صامتاً حتى توقفت السيارة وسط المزارع والمنازل الفقيرة ..

ترجل (دنيس) من السيارة وراح يطالع المدينة الخضراء الهادئة .. فلاح فقير من لاوس جالس وسط حقل بعيد يتحدث في هدوء وسلام مع أحد الجنود ..

التفت (دنيس) إلى (كونج) يسأله في توتر وارتباك:

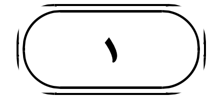
- كونج! أين الحرب؟

رسم (كونج) علامات الجدية التامة على وجهه ورد متسائلاً:

- عن أي حرب تتحدث؟

- !!!

أشلاء



من الصعب أن تفهم حمزة!

هل هو شاب ثائر مناضل ضد الاحتلال؟

هل هو شاب ساخر لا يكترث بأي احتلال؟

هل هو جاد؟ إذن ماذا عن ضحكاته الساخرة المجلجلة اللامبالية؟!!

هل هو لا مبال؟ إذن ماذا عن فدائيته المتهورة المجنونة المهمومة؟!!

من هو حمزة حقاً؟!



في الجامعة الكل يعرف حمزة ..

والكثير لا يعلم ما هي كليته بالضبط!

تجده واقفاً مع طلبة الآداب .. طلبة العلوم .. طلبة الكليات كافة!

ساخر دائماً .. دعاباته المتتالية مضحكة دائماً ..

ملامحه الوسيمة الطفولية لم يفلح الشارب الأنيق في تخفيفها ..

تميل (عفاف) على صديقتها لتخبرها كم يبدو حمزة وسيماً .. الفتيات يعشقن تلقائيته ولا يجدن فيه عيباً .. حتى تحاشيه إياهن كطفل محرج يزيدهن جنوناً به!

حمزة المحبوب من الجميع ..

هنا تعرف عليه (إبراهيم) .. هنا أصبح صديقه ..

❀ ❀ ❀

في مساء ممطر كان حمزة يصحب إبراهيم عبر طرقات القاهرة إلى اجتماع الحزب الذي ينتمي إليه ..

كان إبراهيم بعيداً عن السياسة وقد فوجئ بوجه آخر من صديقه الجديد .. وجه جاد لا يعرفه الكثيرون ..

- إلى أين تصحبني يا حمزة .. مالي ومال السياسة يا أخي؟
- انتظر يا رجل حتى نصل .. صدقني ستتغير حياتك ..
- لهذه الدرجة؟
- وأكثر .. الأستاذ لا مثيل له في البيان ..

وصل حمزة وإبراهيم إلى مبنى ضخم احتشد مئات الشباب حوله، أثار استغرابه أنهم جميعاً يرتدون قميصاً موحداً فوجئ بأنه نفس قميص حمزة، كذلك يرتفع على المبنى علم غريب بجوار العلم الملكي المصري الأخضر ..

كان الأستاذ واقفاً في الشرفة وقد بدأ الخطبة .. أنصت إبراهيم إليه متابعاً نظرات الشباب المتحمسة ..

الأستاذ خطيب مفوه بالفعل .. يشهد إبراهيم بهذا .. كان يتحدث عن مكانة مصر في التاريخ .. عن تمازجها مع الدين الإسلامي وقدراتها الفذة به .. عن رغبته في بعث الشباب في مصر كي تنهض من غفوتها وتزيل المستعمر الإنجليزي وأذنابه الأوغاد .. الملاعين اعتصروها حتى أصبحت ملامحها عجوزاً مكرمشة .. لابد من العمل يا إخواني .. لابد من النظام .. لابد من القسوة على المستعمر وعلى كل من يسبب عجز مصر .. لابد أن تعود مصر الشابة العفية القوية .. لابد أن تعود مصر الفتاة ..

هنا هتف المئات في حماس مجنون، لا ينكر إبراهيم أنه تأثر بشدة من الجو الحماسي المشجع على الاندماج في القطيع وكذلك من كلام الأستاذ خاصة وهو يستخدم ملامحه وتعبيرات وجهه ويديه بصورة فنية لا مثيل لها .. لكن ما فعله حمزة من صراخ حماسي مجنون باسم مصر الفتاة أصابه بدهشة بالغة ..

انتهت خطبة الأستاذ وبدأ الكل ينصرف بطريقة منظمة تثير الاستغراب، كأنهم مجموعة من الجنود المتراصة!

بدأ في السير مع زميله متورد الوجه من الحماس .. سأله عن معنى

هذا الذي حدث .. هذا المشهد المسرحي المبهر غير طبيعي ..

رد عليه حمزة بجدية مشتعلة بالحماس:

- ألم تفهم بعد؟ إنني أنتمي إلى حزب سيعيد إلى مصر فتوتها .. سنجعلها فتاة تسحق المستعمرين .. بالنظام والعمل والجد والإسلام سنجعلها الأعلى بين الأمم ..

- ما زلت لا أصدق يا حمزة! أنت المرح الساخر تفعل هذا؟

- المرح والسخرية لا يمنعان وجود عقل يقظ وروح ثائرة .. أنتم فقط من لا تعيشون حياة الكفاح الشريف التي تبدأ بنهاية وقت الجامعة ..

- ولماذا اصطحبتني؟

- كي أطلب منك يا صديقي الانضمام إلينا .. يا أخي إن لم ينضم الشباب أمثالك لحزب مصر الفتاة كي يقاوم الغاصب والمستعمر وينشر الحق والعدل ويقاتل الملك والرأسمالية ويعيد نشر الإسلام الحق العادل فمن يفعلها؟

- أنا لا أفهم في السياسة يا حمزة .. وحتى إن فهمت فسأختار الوفد حزب الشعب ..

تقلص وجه حمزة في اشمئزاز وقال:

- الوفد يختار الطريق الذي يحبه الإنجليز .. طريق السياسة

والتفاوض .. هم من سمحوا له بهذا التضخم .. هم من اختاروه عدواً .. مادام لابد من أن يكون في عبيدك عدو .. فانتق منهم العدو الهادئ العاقل التفاوضي .. واسحق عدوك الثائر الحر الذي لا يهادن .. هذه هي الحقيقة التي لا تتفطن لها جموع الدهماء ..

قال إبراهيم في ارتياب:

- معنى هذا أنك لا تتفاوض ولا تريد السياسة؟

- إلى الآن نلعب سياسة حتى الوقت المناسب .. في نفس الوقت ننشئ جيشاً .. الأستاذ أحمد قام بتوحيد الزي وتوحيد الراية والنشيد .. آه لو رأيت صور هتلر زعيم ألمانيا التي جعلنا الأستاذ نقرأ الكثير والكثير عن تجربتها مؤكداً أن بسياسات هتلر هذا وحده تخلصت ألمانيا من مستغليها الإمبرياليين الأوغاد مستعيدة شبابها متخلصة من قادتها الرأسماليين الجشعين .. إن هتلر هو المثل الأعلى الذي نتمنى الوصول إلى تجربته الناجحة في النهوض بألمانيا .. طبعاً بعد تهذيب فلسفته كي تلائم إسلامنا وبلدنا ..

- والملك؟

- ملك؟!! إذن تبيت معي الليلة! هناك الكثير والكثير نحتاج للتحدث فيه!



تعرف إبراهيم على الجانب الآخر المسائي لحمزة .. يعترف بأن صديقه لا مثيل له في الفصل بين الشخصية المرحة الجامعية وبين الشخصية السياسية الثائرة الجادة ..

إنه منخرط في عمل دؤوب .. توزيع منشورات .. تعلم تدريبات القتال .. تعلم الوقوف في طوابير عسكرية نظمها لهم الأستاذ أحمد حسين بمساعدة بعض أصدقائه من الضباط المؤمنين به وبحركته ..

ولم يظهر هذا الجانب الخفي جامعياً إلا في يوم عصيب!

❀ ❀ ❀

الجامعة كلها تغلي، المظاهرات مندلعة في كل مكان، أحزاب الأقلية المرتبطة بالملك والجيش الإنجليزي تدبر انقلاباً آخر على حزب الوفد صاحب الشعبية الكبرى في مصر ..

البوليس التابع للإنجليز والملك يحاصر الجامعة، حكمدار القاهرة نفسه يقود القوات المقتحمة التي تضرب الطلاب لتهدئ ثائرتهم! فلتكونوا دواجن يا حمقى ولا تقحموا أنفسكم في سياسات السادة!

تحذيرات البوليس متتالية كي ينفض الجمع وتتوقف المظاهرات .. الطلبة يسبونهم ويخبرونهم أنهم لو كانوا رجالاً حقاً لانضموا إليهم ثائرين على قادتهم الإنجليز .. البوليس يثور والضباط يطلبون من

عساكرهم البدء في الضرب وتفريق المظاهرات بخراطيم المياه ..

هنا انقلب المشهد إلى جنون مطلق .. المياه المتدفقة العنيفة تغمر الطلاب بينما البوليس المتمرس اختار أماكن تمركزه في مخارج الساحة الجامعية متسلحاً بالهراوات ينهال بها على الهاربين من تدفق المياه وقنابل الصوت التي زودها بهم الإنجليز لتفريق الشغب ..

الكل يركض .. البعض يشتبك في جنون ..

هنا فوجئ الجميع بأغرب مشهد رأوه يومها!

حمزة قام بضرب ثلاثة من الجنود آخذاً منهم خرطوم المياه الرئيس .. فجأة ظهرت روح قتالية لا مثيل لها انفجرت كقنبلة ظهرت من العدم!

وكأنما ليزيد المشهد غرابة، وجه حمزة خرطوم المياه نحو الجنود والضباط فراحوا يركضون هم في ذعر!

المدهش هو رد فعل حمزة وسط هذا المشهد العصيب!

لقد فقد قدرته على تمالك نفسه وقوات البوليس تهرول أمامه فراح يضحك بلا انقطاع!

ضحك متواصل وزملاؤه يراقبون هذا الثائر المدهش في ذهول ..

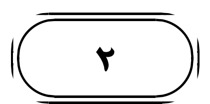
الثائر الضاحك ..



هكذا أصبح حمزة نجم الجامعة، أصبح هو الرمز الثائر كما كان الرمز الساخر ..

ومع نهاية العام فوجئ إبراهيم بقرار صدمه وصدم كل الجامعة ..

حمزة الثائر حول أوراقه إلى الكلية الحربية!



في البداية لم يكن بأثقل على نفسه من الوقوف تعظيماً لقائد الكلية الحربية الإنجليزي!

في الأيام الأولى لحمزة كان هذا الأمر يقتله قتلاً .. هو الثائر المناضل يقف بهذا الذل أمام الإنجليزي الغاصب المتعجرف؟!

لكن الأيام تمر .. تتكون صداقات .. رهبة الجو العسكري الجديد تزول وطبعه المرح يبدأ مرة أخرى في الظهور .. يهون الأمر مع الأيام ومع تشربه (روح الجندية المطيعة الحقة) المهندسة بدقة لتغيير أشد العقول والنفوس حرية إلى ترس في آلة كبرى ..

يتعلم روعة إعطاء الأوامر وبريق السلطة التي تثيرها نجومه النحاسية .. يسير في الشارع متباهياً بشرائطه الحمراء على بذلته وبداخله عجب وفخر مما آل إليه .. الآن هو (مشروع سيد) من سادة

المجتمع .. هذا الشعور المذهل بالقوة وبأن لا أحد في مصر قادر على أن يؤذيه إلا قادته .. إنه في الجيش الآن .. الموطن الحقيقي للسلطة والمختبئ دائماً في استرخاء خلف المشهد المسرحي المبهرج لأهل السياسة!

كان في البداية بداخله حزن لانتقاله إلى الكلية الحربية من فرصة هائلة مفاجئة جاءت لوالده .. شعر وقتها بأنه انتهازي خان مبادئه عند أقرب فرصة للرقي المغري .. لكن مع الأيام هدأ روعه نظرات الأعين المنبهرة الخائفة المنكسرة ..

ياللقوة ويا للعظمة .. متضايق يا حمزة من العسكري الإنجليزي؟ مع الوقت ستتعلم أن هذا الإنجليزي قائد مثل أي قائد .. عليك إطاعة أوامره بلا تفاهم .. في الكلية تتعلم أن الأمر أكبر بكثير من أن يفهمه الشعب الأحمق .. من يقدر على إنجلترا؟!

ثم بدأ الأمر يهون في نفسه عندما رأى أحد الضباط الإنجليز يحيي الملك الصغير تحية عسكرية، شعر بروحه المعنوية ترتفع لعنان السماء وقد حسب نفسه حسم كل التناقض النفسي بداخله .. أليس الإنجليز يطيعون الملك؟ إذن فملك مصر حر مستقل! فقط الرعاع السياسيون لا يفهمون هذا لأنهم منشغلون بالمغانم والصراع على مقاعد البرلمان! أو ربما يفهمونه لكنهم يرفضون توضيحه كي يستمر تلاعبهم بالمدنيين!

هكذا حاول إراحة ضميره بتفسير تافه ساذج بعد عناء طيلة الدراسة .. وبالتالي أصبح يؤدي التحية لقائده الإنجليزي بأريحية .. بل إنه قد راح يسأل نفسه كيف كان يسمح يوماً للسياسيين الأوغاد بالتلاعب به؟!

كانت الأمور تسير بهدوء بعد تخرجه .. طباعه المرحة مستمرة لكنها أصبحت مغلقة على أقرانه الضباط فقط .. لقد تعلم أن يحدث المدنيين بوجه جاد لا يعبث بينما لا تظهر شخصيته الحقيقية إلا بين السادة .. بين إخوانه الضباط!

❁ ❁ ❁

بداخله صراع مرير يتجاهله لكنه لا يزول، صراع يبدأ بسؤال:هل كان ثائراً حقاً؟ هل كان في صف الشعب حقاً؟

ما هو الآن إلا واحدً من (السادة الضباط) أعوان الإنجليز لضبط مصر .. هذه الحقيقة العارية ومهما كذب على نفسه فهو غير قادر على تصديق الكذبة لفجاجتها!

لقد كان بداخله ثائر حولته خدمة المستعمرين رغبة في السيادة إلى مجرد أشلاء ثائر!

يخونه قلبه في لحظات نادرة فيحدث عقله بيقين أن هناك شلو ثائر

هنا أو هناك باقياً، فهل ينمو من هذا الشلو ثائر كبير، أم يستمر التمزق إلى قطع أصغر؟!



بدأت المأساة بمزحة!

في إحدى الحفلات، داعب حمزة زميليه فأخرج أحدهم مسدسه، راح يهدده ساخراً .. هكذا سحب حمزة سلاحه الفارغ يأمره بتسليم نفسه وإلا قتله .. نهض الآخر غير المسلح يركض ممثلاً الهروب فهرول حمزة خلفه في الشقة ..

وسط الضحكات العالية من الجميع قام حمزة بإطلاق مسدسه الفارغ نحو زميله كي يوقفه تمادياً في التمثيل ..

دوى الصوت المرعب مسبباً الفزع في القلوب قاتلاً الضحكات وسط رائحة الموت المتصاعدة في شكل دخان البارود ..

سقط الزميل ورصاصة مسدس حمزة قد اخترقت يافوخه مباشرة!!

لقد كان المسدس فيه رصاصة أيها الأحمق! أيها المجنون! أيها التعس!

القلب نفسه في حالة ذهول ويأس من القادم ..

❀ ❀ ❀

سنوات وهو يعالج آثار هذه الحادثة ..

أثبت الجميع خطأه نعم لكنهم كذلك أثبتوا خطأ الآخر والقالب المزاحي الثقيل ..

فتل خطأ .. نجاه الأمر وإن كان لم يقبل أهل القتيل هذا إلا بعد سنوات ..

لكن روحه مرضت وتلوثت .. هناك شيء ما تغير ..

الأشلاء تزداد تبعثراً بداخله!

قلبه المريض المشفق يخاف إجابة السؤال، لكن عقله الصارم يحسم الأمر: نعم أنت مستمر في التحول إلى أشلاء متناثرة صغيرة!

❀ ❀ ❀

كان لابد من شيء يطهر نفسه .. كان لابد من محاولة أخيرة لمعالجة الأشلاء المتبقية قدر الإمكان ..

هكذا عندما بدأت حركة الضباط الأحرار السرية انضم إليها ..

إنه بحاجة إلى أن يثبت لنفسه أن الثائر لازال حياً .. بحاجة إلى صنع المعجزة وبعث الروح في الأجزاء المتناثرة بداخله ..

لهذا كانت أعظم لحظة في حياته يوم نجحت الثورة وطُرد الملك ..

الآن شعر بأن الثائر أصبح هو السيد الحقيقي ولا تعارض .. الآن أصبح في قمة المجد الجامع بين هيبة الحكم وهيبة الجيش وحب الشعب ولقب الثورة ..

أقسم على نفسه ألا يسمح لكائن كان بالمساس بهذا الوضع الجديد ..لقد قام بالمعجزة وحلت عليها البركة الإلهية بنجاح الثورة ..

لن يسمح لحزب ولا لفريق أن يخطف منه قمة المجد أبداً ..

وبرغم أن مجلس قيادة الثورة كلفه بإدارة السجن الحربي الكئيب بعيداً عن مشهد الحكم المحجوز للكبار ، إلا إنه مع ذلك اعتبرها الفرصة المناسبة ليثبت أن السجن الحربي سيكون هو درع وسيف النظام الجديد ..

إنه يعرف عقلية زملائه العسكر .. ويعرف أنهم جميعاً يرفضون المعيشة دون سمع وطاعة من هو أدنى بلا نقاش ولا رد .. وفي عرف العسكريين السري فالمدنيون جميعاً هم رتب بين العسكري وأصغر رتبة ضابط! أي أنهم سيضيقون يوماً لا محالة بالنقاش والاعتراض الذي تعود عليه هؤلاء الرعاع وسيلجأون للسجن وقمع أي منافسة على السلطة والمجد ..

سيلجأون لمدير السجن الحربي .. سيلجأون لحمزة البسيوني ..

وقتها سيحول نفسه إلى رجل ينافس نجيب وناصر في النفوذ ..

فقط الصبر الصبر ..

٣

في ظلام تلك الليلة من عام ٥٣ تسلقت مجموعة من ضباط الشرطة والجيش أسوار المقر العام لجماعة الإخوان المسلمين في حزم صامت مدجج بالسلاح ..

إنهم من (قسم الوحدات) في جماعة الإخوان المسلمين وقد قرروا إحباط الانقلاب الداخلي على الهضيبي ..

تم الاقتحام .. صالح عشماوي الزعيم التاريخي قائد الانقلاب تم التمكن منه وباقي الإخوان المشاركين .. رؤوس كثيرة ستطير بالتأكيد .. ستبدأ بعشماوي والسندي ولن تنتهي بالشيخ محمد الغزالي!

لقد أحبط قسم (الوحدات) المسلح ذلك الانقلاب العسكري السلمي الذي قام به التنظيم الخاص ..

بعد أيام قليلة فُصل الجميع واعتقد مكتب الإرشاد أن الفتنة قد انتهت .. بعودة الهضيبي وتصفية التنظيم الخاص وطرد القادة الكبار المدبرين مثل العشماوي والسندي وعادل كمال والغزالي خلصت جماعة الإخوان للجناح المؤيد للعلنية الكاملة ورفض وجود مخلب جهادي سري في الإخوان ..

لقد أصبح الهضيبي زعيماً منفرداً للتنظيم العلني ونجح في فرض رأيه بوقف التنظيم الجهادي الخاص ..

لكن الكارثة الحقيقية وقتئذ كانت تخرج من المهد ضاحكة في سخرية ..لقد ساعدها هؤلاء بغفلتهم!



هكذا جاء عام ٥٤ الرهيب!

الإخوان قاموا بالقضاء طواعية على مخلبهم وأصبحوا تنظيماً علنياً معروف الأعضاء .. كانوا يحتفلون بهذا الأمر برغم علاقتهم المتوترة بعبد الناصر ظانين أن ما فعلوه هو الصواب ..

لكن ما جاء بعد ذلك أثبت لهم أن ما فعلوه كان أكبر خطأ في تاريخهم!



ناصر يقضي على محمد نجيب ويتخلص منه بالاعتقال بعدما كان رئيساً للجمهورية ليصبح هو الزعيم الأول توطئة ليصبح الزعيم الأوحد!

ناصر يقضي على القضاء بعدما حاول القضاة إعادة الحياة الحزبية رغم رفضه .. قام بضرب كبير القضاة المصريين عن طريق عساكره

كرسالة بليغة لكل من هم أقل منه مكانة .. هكذا ينتهي دور القضاء مبكراً!

ناصر يبدأ في إحالة السياسيين المصريين المؤيدين والمعارضين للملك قبل الثورة إلى محاكمات سياسية ويجعل عساكره يضربون أحمد حسين الزعيم السياسي الذي كان قائداً لحزب مصر الفتاة يوماً!مدهش أن حمزة مر على هذا الخبر بلا تأثر برغم حبه الجنوني له سابقاً! كان يعتبر الرجل مسئولاً بشكل ما عن التمزق السابق!

ناصر يقبض على البلد كلها بيد من حديد .. يقضي على كافة الأصوات المعارضة مهما كان مقدار خفوتها .. عام ٥٤ يشارف على الانتهاء وقد أنجز فيه مالم يستطعه الآخرون في عشرات السنين ..

لكن تبقت عقبة واحدة استبقاها للنهاية ..

جماعة الإخوان المسلمين ..



كان (حمزة) يراقب ما يحدث بنفاد صبر .. القادة الكبار يزدادون سيطرةً على مصر كلها يوماً بعد يوم حتى صار كل منهم يملك قوة لم يحلم بها الملك ذليل الإنجليز نفسه يوماً!

الكل أصبح يعرفهم .. الكل أصبح يخشاهم ..

لكن من الذي يعرفه هو؟ متى يحصل على القوة والنفوذ وهو

مدير لهذا السجن الحربي يعاقب العساكر المتمردين فقط؟ هل كانت حساباته بشأن هذا السجن كفرصة صعود متفائلة فوق اللازم؟!

لكن فجأة جاءته الفرصة على طبق من ذهب ..

ناصر قرر القبض على جماعة الإخوان المسلمين ..

وآمن حمزة بأن الطريق قد تمهد له أخيراً ..



لم يستغرق القبض على الجماعة إلا وقت قصير!

لقد كانوا قد أعلنوا كافة أسماء الأعضاء وجعلوا مقراتهم علنية .. هكذا كان التحفظ على كافة المقرات فالقبض على جميع إخوان المنطقة المسجلة أسماؤهم في الدفاتر العلنية سهلاً يسيراً!

لقد تسببت الفتنة في كارثة لم تتخيلها الجماعة إطلاقاً!

ناصر لم يعد يهاب الإخوان المسلمين منزوعي المخالب!

فتل حمزة شاربه الكث بينما على وجهه ابتسامته الغامضة الساخرة ..

كان واقفاً على باب زنزانة الهضيبي الرجل العجوز الذي انكمش على نفسه في آخرها وعلى وجهه نظرة مهزومة ..

كانت الزنزانة واسعة ليس فيها بشري سوى الهضيبي .. وخمسة عشر كلباً من كلاب السجن!

المشهد مخيف بنباحهم المجنون وتبولهم وتغوطهم واستمنائهم على الشيخ كأنما هم يتآمرون مع البسيوني لتعذيبه ..

ساخراً قال له:

- ما رأيك يا ولد يا هضيبي؟ هل تعجبك الإقامة هنا في زنزانة الكلاب الأمراء؟

نظر العجوز حوله بلا تعليق بينما طوح حمزة رأسه إلى الوراء يقهقه .. علام يقهقه؟

لا يدري أحد! إنه يسخر طوال الوقت ولا يفقد روحه المرحة إطلاقاً!

- ألا تصدق أنهم أمراء؟! أتدري يا ولد أن الجنود الأربعة القائمين على رعاية هؤلاء الكلاب هم من خريجي كليات كبرى!

ثم نادى على المجندين الذين امتثلوا أمامه صاغرين وهو يأمرهم بأن يذكروا كلياتهم أمام الهضيبي .. فقال كل منهم بصوت مرتعش:

- آداب.

- طب.

- علوم.

- هندسة.

- وما مصير من يجرؤ منكم يا أوباش على أكل نصيب الكلب الذي يخدمه من اللحم؟

تحسسوا جميعاً أقفيتهم وظهورهم في صمت فالتفت البسيوني إلى الهضيبي مكملاً بطريقة جادة هزلية:

- يا هضيبي قد نلت شرف الإقامة مع تلك الكلاب الرفيعة في زنزانة واحدة .. إياك يا رجل أن تتجرأ يوماً وتحاول مس نصيبها من اللحم! أقسم أنها هائجة وسأجعلها تغتصبك قبل أن تأكلك!

لم يرد الهضيبي فظل حمزة واقفاً يتطلع إليه في صمت متحفز منتظراً أي بادرة اعتراض ليأمر جنوده حاملي الكرابيج بعقاب الرجل ..

لكن العجوز نال كفايته منذ اعتقل .. التعذيب الوحشي المستمر جعله يعرف أن من الحكمة الصمت وقد قيل الكثير والكثير سابقاً بلا جدوى ..

في النهاية دار حمزة حول نفسه مغادراً الزنزانة .. إلى زنزانة أخرى ..

كان بداخله ضيق لأن الهضيبي لم يعطه الفرصة للتحدي

المناسب .. لذا فما إن دخل زنزانة أحد القيادات حارة الدماء حتى سبه بأمه: قم يا ابن العاهرة!

انتفض الرجل قائماً في غيظ وهو يعلم ما سيحدث له، لكن لم يستطع باقي إخوانه إيقافه!

انهال العساكر عليه بالكرابيج والشوم بينما حمزة يضحك في سادية .. غادر الزنزانة بعدما أشار للضابط الجلاد الخاص به أن يجلد جميع المسجونين ٥٠ جلدة هذه الليلة بلا سبب كالمعتاد!

تحرك عبر الممرات مع ثلاثة عساكر نحو مكتبه يتفقد غرف التعذيب، كانت هذه مقامة على الجانبين معلق في بعضها رجال بالمسامير في الحوائط، في البعض الآخر كانت مجموعة من العساكر يمارسون رياضة اخترعوها بجر أحد المساجين بالحبال المربوطة في خصيتيه .. هناك في غرفة ثالثة بضع مساجين معلقون من أرجلهم في السقف ويقوم العساكر بغمس رؤوسهم في براميل مليئة بالغائط بصورة دورية ..

وقف على باب إحدى الغرف حيث كان أحد المعلقين منذ فترة قد امتلأ جسده بالدود الذي راح يعبث في جروحه التي سببها الجَلد المستمر ..

سأل العساكر المسئولين عنه عما إذا كان اعترف بأي شيء ..

- لا يا فندم .. يصر أنه ليس له علاقة بالإخوان!

نظر البسيوني إلى الرجل الذي بين الحياة والموت ثم قال ببطء:

- لن يكذب أحد في هذه الحالة من التعذيب .. أنتم تضربونه منذ عدة أيام ..

ثم التفت إليهم آمراً :

- إنه بريء .. ادفنوه في ساحة الموتى فاقدي الأهلية!

لم يندهش العساكر على الإطلاق بل قاموا بإنزاله والتحرك به فوراً، تحرك البسيوني مع مرافقيه حتى المكتب ودخل ليجلس عليه مفكراً ..

هل كان أحد ليصدق ما آل إليه؟

هل يصدق هو نفسه ما يفعله؟

لكنه يعرف ما يفعله فعلاً ..

يعرف أنه يضرب عدة عصافير بحجر واحد ..

إنه يصبح الرجل المرعب ذا الصيت في بر مصر كلها .. أكثر صيتاً وإرهاباً من مجلس قيادة الثورة نفسه!

سيخاف المصريون اسمه بأكثر مما يخافون اسم صلاح سالم أو أخيه جمال .. سترهبهم ملامحه الوسيمة بأكثر من ملامح ملك الموت نفسه!

ثم إنه سيصبح يد النظام الباطشة القذرة التي لن يستطيع التخلي عنها أبداً ..

لقد قرر حمزة أن يجعل من نفسه اسماً مرعباً مرادفاً لإبليس .. إن لم يستطع أن يضع اسمه بجوار القديسين فليجعل اسمه مخيفاً حتى للشياطين! لقد تجمعت الأشلاء وهو يقنع نفسه بأنه ثائر الآن وهؤلاء أعداؤه ولن يسمح لهم بتمزيقه مرة أخرى ..

سيحول السجن الحربي إلى هيدز الإغريقية .. وسيصبح هو رمز الشيطان الذي يهابه ناصر نفسه لو أمكن!

هكذا قرر في صرامة منذ فترة .. وهكذا قتل من قلبه أي شعور بالتسامح أو التعاطف .. هو الآن في طريق طويل لبناء جهنم على الأرض .. ولن ينجح في هذا إلا اذا أصبح التعذيب على يديه أسطورة لا مثيل لها على الإطلاق .. قلبه مشمئز قليلاً غير راض عن التحول إلى سفاح محذراً من تمزق البشرية ذاتها بداخله .. لكنه يعاقبه أشد عقاب بتعمد تحطيمه ونزع أي تأثير بداخله ..

لهذا يتفنن في التعذيب .. اغتصاب نساء ورجال .. قطع الأوصال والأطراف .. كل هذا سيفعله بأكثر الطرق إيلاماً ووحشية .. إنه يمزق روحه البشرية ذاتها هذه الأيام .. وهو مدرك جداً لما يفعله ..

إن ناصر ديكتاتور .. وسيحتاجه بشدة ..

وهو ينوي أن يكون الشيطان الذي يخافه أعداء ناصر وأصدقاؤه .. وناصر نفسه إن أمكن!



أربع وخمسون .. خمس وخمسون .. ست وستون!

الآن نجح حمزة في تحقيق ما سعى إليه طوال العقد الأخير .. أصبح كبير ملوك جهنم الأرضية ..

صحيح هناك شمس بدران وزير الحربية الأسطوري في الإجرام الممنهج والتعذيب الدموي .. وصحيح هناك صلاح نصر رئيس المخابرات المخيف صاحب أبشع أساليب التعذيب التي نقلها من النازيين .. لكن أيا منهما لم يصل إلى حمزة ومكانته في العالم السري!

أصبح حمزة يؤمن أنه هيدز الإغريقي إله جهنم بلا منازع .. إنه يأمر بضرب أحدهم مائتي جلدة لا لشيء سوى لأن مزاجه متعكر قليلاً! يفتل شاربه باتجاه فيفهم الحراس أن المعتقل الواقف أمامه سيتم ضربه عدد مرات معيناً بالكرباج .. يفتله في اتجاه آخر فيتغير العدد .. وهكذا!

كم من شاب أمر بنزع مكامن رجولته فقط لأن وجهه أظهر صموداً ضد التعذيب أو لمح فيه إهانة لذاته السامية!

هذا اليوم كان عائداً من قريته .. دخل السجن فنادى بأعلى صوته على أحد المساجين الواقفين في طابور التذنيب .. هرع إليه المسجون فوراً .. قال له حمزة بنفس اللهجة الساخرة الملازمة له دائماً :

- أبوك يا ولد طلب من أبي في القرية أن أترفق بك .. هل أنا ممن تجدي معهم الوساطات يا حيوان؟!

ثم التفت إلى حراسه هاتفاً:

- اجلدوه مائتي جلدة فوراً!

راح الشاب النحيل يصرخ متضرعاً لكن الحراس شدوه بقسوة إلى إحدى غرف التعذيب .. تحرك حمزة أمام الطابور ليتفقده .. كانت هناك مجموعة من الإخوان يعتبرهم النظام خطراً مثل سيد قطب ورفاقه .. تجاهلهم حمزة الآن فقد علم أن النظام قرر تصفيتهم وهم منهكون منذ سنوات عديدة في أغلال الاعتقال ونار التعذيب.. إنه يبحث عن مجموعات جديدة ممن يحتاجون لمزيد من (التربية) و(التأديب)!

يريد أن يُبدع - بخبرته الواسعة - في تعذيب البشر وإبقائهم على قيد الحياة في نفس الوقت ..

هكذا انتقى مجموعة من الإخوان الجدد وأمر الحراس بسحلهم على الأرض إلى غرفته المفضلة ..

لقد انتقى الذين سيسهر عليهم هذه الليلة!



هل كان حمزة مؤمناً حقاً؟

لطالما تساءل هو نفسه عن هذه القضية!

صحيح أن كافة المسجونين كانوا يؤمنون يقيناً أنه مجرم كافر تجاوز منذ عهد قديم كل ما سمعوا عنه في الطغيان البشري .. لكن من داخله كان يسأل نفسه بإلحاح عن علاقته بالإله! الآن لا شيء لديه سوى العقل المتسائل فقد تحول القلب نفسه إلى أشلاء منذ زمن!

إنه ليس حيواناً بلا عقل كما يظنون .. إنما هم فقط للأسف كانوا مجرد وسيلة لتحقيق حلم داخلي عنده .. حلم أن لا يكون مجرد بشري شرير أو شيطان .. بل أن يكون مرادفاً نقياً متجاوزاً لمعاني القسوة .. يريد أن يكون (ضد الإله)، كما آمن الإيرانيون قديماً بقوتين متناحرتين في الكون هما الخير والشر .. إنه يقدس هذه العقيدة التي طورها بداخله .. لذا كان يسعى لأن يصبح رمزاً للشر النقي .. الأسود القاتم .. ماذا فعل راسبوتين حتى يتفوق عليه؟ ماذا فعل هملر؟ إنه تجاوز كل هؤلاء الحمقى منذ زمن! مصر كلها الآن بكل أطيافها السياسية والاجتماعية ترهبه أشد من الموت!

لقد آمن بأن الله إن وجد في السماء فعلاً .. فهو في المقابل إله هذه

الأرض التي حولها لجحيم .. تماماً كما فعل النصارى المؤمنون بأن الشيطان ملك الدنيا والله ملك السماء!عبر منذ زمن طموح مشاركة ناصر الحكم، عبر منذ زمن طموح بناء ذات ثورية، عبر منذ زمن طموح كونه بشرياً صالحاً، بل إنه عبر منذ زمن طموح كونه بشرياً أصلاً!

لهذا كله يمكننا فهم ما بدأ يردده هذا العام أثناء تعذيب الإسلاميين ..

«لو نزل ربكم من السماء لوضعته في القيود وعذبته معكم!» و«أتصرخ منادياً ربك؟ ألا تدري أن الله مسجون في الزنزانة المجاورة؟!»

هكذا كان يقول حمزة ساخراً بينما من أمامه يتم تقطيع جسده ..

حمزة الآن يؤمن فعلاً أنه أكبر من مجرد مدير للسجن الحربي ..

حمزة الآن هو مدير للجحيم وإله ضد الإله ..

لقد تحقق حلمه الأكبر ..

هكذا كان يجلس في مكتبه آخر اليوم وحيداً يربت على ظهر كلبه المفضل متأملاً لفترة طويلة بينما أصوات المعذبين ترج المعتقل ..

في النهاية قال لنفسه بحسم:

- لا وجود لإله .. فإن وجد فهو يخافني ولا أخافه!



سبعة وستون .. مصر تلقت ضربة قاصمة مهينة .. الجيش الذي تجبر على شعبه تم سحقه بلا رحمة من اليهود أجبن جنود الأرض!

بدأ ناصر في التخلص من الحرس القديم المحيط به .. أو كما يقول العامة (البحث عن كبش فداء)!

هكذا وجد حمزة نفسه في لحظة جنون واقفاً في قفص الاتهام بينما قضاة المحكمة العسكرية يتهمونه بتعذيب المواطنين في العهد البائد!

صرخ مندهشاً .. صرخ غاضباً .. إله الشر لا يُسجن .. إله الشر لا يسقط ..

لكن صرخاته لم تتجاوز شفتيه!

بل العجيب أن جسده كان يرتجف بلا توقف! صلاح نصر سيحاكم في الجلسة التالية .. شمس بدران يقف معه في القفص عاقداً حاجبيه في صرامة يخفي بها الغضب المجنون بداخله .. المشير انتحر وهو أكثر من غيره يعلم أن المشير عاشق الدنيا مستحيل أن ينتحر!

النظام قرر التخلص منهم جميعاً .. وجد نفسه فجأة مجرد بشري يتم التضحية به .. بل هو مجرد كبش يفتدي به عبدُ الناصر نفسَه!

لم يكن يتخيل هذا الانقلاب الجنوني!

إن كان مجرماً حقاً فعبد الناصر هو زعيم المجرمين! هو قائد الجيش وقائد السجن وقائد المخابرات! هو صلاح نصر وشمس بدران وعبد الحكيم عامر وحمزة البسيوني! لماذا يضحك الشعب الغافل فرحاً بمحاكمة أفراد العصابة بينما زعيم العصابة المهزوم المسعور يلقى كل التقدير والحب؟!

أي جنون؟!

انتهت المحاكمة الصورية بسجنه .. تحرك في بطء فجذبه عسكري صغير السن من قفاه بغلظة هاتفاً في صرامة:

- تحرك يا كلب!



في السجن الحربي قضى وقته في زنزانة مجاورة لزنازين الإسلاميين! كان صوت دعائهم عليه يصله طوال الليل فيحرمه النوم ..

كان في حالة غريبة! إله مذبوح؟!

اكتشف أنه مجرد كبش .. حيوان .. لا ألوهية ولا شيء!

هكذا بدأ يكيف نفسه بصورة غريبة! بجرأة عجيبة مزق الإله الداخلي إلى أشلاء ليلحق بأشلاء الثائر القديم .. الآن هو حيوان وسيتصرف كالحيوان!

في اليوم التالي فوجئ به المساجين يرجو العساكر الصغار متزلفاً أن يقوموا بإعطائه برتقالة! قطعة لحم! فوجئوا به يركض مهرولاً في ذعر وخوف إن أمره أحقر عسكري في السجن بأن يسرع الخطا لأمر ما! يزداد حيوانية وعبودية لأحقر حقير في السجن من أجل خدمة لا تذكر!

أراد الكثيرون فعل الأفاعيل به إن واتتهم الفرصة .. لكن مشهده الحيواني الذليل العجيب كان يصدمهم ويثير اشمئزازهم فيرحلون عنه في صمت!



مات ناصر .. خرج حمزة من المعتقل أخيراً .. استعاد بعض آدميته وراح يفكر في عشرات الفرص المتاحة للتعاون مع النظام الجديد .. لن يصبح إلهاً مرة أخرى بعدما علم موقعه الحقيقي من السلطة .. لكنه أمل أن يرهب بعض الفلاحين بنفوذه القديم وأصدقائه المنتشرين في مراكز عليا .. إنه كائن طفيلي قادر على النجاة دائماً ..أشلاء الثائر اختفت وأشلاء الإله انتهت وأشلاء الحيوان لابد أن تنتهي .. سيبني نفسه من جديد ..

استقل سيارته هذا اليوم في طريق الإسكندرية القاهرة مع أخيه .. كان يفكر في الكثير والكثير .. يفكر في أن الله لم يهزمه برغم

كل شيء! ها هو مرة أخرى يعود إلى الحياة معه ثروة تكفيه للبدء كرجل أعمال أو ربما خدمة النظام الجديد .. في مصر يغفر الجميع لك الكثير بشرط أن تكون زعيماً معروفاً وتجيد اللعب بالعواطف .. وهو قد قرر البحث عن الزعامة في مضمار جديد ..

كان يفكر ويفكر .. لم ينتبه لسيارة نقل الحديد التي كانت تسير أمامه والتي اقترب منها بصورة خطيرة ..

فجأة أفلت الزمام من يديه بدون تفسير .. السيارة التي أمامه تقف فتنهمر أسياخ الحديد على سيارته لتخترق جسده وجسد أخيه ..

لم يفكر ولم ينطق كثيراً .. اخترق سيخ غليظ رقبته ونفذ من الجهة الأخرى ..

❁ ❁ ❁

تجمع العشرات من الأهالي الجزعين .. كان حمزة يخور كالثيران بينما يتدفق الدم من فمه بغزارة متتالية .. المشهد مؤلم وعجيب .. في النهاية همدت جثته بعدما وصلت الإسعاف .. حاولوا تخليص جثته من الأسياخ فلم يقدروا على ذلك إلا بقطع رأسه وبعض أجزاء من جسده .. لقد تحول إلى أشلاء حقيقية هذه المرة!

فجأة دوى صوت عجوز من الذين اعتقلوا قديماً يصرخ في جنون:

- يا ألطاف الله .. يا ألطاف الله .. هذا رأس حمزة ..

هذه أشلاء حمزة البسيوني ..

يا الله .. يا الله ..

وبين نظرات الواقفين المذهولة انهمرت دموعه وهو يقول في انهيار رافعاً رأسه للسماء :

- أنت الواحد المنتقم .. أنت الواحد المنتقم ..



الثيوقراطور

اتصل الشيخ نفسه بي في هذا الصباح!

لقد قرر أن يضمني إلى مجموعة من الإخوة يقومون على حمايته وحماية حركته (نداء الإسلام) .. وهؤلاء الإخوة هم المجموعة المقربة منه ..

سيتاح لي، وللمرة الأولى .. القرب الشديد الملاصق للشيخ ..

كنت في حالة من النشوة لا مثيل لها .. كدت في غمرة نشوتي أن أرقص لولا أنني استغفرت ربي على تفكيري هذا ونبهت نفسي: هل كان الشيخ ليرضى عن مسلكك هذا بالرقص إن رآك؟

استغفرت ربي مرة أخرى وجلست أقرأ القرآن ليهدأ روعي ..

❀ ❀ ❀

إن الشيخ هو أول من تعلمت ديني على يديه، إنه مُربٍّ فاضل، غزير العلم فقيه وعالم نحرير، يعتبره أهل الأرض علامة عصره، منذ صغره وهو يعمل للدعوة الإسلامية بكل قوته، سجن مرات واعتقل مرات وصمد أمام الطواغيت مرات ومرات ..

محب للحق والعدل .. لا يخاف فيهما لومة لائم .. لامثيل لشيخي في

زمني .. يعترف بهذا الأعداء قبل الأصدقاء ..

واليوم يختارني شيخي (حفظه الله) لأصبح من الدائرة المقربة؟!

يا إلهي الرحيم .. اللهم قوِّني على هذه المهمة الصعبة .. أن أكون أهلاً لملازمة الشيخ العظيم ..

❁ ❁ ❁

دخلت إلى المسجد خلف الشيخ، قمت بإبعاد الإخوة المتحمسين بغلظة، إن الشيخ لن يتحمل هذا التدافع المجنون، أظهرت الحزم مع من رأيتهم يتجاوزون الحدود، لكن شيخي نظر لي في صرامة وأمرني ألا أتجاوز في حق هؤلاء ..

في ثوان شعرت بالرعب من غضبته .. هلل المحيطون بنا من أدب الشيخ وشعرت أني أخطأت في حقه وحقهم .. تمنيت أن تبتلعني الأرض، لكن الشيخ ربت على كتفي وواساني وأفهمني بهدوء أن ما فعلته خطأ .. لكنه ليس غاضب مني .. في ثوان راح الضيق .. العلامة الحنون .. الأب العظيم .. هذا هو شيخي ..

❁ ❁ ❁

كان موضوع الخطبة اليوم عن مقومات الدولة الإسلامية وصفاتها، أوضح الشيخ أن الإسلام ليس فيه دولة (ثيوقراطية) .. وهي الدولة الدينية التي يحكمها ويتحكم في مفاصلها القساوسة أو الشيوخ ..

فالشيوخ في الإسلام هم بشر مثلهم مثل غيرهم .. لا قداسة لأحد .. لا حرمة لانتقاد أحد ..

كانت عدسات كاميرات التلفاز تنقل الخطبة على الهواء مباشرة لبلدي كلها .. لا أعرف لماذا شعرت أن الشيخ يحدث العدسات قبل أن يحدثنا! لكني استغفرت ربي على هذه الخاطرة الخبيثة واستمررت في الاستماع إلى الخطبة مبهوراً ..

نحن لسنا دولة ثيوقراطية .. نحن دولة إسلامية ..

هكذا يجب أن نؤمن جميعاً .. وعلى هذا الأساس سنعمل ..



كانت البداية عندما سقطت في يدي هذه الجريدة .. إنها جريدة إسلامية ومع ذلك وجدت فيها مقالاً يهاجم الشيخ .. شعرت بغليان في عروقي .. قرأت المقال المكتوب فوجدت من كتبه هو الشيخ (مجاهد) الأقل شهرة .. أرجعت ذلك إلى الحقد المتأصل في قلوب هؤلاء على نجاحات الشيخ المتواصلة والشعبية الجارفة التي يتمتع بها، إن التاريخ مزدحم بمثل تلك الأفعال في كافة المجالات والحضارات ..

كان الرجل يؤكد أن أتباع الشيخ يحولونه إلى (رمز) ممنوع المساس به .. ويصر أنه برغم رفض الشيخ لدعوى (الثيوقراطية) وأن الإسلام ليس كذلك .. إلا أنه (عملياً) ينفذ ذلك بسرعة منقطعة

النظير! إنه يزرع (عمداً) أو (سهواً) في محبيه التقديس له ولذاته، وسيصبح هذا شديد الخطورة فيما بعد!

غلي الدم في عروقي .. مزقت الجريدة شر ممزق ..

شيخي التقي الزاهد العابد تقول عنه هذا أيها الحاقد؟

اللعنة عليك وعلى حقدك! اللعنة عليك وعلى تهجمك على العلماء الأفاضل!

تمنيت لو ألتقيه .. سأمسك أعصابي وأحاوره ..

سأحاول تخفيف غليان الدم في عروقي ..

لكنني لن أكون واثقاً من عدم الانفجار!



في ذلك اليوم وأثناء حراستي للشيخ في لقائه مع إحدى القنوات ومتابعتي لتنظير الشيخ عن رفض الشيوقراطية .. جاء الأخ (مجيد) يطلب مني الحديث على انفراد قليلاً ..

الأخ (مجيد) هو أحد كبار المسئولين عن (نداء الإسلام) .. ومرتبته أعلى مني وأقرب للشيخ .. ذهبت معه فبادرني بقولته:

- ما رأيك فيما فعله الشيخ (مجاهد)؟ لقد غضب شيخنا كثيراً من هذا المقال ..

عادت الدماء تغلي أضعافاً مضاعفة، لقد غضب شيخي بسبب هذا

النكرة، رددت عليه في غيظ:

- تمنيت لو قابلت هذا الحاقد لأعطيه درساً لن ينساه!

هز (مجيد) رأسه رافضاً وقال في هدوء:

- يجب أن تتحكم في أعصابك أكثر من هذا .. ستجد أمثال هؤلاء الملاعين الحاقدين في كل زمان ومكان .. المهم أن تكشف ضلال منهجهم وحرمة سب العلماء الأفاضل وعظم قدر الشيخ ..

نحن لسنا بلطجية لنذهب إليه ونضربه! هو الآخر له أتباع .. ومنهجه نقوم بالرد عليه بالورقة والقلم .. حتى الآن!

فكرت قليلاً ثم أجبته وقد أضاء عقلي:

- أنا حفظت مقاله .. امنحني عموداً في جريدتنا الرسمية وسأفضح عوار منهج هذا الرجل وأتباعه في سب العلماء ..

ابتسم (مجيد) وربت على كتفي قائلاً:

- أنت لها يا أخي ..

تهللت أساريري وذهبت أشاهد باقي لقاء الشيخ في القناة، كان يقول للمذيعة في حسم:

- إن (الثيوقراطية) التي ابتدعها الحكم الكنسي تجعل من (القسيس) قديساً يحرم انتقاده .. وتجعل أتباعه يقتلون كل من يفكر مسه ولو بحرف .. فأين هذا من الإسلام؟ إن الإسلام جعل البشر

سواسية وجعل هناك فضلاً للعلماء لكنه لم يجعل لهم قدسية ولا حرمة تزيد عن حرمة باقي المسلمين، وكل يؤخذ منه ويرد إلا رسول الله .. فلا نسمح بوجود أتباع متعصبين مجانين .. هذا هو الفارق بين الإسلام والثيوقراطية ..

انتشت نفسي بسماع هذا الرجل المجاهد لإيضاح حقيقة الإسلام، يالك من عالم عظيم يا شيخي ..

أقسم أن أسحق هذا الذي يعاديك!



نزل مقالي فكان كالصاعقة، إنه مفصل بالأدلة الدامغة على حرمة التعرض لأهل العلم وأهل الفضل واحتوى على تاريخ شيخي في الجهاد من أجل الكلمة، ولمحت فيه لأفعال حدثت لكبار العلماء من الصغار في كل زمان ومكان ..

كنت أعرف أنه ستحدث هجمة مرتدة، فأتباع الشيخ (مجاهد) وإن كانوا أقل منا في (نداء الإسلام) فهم لا يقلون علماً عنا بكثير، برغم اختلافنا الجذري في بعض المسائل الجوهرية في الحاكمية وغيرها من الأمور الشائكة ..

حدثت مقالات ضدي، وانبرى آلاف الإخوة للدفاع عني، إنني مقرب من الشيخ وبالتالي أخذت التزكية منه، ومعنى ما فعلته أن الشيخ

راض وليس غاضباً .. ومعنى رضاه أن الشيخ (مجاهد) قد آذى شيخنا فعلاً.

اشتعلت الحرب الكلامية، لكن الأمر انتهى بأن رفض الشيخ (مجاهد) وأتباعه الحديث أكثر من هذا، تراجع الجبناء وانسحبوا من السجال وفضلوا الحديث عن جوانب أخرى من الدين .. هزمتهم أدلتنا الدامغة ..

في النهاية كان هذا درساً لكل من سيحاول بعد هذا التطاول على العلماء الأفاضل ..

قابلني مساء يوم الانتصار الأخ (متأمل) فسألني في حيرة:

- أليس ما فعلناه من الهجوم على الشيخ (مجاهد) هو هجوم وتطاول على عالم فاضل؟!



وقفت مع إخواني نحتفل بوصول شيخي إلى المنصب الكبير، كنت أشعر بسعادة هائلة .. أخيراً رجل عاقل وعالم يصل إلى منصب الزعامة الكبرى .. مربينا وعالمنا أصبح هو (الزعيم الأكبر) للدولة؟

هذا أجمل من الحلم ..

أكد عالمنا في أول خطبة له كرئيس أن (الثيوقراطية) لا مجال لها في برنامجه وفي دولته القادمة .. أكد على وعده للناس بالدولة

الإسلامية الحقيقية حيث الناس سواسية كأسنان المشط ..

احتفلنا أنا وإخواني كثيراً.. وعلمت مساءً أنه تم تعييني قائد جهاز (حفظ الدولة) ..



كانت مهمة الجهاز القبض على كل من يحاول (قلب النظام) و(معاداة الولي) ..

سقط أول من سقط الشيخ (مجاهد) وأتباعه! لقد كانوا يجاهرون في كل مكان بمنهج سموه (الإسلامية) كمضاد لمنهج ولي أمرنا وشيخنا (الزعيم الأكبر) الذي سموه (الثيوقراطور)!

اعتقلناه وباشرنا معه التحقيقات .. كنت أنا شخصياً من أحقق معه .. هالني أن وجدته شيخاً كبير القدر والهيبة عظيم الهدوء والرزانة ..

شعرت بغصة في حلقي من هيبته، سألته مبهوتاً لا أدري ما الذي انتابني:

- كيف تهاجم العالم النحرير وشيخنا العظيم؟

رد علي بنفس الهدوء:

- هل شيخك هو الشريعة؟

- لا .. لم أقل هذا .. وما علاقة سؤالي بالشريعة؟!

- إنه الرد على سؤالك لكنك لا تتأمل ولا تبصر ..

شعرت بالضيق من المراوغة وكدت أنهره فأكمل:

- دعني أوضح أكثر، تاركاً المهمة للشاطبي رحمه الله .. يقول «أن رأى المقلدة لمذهب إمام يزعمون أن إمامهم هو الشريعة، بحيث يأنفون أن تنسب لأحد من العلماء فضيلة دون إمامهم، حتى إذا جاءهم من بلغ درجة الاجتهاد وتكلم في المسائل، ولم يرتبط إلى إمامهم رموه بالنكير، وفوقوا إليه سهام النقد وعدوه من الخارجين عن الجادة... وكان هؤلاء المقلدة قد صمموا على مذهب إمامهم بحيث أنكروا ما عداه، وهذا تحكيم الرجال على الحق، والغلو في محبة المذهب »

ابتسمت ساخراً وقلت له:

- كلامك خفيف لا وزن له .. وإسقاط في غير محله .. فأنا غير مقلد ولا أحاكمك الآن لمذهبك ..

- بل هو مذهب .. تمحورتم حول شيوخكم فجعلتموهم مذهباً بل دينا عليه ولاء وبراء .. هكذا أصبحتم ثيوقراطيين من حيث لا تدرون ..

- من أجل هذه الكلمة نحاكمك .. أنت غافل عن ورطتك ..

- هي الحقيقة كاملة شئتم أم أبيتم ..

ثم تراجع إلى الوراء قائلاً بإبتسامة واسعة:

- ألا تدركون أنتم الورطة التي أوقعتم أنفسكم فيها؟ إنكم باعتقالي أثبتم التهمة .. تهمة تقديس الشخوص .. بالإفراج عني ستبدون ضعفاء وسأكمل تنبيهي للأمة .. أما بسجني أو إعدامي تجعلونها حقيقة لا تهمة .. أنتم من ضعتم باعتقالي ..

قمت برن جرس على المكتب فدخل بضع إخوة غلاظ الوجوه بأيديهم سياط .. لم يأبه بهم وظل بابتسامته المستفزة .. قابلتها بابتسامة أخرى وأنا أنهض في طريقي للخارج قائلاً:

- هل تجد الأمر يستحق؟

بثقة وثبات:

- هدم تقديس البشر؟ هدم الثيوقراطور وإفاقة مُقدسيه؟ نعم يستحق ..



سوات مصر

«أبدى الجنرال بتريوس والقادة العسكريون الأمريكيون اعتراضهم على استمرار الجيش المصري في التدرب على القتال (جيش - جيش) على اعتبار أن الجيش الآخر هو إسرائيل فقط كعقيدة ثابتة منذ الستينات!

يتساءل (بتريوس): أليس هناك سلام بين مصر وإسرائيل؟ أليس من الضروري أن يتدرب الجيش المصري على أنواع جديدة من الحروب الحديثة لمواجهة التحديات المعاصرة ..

مثل .. مثل ..

مثل الحرب على الإرهاب مثلاً!»

نقلاً بتصرف - ويكليكس ٢٠٠٨



يقف العجوز (ميراج خان) خارج خيمة الإيواء ملتحفاً ببطانية مهترئة، ينظر في تأمل مرير إلى الأفق حيث تدور ثلاث طائرات هيلكوبتر باكستانية فوق إحدى القرى كالصقور تبحث عن المجهول .. ومن آن لآخر ينطلق صاروخ من إحداها ليدوي انفجار محدود يعني تمزق أحدهم .. مع ذلك البحث لا يتوقف والطائرات لا تهمد!

أهذا هو جيش بلده؟!

أهذه هي بلده؟!

مستحيل!

إنه جندي سابق بالقوات المسلحة، بل لقد كان أحد العسكريين الكوماندوز النخب الذين شاركوا في عملية (جبرالتار) ضد الهند في عام ١٩٦٥! إنه عجوزٌ جداً الآن .. لكنه يتذكر هذه الأيام كأنها الأمس .. يتذكر كيف تخفى بين أهل كشمير .. كيف راح يحدثهم عن الإسلام والأخوة الدينية وضرورة مقاومة الهندوس المجرمين ليرحلوا عن أرض الإسلام .. يتذكر كيف ظل الجيش الباكستاني المسلم لا عدو له في العالم سوى المشرك الهندوسي عدو الإسلام، ولا هم له في العالم إلا تحرير مسلمي كشمير والبنجلاديش من قبضة المشركين .. كيف كان كل منهم يذهب لجبهة القتال ضد الهندوس وهو يقسم بأنه سيفعل ما بوسعه كي يوقف تلك الغطرسة الهندوسية الكافرة عند حدودها ..

هكذا ظل في الخدمة لسنوات طويلة .. شارك في حرب ١٩٧١ ضد الهند مرة أخرى .. إنهم أعداؤه .. أعداء بلده .. هذه هي عقيدته التي نشأ عليها في الجيش الباكستاني والتي تدرب من أجلها كثيراً .. جيش أعداء الله هؤلاء هو همنا الأول والأخير .. حماية أهل الإسلام والمسلمين

في كشمير وغيرها هو همنا الأول والأخير ..

هذا جيشنا ..

هذه عقيدتنا ..

ثم جاء الأمريكان ..

وجاء معهم ساسة وجنرالات يستمعون إلى نصائح أمريكا بشغف .. لم يكن بمقدورهم شيء فالضغط شديد وهم أناس ضعيفو الأخلاق والمبادئ أصلاً ..

يقترح الأمريكان اقتراحاً هاماً .. يعترض عليه الكثيرون .. لكن يتم إخراج المعارضين من الخدمة العسكرية!

ما هو هذا الاقتراح؟

طوروا جيشكم .. أضيفوا إلى عقائد الجيش عقيدة هامة وجديدة لمواكبة العصر الحديث: مكافحة الإرهاب والحروب الأهلية.

لماذا تعترضون؟ إن كل جيوش العالم الحديثة عندها ذات العقيدة .. إنها صفات الجيش الحديث المعاصر ..

صدق الجنرالات على كلام الأمريكان .. قاموا بتدريب جيوشهم على مكافحة (الإرهاب) .. ألف باء مكافحة (الإرهاب) و(قمع النزاعات الأهلية) هي أن الجندي الباكستاني سيوجه - للمرة الأولى في تاريخه - مدفعه نحو باكستاني مثله بصورة رسمية .. للمرة الأولى سيقتل مسلماً

مثله .. حتى لو كان إرهابياً أو خطيراً فلم يكن بمقدور الجيش إطلاق قذيفه على أبناء وطنه .. سابقاً!

في بدايات هذه التدريبات والتغييرات الدراماتيكية في عقيدة الجيش كان (ميراج خان) متحمساً .. كان يجادل أبناءه وأحفاده بأن الإرهابيين ليسوا مسلمين ولا يستحقون الجنسية الباكستانية أو الشفقة .. كان مؤمناً بجنود باكستان الشرفاء وعقيدتهم القوية .. لم يأبه كثيراً لتساؤل زوج ابنته الرائد (زولماي سغال) المنطقي: نعم سنحارب الإرهاب .. لكن أي إرهاب؟ ألا تسمى أفعال الهنود (إرهاباً)؟ إن الإرهاب الذي يقصدونه - يا حماي - هو الإرهاب الجديد .. الإرهاب بالمفهوم الأمريكي .. كل مسلم سيفكر خلاف أمريكا سيصبح إرهابياً علينا قتله!

اعترض (ميراج خان) أيامها عليه .. مستحيل .. مستحيل أن يصبح جيشه المسلم سليم العقيدة عميلاً للغرب .. إنهم يستطيعون تمييز الإرهاب جيداً ..

الآن يبكي .. انحدرت الدموع من عينيه بغزارة .. لقد قُتل (زولماي) فيما بعد على يد مجموعة من بني بلدته .. حينما صدر القرار (الأمريكستاني) بشن الحرب على إرهابيي وادي سوات (حيث يسكن هو وأسرته)، اندفعت الدبابات بجنون ليثبت جنودها حسن

تدريبهم للقادة .. انطلقت آلاف القذائف وذبح مئات المدنيين أمام أسرهم .. ارتكب الجيش فظائع مبررة بالنسبة له .. فكل من يعاون القتلة الإرهابيين هو إرهابي بالمثل .. أياً كان عمره أو جنسه .. هؤلاء الإرهابيون المجرمون يريدون تدمير باكستان الجميلة .. إنهم ضد (الدولة المدنية) والحضارة وأنصار الدولة الدينية الإرهابية .. لابد من القضاء عليهم وعلى من يقف بجوارهم ..

بينما ازدادت وحشية كل مواطن عادي نجا من مذابح الجيش وفقد أسرته .. وارتكب فظائع مبررة بالنسبة لهم .. قتل المدنيون مئات الجنود .. فجروا عشرات المدرعات .. يريدون الانتقام من هذا الظلم البين لهم ..

بدأت المذابح تشتد .. والحرب تستعر بين الجيش وأهل البلد .. باكستان تحولت إلى جحيم ..

إنه عام ٢٠٠٩ الكئيب المحزن على أهل باكستان .. العام الذي تحول فيه وادي سوات مضرب الأمثال على الجمال والخضرة المبهرة التي تنتثر جداول المياه والبحيرات الخلابة في كل أنحائه .. تحول هذا الوادي إلى خراب .. إلى جحيم فوق الأرض .. تشريد عشرات الآلاف ومقتل وذبح آلاف المدنيين الآخرين ..

لقد تغيرت عقيدة الجيش فعلاً .. قبل عشر سنوات فقط خاض

حرباً ضد (الهند) من أجل حماية (المسلمين من غير مواطني بلده) .. الآن أصابه الجنون بالعقيدة الجديدة فيخوض حرباً ضد (مسلمي بلده) بالتعاون أحياناً مع (الهندوس) و(الأمريكان)!

ياله من تطور رهيب يا (ميراج خان)!

دخل (ميراج) إلى خيمته .. استمر في البكاء بلا توقف .. لقد فقد أسرته كلها في هذه الحرب .. لم يتبق له أحد كي يحكي الماضي الفاخر .. يحكي له عن يوم ما كانت عقيدة الجيش هي محاربة العدو الهندوسي من أجل مسلمي بلده ..

فقط!

❁ ❁ ❁

طائرة مصرية من نوع الأباتشي تصوب صاروخها .. إنهم يحتمون بالمسجد .. أي مسجد سيحميكم منا أيها الإرهابيون؟

انطلق الصاروخ تلو الصاروخ .. تحول المكان إلى جحيم .. الجثث تفحمت من شدة اللهب .. صاروخ الهيلفاير الأمريكي يستحق اسمه (اضرب وانسَ) .. هو يعرف وجهته بسهولة ..

«تمام العملية .. جاري تمشيط باقي سيناء من الإرهابيين»

وقفلت الطائرة عائدة .. بينما صرخات النساء على أزواجهن تشق الليل ..

معركة أرض الحضارة

«أرض الحضارة .. فلنذهب إلى أرض الحضارة»

هكذا ظل العجوز (بهير) يهتف .. طوال أشهر لم ينقطع عن هذا الحديث في الواحة ..

لكن الجميع ظل ينظر له باستغراب .. لماذا يتركون الواحة؟ إن فيها الطعام والماء والحماية الطبيعية من المخاطر .. ثم إنها لم تخض يوماً ولو معركة واحدة ولم تعرف مفهوم الصراع في تاريخها .. لماذا يتركونها إذن؟

لكن العجوز (بهير) ظل مُصراً .. كان يهيم على وجهه عدة أيام ثم يجيء هاتفاً بأنه رأى أرض الحضارة .. وما أدراكم ما أرض الحضارة .. استعدوا للرحيل جميعاً إليها!

العامة بدأت تتجاهله .. في مجتمع بلا صراع على الإطلاق لا حاكم حقيقي هنا .. ما هو إلا عجوز آخر يثقون في رأيه أحياناً ليفصل بينهم في المنازعات التافهة ..

نعم .. لماذا يتركون الواحة؟



للمرة الأولى يجيء مثل هذا الإعصار الرهيب ليضرب الواحة .. انقلبت كلها رأساً على عقب .. لم يواجه أي منهم هذه الظاهرة القاسية من قبل .. وكانت الكارثة مخيفة .. لقد تدمر كل شيء .. حتى البحيرة العذبة جف نصفها ..

لكن ذلك الجفاف فاجأهم بجبل ذهبي كبير مختبئ تحت الماء .. لم يهلل أحد .. ليس في قدرتهم معرفة قيمته ولا فائدته .. في حياة وادعة متكافلة ها هنا لا غني أو فقير، فلا صراع ..

العجوز مازال يدور مبشراً بأرض الحضارة .. أوقفه الحاكم العرفي للواحة وسأله عن سبب واحد يدفعهم للرحيل .. أخبره العجوز (بهير):

- لأنكم بلا مواهب .. كلكم عقول تابعة للفراغ .. لا أمل في صمودكم أمام الزمن القادم .. زمن الحضارة والقوى الكبرى ..

- وكيف ظللنا في هذه الدنيا طوال هذا العمر يا مُخرف؟

- ظللتم كما أنتم .. بلا صراع وبلا تحديات فبقيتم بلا إبداع .. كلكم تابعون فاذهبوا إلى أرض الحضارة .. هناك قادة ينقصهم الأتباع!

- مجنون ومخرف .. تريد تأجيج الفتنة بين أهل الواحة .. كلنا نشعر بالمساواة ونرفض الصراع ..

- ترفضون الإبداع .. ترفضون التقدم .. ترفضون الحضارة ..

أثناء الحديث دخل الخيمة أحد رجال الواحة مولولاً .. مملكة الحديد قررت الحرب ضد الواحة .. وهم أناس متوحشون لديهم حضارة همجية قائمة بالأساس على الصراع .. تركوا الواحة الصغيرة طوال الزمان لأنها بلا فائدة .. والآن ظهر أن هناك جبلاً من الذهب لابد من الحصول عليه ..

هتف الحاكم في العجوز:

- أنت خبير بالبلدان .. أخبرنا كيف ندفع الشر؟

- تدفعون الشر بلا حضارة؟! تدفعون الشر وما عشتم سوى كالأنعام تأكلون وتشربون بلا تطور؟ ادفعوا الشر بترك الواحة لهم مادمتم غير قادرين على الصراع .. اتركوا الواحة لهم وإلا حدثت مجزرة .. هيا بنا إلى أرض الحضارة حيث المبدعون في انتظار المُخلصين ..

بدأت سهام النار تنهمر على الواحة .. خرجت النسوة والأطفال صارخات بينما الرجال أصابهم الهلع ولم يعرف أي منهم ماذا يفعل .. لم يكن أمام الحاكم مفر:

- هيا إلى أرض الحضارة بلا إبطاء!



بعد يومين من السير في الصحراء وجدوا أنفسهم أخيراً أمام أرض الحضارة ..

واجهتهم أسوار عالية مكهربة .. تقدم العجوز إليها في ثقة ووقف يطلب الإذن بالدخول .. هم آتون في سلام ..

ظهرت مرآة فيها رجل يتحدث فأصاب الجميع الذهول التام .. أخبرهم الرجل أنه يرحب بهم في المدينة لكنه حذرهم بأن من سيمر من البوابة وفي نيته العدوان سيحترق بلا نقاش!

هكذا فُتحت البوابات ودخل أهل الواحة إلى المدينة ..

وأصيبوا بالانبهار مما يرونه ..

كل المباني ضخمة لامعة .. كل الأرض لونها سوداء ومستوية .. المدينة ليس بها سوى قلة من السائرين لكن الغريب أن أياً منهم لم يأبه لهم ولم يعترض أو يرحب ..

هكذا أرشدهم العجوز إلى مبنى ضخم في وسط المدينة اسمه (مجمع البناة) .. هناك رأوا حكام المدينة للمرة الأولى: البنائون!

❋ ❋ ❋

رحب بهم البنائون .. عشرون رجلاً فذاً قاموا بصنع هذه المدينة بالكامل .. لكنهم وجدوها غير ممتلئة بالسكان فرحبوا بكل قادم .. هكذا طلبوا منهم أن يلتزموا باحترام قوانين أرض الحضارة فقط ..

وأن يختاروا ما يشاء أي منهم من المباني والمرافق!

هكذا بكل بساطة أصبحوا من أهل أرض الحضارة ..

وهكذا بدأت الحياة الآمنة حقاً تحت حكم البنائين ..



أربعين من فتيان أهل الواحة قادهم العجوز (بهير) في حركة سرية .. كانوا يشعرون بالغيرة من كل هذا التقدم .. ما السر وراء هؤلاء البنائين؟

كان (بهير) يحثهم على تتبع البنائين .. كل اثنين منهم يراقبون بناءً واحداً ويطلبون التتلمذ على يديه .. يحاولون فهم عمله .. أخبرهم بأن هؤلاء قاموا بخلق هذه المدينة من الفراغ .. كيف فعلوها ولم؟

هكذا رحب البنائون بالشباب المتحمس .. بدأ الشباب يتعلم ويعرف تاريخ هذه المجموعة .. لقد كانوا عصبة من العباقرة لم يطيقوا أرض الحديد فهربوا منها .. ضاعوا في الصحراء حتى وجدوا قبيلة بدائية استقبلتهم .. استغلوا بنيان أجساد أبناء القبيلة القوي فقاموا بإنشاءات هائلة في الصحراء .. عقولهم ساعدها توافر كافة مصادر الصناعات .. فأنشأوا المدينة كي يقوموا بسيادتها .. فقد كانوا من داخلهم يرفضون سيادة البدائيين عليهم ..

هكذا راحوا يطورون المدينة .. جاءت العواصف فقاموا بتحديها

وأنشأوا مبانيَ قوية من الأسمنت .. هاجمتهم الذئاب والضواري فصنعوا الأسوار .. حاولت أرض الحديد الهجوم على مدينتهم فقاموا بصنع كهرباء تسري في الأسوار وإشعاع يحرق المعتدين ..

وبدأت مع مرور السنوات عقول شباب أهل الواحة تفهم الخطة .. خطة التطور .. إن البنائين في خطر مستمر .. كلما واجههم خطر قاموا بتحديه وتساعدهم عقولهم على اجتيازه .. حتى إن امتنع التهديد اصطنعوا حالة من التنافس الودي الداخلي تخلق صراعاً يقود لتطور وكشف جديد .. ومع ذلك هم في النهاية مسالمون يرحبون بالغرباء التائهين تعاطفاً معهم وتقديراً لمحنتهم التي مروا بها من قبل ..

العجوز (بهير) راح يستقي المعلومات من الشباب الذي يتتلمذ على يد العباقرة البنائين .. بدأ يضع قوانين وحسابات .. بدأ يضع تحديات لتلاميذه ويخلق بينهم منافسات يحاول كل منهم سحق الآخر فيها ذهنياً وبدنياً .. برغم الحساسيات الكبرى التي بدأت تتولد إلا أن الحقيقة الناصعة أن الفتيان تطوروا بالمنافسات السرية .. هكذا فهم (بهير) اللعبة .. وهكذا بدأ تنفيذ الشق الأخير من خطته ..

❁ ❁ ❁

في ذلك اليوم دعا (بهير) البنائين إلى اجتماع .. في القاعة الكبرى

التي يحكمون منها المدينة طلب (بهير) بحق شباب أهل الواحة في الحكم معهم!

انتفض كبير البنائين غاضباً ووقف يسبه ويذكره بأنهم أنقذوا أهل الواحة من الضياع .. فكيف يطلبون الحكم معنا الآن؟

في هدوء وبرود قال (بهير) إن أرض الحضارة تؤمن بالمساواة .. هكذا يقول قانونها .. لذا فمن حقهم الحكم وتداول السلطة ..

دمدم أكثر البنائين في غضب .. سخر منه كبيرهم وطرده محذراً إياه من العودة إلى مثل هذا التفكير .. في هدوء غادر (بهير) مجمع البناة ليتجه إلى الجانب الآخر من المدينة .. كان الشباب في الانتظار فما إن رأوا وجهه حتى فهموا ما حدث .. وبلا إبطاء أصدر لهم الأمر بفعل ما اتفقوا عليه ..



كرات ضخمة من اللهب راحت تسقط على مجمع البناة .. في هلع ركض البنائون في كل مكان يفكرون في مصدر هذا القصف .. أهل المدينة القلائل اختبأوا في منازلهم في ذعر ..

صعد كبير البنائين إلى برج عال .. بمنظار متطور شاهد مصدر القصف: إنه الجانب الآخر من المدينة!

الجانب الذي يعيش فيه أهل الواحة!

هكذا نزل غاضباً يخبر باقي البنائين .. استشاطوا غضباً واندفع كل منهم إلى مبنى صغير يحوي مدافع راحوا يطلقونها بلا هوادة نحو الجهة الأخرى ..

في الأعلى فوجئ كبير البنائين بعشرات الكرات تطير في الهواء لتصطدم بالقذائف قبل سقوطها على أهل الواحة!

التفت إلى من بجواره وأخبره عما يراه فعض البناء على شفتيه قائلاً في غيظ:

- إذن تأكدنا الآن أن الفتيان الذين قمنا بتعليمهم خانونا .. إنهم يستخدمون علومنا الذين تشربوها ضدنا!

في صرامة قال الكبير:

- إذن بدأوا معنا الصراع .. جميل .. هذا ما نبرع فيه .. أذيقوهم الويل أيها العباقرة!



شهور طويلة من القصف والقصف العكسي .. البنائون استخدموا عبقريتهم كلها في صنع أفضل ما عندهم وشباب الواحة استخدموا كل العلوم التي تعلموها لصد العدوان وفرض عبقريتهم على البنائين ..

في البداية كان أهل الواحة مع شبابها يرجون نصرتهم وأهل المدينة القدامي مع البنائين يرجون نصرتهم .. لكن الأمد طال .. الصراع لا ينتهي ..

كل عقل يبتكر شيئاً جديداً هنا يقابله عقل يبتكر شيئاً جديداً هناك ..

بدأ الكل يشعر بالملل .. المتصارعون فقط قرروا خوض المعركة للنهاية .. إما أن ينتصر البنائون أصحاب المدينة الأصليون الرافضون لترك حكم مدينتهم التي بنوها بعرقهم وجهدهم، وإما أن ينتصر شباب الواحة الذين يرفضون التسليم بتفوق عقول غيرهم عليهم ويصرون على حقهم في المشاركة في الحكم بل والسيطرة عليه ..

النار راحت تتصاعد من كل مكان .. الخراب في كل ركن .. المدينة كلها تنهار .. قام البنائون باللجوء لأسلوب قذر بقطع مياه الشرب عن جانب أهل الواحة .. فقام شباب الواحة بقطع الكهرباء عن الأسوار كلها ..

حاول البعض التفاوض والتهدئة .. لكن كلاً منهم متربص برأيه .. هذا يقول: حقنا وهذه مدينتنا .. والآخر يقول حقنا في المساواة وهذه مدينتنا أيضاً!

لم يوافق أي منهم على إعادة المياه أو الكهرباء .. أهل الواحة وأهل المدينة بدأوا في الموت لكن كلا الجانبين لا يتوقفان .. (بهير) يشعر بدنو السيطرة وكبير البنائين يشعر بدنو التخلص من الشباب المتهور الطماع ..

وفي وسط أحد أيام القصف المتبادل فوجئوا بجيوش لا حصر لها تجوب شوارع المدينة .. تقصف الجانبين بلا هوادة ولا رحمة .. من هؤلاء؟! من أين أتوا؟!

لكن الراية المرفوعة أنهت التساؤلات .. إنه جيش أرض الحديد!

متى دخل هؤلاء؟ كيف ثقبوا الأسوار دون أن يشعر أحد؟

هكذا راح البنائون يركضون هرباً محاولين ترك المدينة لكن أهل أرض الحديد راحوا يقصفونهم ويقومون بإبادتهم عن بكرة أبيهم .. بينما في الجانب الآخر كانت المذبحة أشد وأبشع .. ذبحوا كل الشباب لإيقاف طموحهم وطمعهم في السلطة ..

على أسوار المدينة فوجئ العجوز (بهير) الهارب من أحد الشقوق التي دخل منها جيش الحديد، بكبير البنائين الهارب هو الآخر من نفس الشق!

نظروا لبعضهم في كراهية .. صرخ كبير البنائين في (بهير) أنه لم يكن يتخيل أن تبلغ العداوة ونكران الجميل إلى الحد الذي يصل به

إلى الاستعانة بأعداء أرض الحضارة .. صرخ فيه (بهير) بأنه يتهمه هو بأنه من أدخل جنود أرض الحديد لإبادة أبنائه بعد ظهور تفوقهم .. اشتد غيظ كبير البنائين فتناول قذيفة من الأرض ورفعها ليقذف بها (بهير)، بينما فعل الآخر نفس الشيء بقذيفة أخرى ..

هنا صرخ كبير البنائين هاتفاً في ذعر وذهول:

- مهلاً! هذه التي تحملها قذيفتنا!

رد عليه (بهير) مندهشاً:

- وهذه التي تحملها قذيفتنا!

استدار الاثنان في ارتياع لتأمل الشق الضخم المصنوع في سور المدينة ..

الشق الذي تناثرت أسفله قذائف المتصارعين في المعركة الأخيرة!

معركة أرض الحضارة!



سلومون .. لامفر

«إنها اللحظات الأخيرة يا سليمان»

هكذا يتردد النداء في عقله.. يركض الجميع هنا وهناك في محاولة لإنقاذه، يحاول بكل جهده أن يبقي عينيه مفتوحتين .. لكن النداء لا يتوقف .. يبدو أنها اللحظات الأخيرة بالفعل ..

أغمض عينيه للحظة .. رأى عرفات ينظر له في لوم وشماتة!

لماذا يلومه؟ لماذا يشمت فيه؟

في اللحظة التالية تذكر هذا الموقف .. عندما اتصل به عرفات وقت بداية حصار إسرائيل لمنزله تمهيداً لقتله، كانت أيدي عرفات المرتعشة تدير قرص الهاتف وهي في ثقه أن سليمان سينقذ الموقف، سيجري اتصالاته بإسرائيل ويوقف الحصار القاتل ..

هرع موظف الهاتف لمدير المخابرات ليخبره بأن ياسر عرفات ينتظره على الهاتف .. لكن سليمان نظر له في سخرية وقال: دعوه على الهاتف للأبد .. في ستين داهية!

هكذا ترك عرفات وحده يلقى مصيره أمام اليهود .. هكذا رفض مساعدته في المحنة الأخيرة .. لهذا ينظر له في لوم وشماتة .. الآن فهم!

فتح عينيه في ذعر .. ماذا حدث .. لماذا تذكر هذا الموقف الآن .. غلبه الألم فاضطر لإغماض عينيه مرة أخرى ..

هذه المرة شاهد صدام حسين يتحسس ذلك الحبل الغليظ حول عنقه .. ينظر لسليمان في سخرية قائلاً: على الأقل أعطاني الله مهلة لمراجعة نفسي يا أحمق .. أعطاني مهلة لنطق الشهادة .. فهل ستنطقها؟!

لماذا يسخر منه صدام؟ لماذا يشمت فيه؟

وراء صدام كانت هناك آلاف الانفجارات .. عشرات الآلاف من القتلى .. جثث احترقت حتى العظام .. مئات الفتيات المغتصبات يبكين تحت أقدام الجنود الأمريكان الذين ينظرون له جميعاً في امتنان .. على أكبر دبابة هناك يقف دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي في غرور رافعاً رأسه في شموخ .. لكن ما إن رأى سليمان حتى انحنى له في احترام وتقدير قائلاً له: سيدي عمر سليمان .. لقد استغللنا نصيحتك خير استغلال .. أنت من اقترحت علينا أن ندعي ارتباط العراق بالقاعدة كحجة لاحتلاله .. وهاقد نفعت نصيحتك بصورة لم نكن نتخيلها .. فألف شكر لك أيها العظيم، وانتظرنا في الجحيم فسنقابلك هناك لنشرب نخب هذا الانتصار!

مرة أخرى فتح عينيه في ذعر .. ماذا قال هذا الأحمق؟ أي جحيم ..

اللعنة .. لا يريد إغماض عينيه .. يحاول المقاومة بشدة .. لكن الألم كان شديد القوة و.. آي ..

هذه المرة كانت هناك حضانة لطيفة جداً، عشرات الأطفال يلعبون المساكة وألعاباً أخرى في ساحتها الواسعة .. البعض يضحك والبعض الآخر ذهب يشكو لمدرسته صغيرة السن من أن زميله (غلس يا أبلة)!

فجأه حدث شيء يشبه البرق في السماء .. نزلت عشرات الألعاب في ساحة الحضانة .. ذهب الأطفال يركضون نحوها في سعادة وفضول، كل ليأخذ لعبته بينما مدرستهم تصرخ في ذعر محاولة إبعادهم عنها .. لكن الأطفال كان أغلبهم قد أمسك كل منهم بلعبته .. وفجأه انطلقت عشرات الانفجارات .. راحت جثث الأطفال تتناثر والدماء والأشلاء تنتشر .. انهارت المُدرسة وهي تصرخ .. لقد كانت فكرتها هي فتح هذه الحضانة الآن حتى تبعد الأطفال الصغار عن أجواء الحرب الدائرة في غزة .. كانت فكرتها أن تبتعد بهم عن مئات الانفجارات وانهيارات المنازل فوق أهاليهم .. أغلبهم فقد أهله فحاولت أن تنسيهم وتواسيهم .. لكن اليهود كانوا يمتلكون قنابل لكل سنوات العمر! قنابل على شكل ألعاب وقنابل على شكل قنابل!

وسط صراخها نظرت إليه .. وقفت في غضب مجنون وركضت إليه

هاتفة: أيها العميل القذر .. إسرائيل كلها تتحدث في سعادة عن قبولك وسعادتك بهذه الحرب علينا لإسقاط حماس التي تكرهها .. أيها القذر .. سأذبحك بأظفاري!

في سرعة فتح عينيه مرة أخرى .. متى ينتهي هذا؟ سيحاول إيقاف إغماض عينيه المفاجئ قدر الإمكان .. سيقاوم الألم حتى النهاية .. المهم ألا يغمض عينيه مرة أخرى .. لابد ألا يتكرر هذا ..

كان هناك طبيب قلق، مد يده بمحقن غليظ نحو صدره، نظر الطبيب في سرعة إليه فوجده يبادله النظر بخوف ورعب، قال له مبتسماً:

- تحمل يا سيدي .. لاتخف فلن تؤلم كثيراً!

في سره راح يهتف ضد الطبيب، ليس المحقن ما أخاف يا أحمق، ليس الألم، بل إغماض عيني هو ما آخـا .. آي!

هذه المره كان في قبو مخيف .. إنه يعرفه جيداً فقد قضى فيه سنوات طويلة ينتزع الاعترافات .. انفتحت عشرات الزنازين فجأة وخرج آلاف الشباب .. بعضهم فقد أطرافه وبعضهم تقيحت جروح التعذيب في جسده حتى لعب فيها الدود! ما إن رأوه حتى لمعت أعينهم في تصميم .. لقد شارك بنفسه في تعذيب الكثير من هؤلاء .. هذا الفتى البريطاني المسلم الذي أعطته لك بريطانيا كي تعذبه عندك

بالوكالة .. هذا العالم الأمريكي ذو الأصول الباكستانية الذي قطعت جسده بالسياط بعدما طلبت منك أمريكا أن (تتوصى عليه)! هذا وهذا .. كل هؤلاء يتحركون نحوه في غضب وبطء .. لقد فعل بهم الأفاعيل ولن يتركوه .. تراجع بظهره حتى وجد الجدار الرطب القذر فصرخ في ذعر .. إنه كابوس .. إنه كابوس ..

للمرة الأخيرة يفتح عينيه .. لقد أصابه الإنهاك .. تعذيب وهو في وعيه وتعذيب وهو فاقد لوعيه .. هذه المرة كان التعذيب أكبر .. سيصمد لفترة أطول دون أن يغمض عينيه .. سيحاول .. صمد كثيراً .. إنهم يستخدمون جهاز الصدمات الكهربائية .. جحظت عيناه في ألم وذعر .. لا لن يغلقها .. سيقاتل كي لا يغلقها .. لن يغلقها هذه المرة .. لن ..

في النهاية جاءت السحب السوداء الكثيفة، ثقلت عيناه رغماً عنه .. يرى وراء هذه السحب آلاف الشباب المصري الغاضب .. منهم من فقد عينيه ومنهم من تلقى عشرات الرصاصات في جسده .. الكل ينظر له في غضب وتصميم وترقب.. أنت قادم إلينا يا سليمان ..

أنت قادم إلينا ..

لا مفر ..



جلست المرأة الصعيدية إلى الطبلية بعدما أعدت طعام العشاء، راح زوجها يمزح مع أطفاله الخمسة قليلاً قبل أن يلتفت إليها قائلاً في قلق:

- البلد كلها في رعب .. هناك ثلاثة شباب من الجماعات يختبئون في القرية .. وهم يعتقلون الكثير بلا جدوى ..

ردت عليه في قلق مماثل:

- إنهم سيختبئون وسط حقول القصب والمزروعات كالمعتاد .. لن يكون في مقدور الداخلية الوصول إليهم .. ربنا يستر ..

وفي توتر أخذت رضيعها في حضنها، وهي تنظر إلى السماء راجيةً ..

على بعد كيلو متر واحد وقف هذا الضابط ذو الرتبة الكبيرة جداً يتحدث في اللاسلكي .. كان الشحوب قد علا وجهه وهو يتلقى الأوامر الجديدة .. راح يردد بلا انقطاع: - يا عمر بيه أرجوك .. يا عمر بيه أرجوك .. هناك عشرات الفلاحين بيوتهم وسط المزروعات ..

لكن أوامر عمر بيه كانت صارمة حاسمة .. سيستعمل أسلوباً جديداً لمكافحة اختباء شباب الجماعات في الحقول .. سيحرق الحقول بمن فيها .. سيلقن هؤلاء الفلاحين درساً لن ينسوه .. إذا اختبأ بعض الشباب في حقلك فاعلم أنك ستحترق مع أسرتك وأطفالك .. فابذل جهدك كي لا يختبئ أحد عندك!

وفي يأس أصدر الضابط الكبير الأوامر الجديدة ..

أما تلك الأسرة .. فقد راحت المرأة تتشمم الهواء في استغراب .. قالت لزوجها في ارتياع:

- هناك رائحة دخان .. المحصول يحترق ..

هرع الفلاح الصعيدي كالمذعور نحو الباب ليفتحه .. لكن النار هبت فجأة داخلة إلى منزله كأنها كانت تنتظره في لهفة .. اشتعلت النيران في أطفاله بينما راحت زوجته تصرخ .. هذا (عمر) الصغير ذو الثلاث سنوات يتلوى ويصرخ من النيران .. بينما (أحمد) ذو السنوات الخمس و(محمد) ذو السنوات السبع يدوران حول بعضهما في عجز وصراخهما يصم الآذان .. زوجته تحاول إنقاذ الرضيع لكن النيران اشتعلت فيها هي الأخرى .. لم تستطع تركه فاحترقت هي ورضيعها .. الأب يسقط وسط الصراخ غير قادر على إنقاذ (محمود) ذي السنوات العشر الذي حاول القفز من الشباك فوجد شعلات النار في انتظاره .. غير قادر على إنقاذ نفسه ولا إنقاذ أحد .. أغمض عينيه للمرة الأخيرة من الألم والحريق .. وهو يصرخ في عقله:

أنت قادم إلي يا من فعلت هذا ..

أنت قادم إلي ..

لامفر ..



المكتاتور

الفاتيكان - ١٥٥٩

ليلة أمس قُتل سيدي الدون (جيوتو أليجييري) مسموماً!

سيدي الدون الإيطالي الثري المفكر العظيم قتل أمامي أنا خادمه الأثير عبر عشرات السنوات وصديقه الوفي الوحيد.

طلب مني ليلتها العشاء فأمرت الطهاة بإعداده .. وما إن تناول القليل من الطعام حتى أمسك بمعدته، تلوى أمامي متألماً وهمس في أذني بكلمة واحدة:

- لقد قتلوني ياساندرو .. تخلص من الخدم ولا تبحث وراء موتي!

ومات بين يدي!

لا ورثة .. الدون وحيد تماماً .. هرعت ملتاعاً أجيء بالأطباء وأبلغ السلطات لكنهم أنهوا الأمر بسرعة بالغة مريبة .. لم يبحثوا كثيراً عن القاتل وقدم أحد الرهبان الشكر لي على البلاغ وصرفني من قصر الدون الذي ستتصرف فيه كنيسة الفاتيكان مع باقي ثروته كما تشاء ..

أثناء انصرافي وأنا مازلت بين الصدمة والذهول أمسك أحد الطهاة

بيدي ومال علي هامساً بعدما تأكد أن لا أحد يراقبنا:

- انصرف من هنا بلا حديث ولا تعد مرة أخرى .. غيسليري نفسه وراء ما حدث!

اهتزت جوانحي في رعب!

غيسليري!

مدير مخابرات الفاتيكان المرعب بنفسه؟

يعلم الله أنني كنت أشعر بهذا، لكني لم أعتقد جدية الأمر ..

سأرحل غداً إلى قريتي الهادئة .. لن أعود إلى روما أبداً بعد اليوم ..

إن غيسليري سفاح جزار ..

أو كما نسميه باللاتينية:

مكتاتور!



في اليوم التالي وقفت بحقائبي مستعداً للرحيل .. هناك عربة ستجيء بعد قليل لتأخذني ..

لماذا قتل الفاتيكان سيدي (جيوتو)؟

ألح السؤال على عقلي طوال الليل ..

هل بسبب بعض كتاباته الشخصية السرية المادحة للبروتستانت؟

نعم قد قمت بالاطلاع على بعضها وأقسمت أن لا أبلغ أحداً، ولم

أفعل .. لكن كيف علم غيري بهذا؟

إذن هناك جواسيس كانوا في القصر .. ولو صدقنا المرويات عن أسلوب مخابرات الفاتيكان المسماة (الحلف المقدس) فأغلب الطهاة كانوا من (الرهبان السود) وهم عملاء المخابرات التي يرأسها (ميكيل غيسليري) .. وهذا يفسر سبب وصول السم إلى طعامه!

مرة أخرى انتفضت في ذعر عندما خطرت ببالي حقيقة منطقية جداً:

ماداموا تخلصوا من الدون باعتباره مهرطقاً فبالتأكيد أنا التالي باعتباري المتستر عليه!

تلفَّتُّ حولي في ذعر .. لماذا تأخر السائق؟ لماذا لا يسير أحد في الشارع؟ لماذا يتحرك هؤلاء الثلاثة رهبان ذوو الأردية السوداء بذلك الإصرار؟

تركت حقائبي وهربت راكضاً في حيوانية وذعر .. الآن كل اللعب على المكشوف .. الرهبان يركضون ورائي .. ظهرت عربة مغلقة أشبه بالصندوق من اللامكان تجري ورائي معهم .. أين المفر أين؟

هناك مجموعة من الأشجار المفضية إلى الغابة على بعد مسافة قصيرة عند المنعطف القادم .. سأتجه إليها فوراً كي أصعب المأمورية

على العربة .. وصلت إليها وانعطفت فإذ براهب ضخم الجثة قابلني بالأحضان مبتسماً في سخرية .. حاولت التملص منه كثيراً ..

لكني تلقيت ضربة قوية على رأسي ..

وفقدت الوعي بين أيديهم.



أفقت على بوابات الفاتيكان .. كانت يدي مغلولة وخمسة من الرهبان الأشداء التابعين لجهاز المخابرات يسحبونني إلى داخل أحد الأبنية الرئيسية ..

كانوا قد أغلقوا فمي فرحت أبكي قهراً وأنا أحاول استرحامهم بصوت مكتوم .. لكن النظرات الصارمة في عيونهم لا تحمل أي شفقة ..

لا أعرف مصيري .. لكنني أعرف مصير كل من دخل إلى هذا المكان الرهيب بصحبة (الرهبان السود) إلى حيث الكاردينال الجزار (غيسليري) .. وهو مصير أفضِّل الموت الآن عن رؤيته!

دخلنا إلى الطابق الأرضي بين المشاعل التي لم تفلح في تخفيف الظلام المنتشر في الممرات الطويلة .. تحركنا فيها وصوت السلاسل والجر هما فقط اللذان يكسران الصمت، بينما الضوء البرتقالي المخيف

يلقي ظلاله على وجوه الكهنة التي بدت كوجوه الشياطين بالنسبة لي ..

وصلنا إلى قاعة صغيرة تستخدم كمدخل .. ياللرائحة القاتلة الرهيبة .. كانت هناك عشرة هياكل عظمية معلقة على الحائط .. توقف الكهنة وأشاروا إليهم قائلين لي في صرامة:

- هذا مصير من يتحدى مشيئة الرب!

فكوك الجماجم مفتوحة في صرخة صامتة .. الهياكل مثبتة في الحائط العفن بواسطة مسامير غليظة أكلها الصدأ بينما الجثة التاسعة لازال في عظامها بعض اللحم لم يتآكل بعد لكن الدود يعمل بهمة!

جحظت عيناي في هلع .. لا .. لا أريد هذا المصير .. أريد النجاة ..

حاولت التملص من بين أيديهم بلا جدوى برغم عنفي الشديد .. سحبوني إلى ممر آخر طويل كان على جانبيه أفران سوداء ضخمة ومغطاة بالشحم .. وصلنا إلى نهاية الممر فوجدنا باباً يجلس عليه كاهنٌ آخر .. هناك هيكلان عظميان مفروشان على الأرض بدلاً من سجادة الاستقبال!

نزع الكمامة من فمي بقسوة بالغة وأمرني بالسكوت وعدم الكلام قبل أن يفتح البوابة الرهيبة ..

دخلت لأجد كاردينالاً في استقبالي ..

من اللافتة التي كانت معلقة على باب القاعة عرفته وإن لم أكن أصدق مثولي أمامه ..

إنني أمام رئيس المخابرات بنفسه ..

غيسليري الرهيب!



كان غيسليري نحيفاً هادئاً جداً على غير ما توقعت .. قابلني بابتسامة ودود عجيبة في وسط القاعة المظلمة التي تفوح منها روائح نتنة .. قال لي بكل ود وتهذيب:

- أهلاً بعزيزي (ساندرو) .. إنما استدعيتك هنا لاستجواب بسيط ..

اندفعت قائلاً بين دموعي:

- أيها الأب العظيم .. أقسم بأن أجيبك بكل ما تريده .. فقط ارحمني.

هز الكاردينال (غيسليري) رأسه متفهماً بلا تعليق .. نظر للكهنة الحراس نظرة خاصة فأوقفوني في وسط القاعة ..

كان هناك حبل يتدلى في الهواء مثبت إلى آلية غريبة غامضة .. قيدوا يدي خلف ظهري بطريقة مؤلمة .. وببطء راحوا يرفعونني بهذا الوضع الرهيب .. رحت أصرخ ألماً منادياً الأب (غيسليري) مسترحماً إياه .. لكنه ظل بنفس الهدوء والصمت حتى أصبحت على

ارتفاع ثمانية أمتار في الهواء!

يداي تصرخان من الألم .. رحت أهتف له راجياً الرحمة .. لقد أبديت استعداداً للتعاون فلم التعذيب؟

طبعاً حتى في وسط ألمي كنت أدرك تماماً (كمواطن كاثوليكي) مدى عبثية سؤالي الأخير ..

إن محاكم التفتيش تعذبك أولاً بل قد تقتلك بلا أي غاية سوى الشك في نوايا سيئة!

من أسفل قال الكاردينال (غيسليري) بهدوئه المثير:

- قل لي يا ساندرو .. لدي فضول بسيط للغاية .. كنت أريد معرفة من هو الذي أطلق علي لقب (مكتاتور) في حفلة الدون (جيوتو) التي أقيمت الشهر الماضي؟

لقد ضحك الدون (جيوتو) كثيراً على اللقب ولا عجب فهو مهرطق .. لكني أعلم بأنه ليس هو من صاغ هذا اللقب اللطيف .. أخبرني باسم من أطلق اللقب وسأبقيك حياً!

اللعنة .. الألم لا يطاق .. أتذكر حفلة الشهر الماضي طبعاً وأعرف أن الدون (دي بوندوني) هو من أطلق التسمية .. لكن هل أشي به فيضيع؟

بكيت في ألم وقهر .. أحد الكهنة من أسفل يرجو (غيسليري)

كي يرميني للذئاب .. لكن الكاردينال يهدئ من حماسته بنفس الهدوء ويخبره بأنني سأتكلم .. فقط الانتظار ..

الألم لا يطاق .. عذراً يا دون (دي بوندوني) .. إنها حياتي أو حياتك! صرخت قائلاً:

- إنه الدون (دي بوندوني) .. أقسم أنه هو من فعلها .. أرجوك ارحمني وأنزلني ..

تمتم (غيسليري) في شرود محدثاً نفسه بصوت مسموع:

- كما توقعت .. إنه دي بوندوني اللعين! حسابه سيكون عسيراً للغاية!

ثم التفت لحراسه الكهنة آمراً:

- ألم تسمعوا طلبه؟ أنزلوه!

قبل أن أتنفس الصعداء أُرخي الحبل فجأة .. نزلت ستة أمتار بسرعة البرق قبل أن يتوقف الحبل مرة أخرى على بعد مترين من الأرض ..

صرخة ألم هائلة أطلقتها ساعتها .. كانت ذراعاي معلقتين من خلفي وقد انفصلت العظام تماماً

عن كتفي .. وضع مستحيل تشريحياً لكن هكذا كنت أتدلى صارخاً بلا انقطاع من شدة الألم الرهيب وفقدان الإحساس بأطرافي.

صرخت كثيراً كثيراً ..

حتى فقدت الوعي ..



لا أموت!

هذه هي المفاجأة المثيرة للغيظ والغضب .. أنني لا أموت!

مرت ليلتان وأنا مدلى في القاعة هكذا فاقد الإحساس بأطرافي بينما كتفاي بدآ في التمزق فعلاً من شدة الألم المستمر ..

لكن الألم لا يتوقف .. والموت لا يجيء ..

أفقت في إحدى المرات على صراخ قادم من الخارج .. فتحت عينيّ فوجدت الدون (دي بوندوني) البدين يدخل القاعة برفقة زوجته الأكثر بدانة والمستمرة في الصراخ ..

كان وجهه ممتقعاً بشدة ولكنه تحول للون الأسود عندما شاهدني ..

ملجوم اللسان وقف لدقيقة قبل أن يدخل الكاردينال الهادئ .. السفاح (غيسليري) ..

قال له (غيسليري) ببروده المثير:

- أنت متهم بالهرطقة يا دون .. لدينا عشرات الدلائل أنك كتبت مراسلات مع مهرطقين بروتستانت كثيرين .. منهم الدون (جيوتو) نفسه .. لدينا اعترافات كثيرة جداً تثبت هذا .. والأسوأ أن زوجتك

تمارس السحر الأسود .. لهذا حُكم عليكما بالتطهير .. ستُعدمان حالاً!

صرخت المرأة في ارتياع تُكذب الاتهام .. بينما ظل (دي بونديه) صامتاً يذرف دموع القهر .. إنه يدرك بأن لا فائدة من المقاومة .. بل أكثر من هذا .. إنه يفضل الصمت الآن كيلا يمتد الانتقام والعقاب إلى أولاده!

أمر الكاردينال بإنزالي فأنزلني الكهنة المرافقون .. سقطت على الأرض بلا إحساس في أطرافي لكنهم رفعوني بقسوة وعنف فصرخت من ألم كتفيّ .. جذبوني إلى مشاهدة الدون وزوجته وهما مقيدان بسلاسل غليظة ملقيان بداخل فوهة أحد الأفران الضخمة .. الكاردينال واقف بجواري يتمتم بنفس الهدوء:

- سأتركك تعيش يا (ساندرو) .. لكن عليك أن تشاهد هذا المنظر اللطيف أولاً ..

اشتعلت النار فجأة في الفرن .. راح الدون وزوجته يصرخان ويحاولان التحرر بلا جدوى .. النار ضخمة هائلة والصرخات مفزعة .. اللحم يحترق أمام (ساندرو) والكاردينال والجلد يذوب والمرأة تنادي الآلهة وتنادي ابنها بلا جدوى .. الصوت الآن يتوقف والأجساد تنتفض فعلى الأغلب الأحبال الصوتية نفسها احترقت .. همد الجسدان تماماً

وظلت النار تأكل جسديهما لدقائق طويلة ..

في النهاية .. التفت الكاردينال إلي قائلاً في همس مبدياً الأسف المصطنع:

- تخيل أنك أنت من وشيت بهما! ياللأسف .. ستتذكر هذا المشهد باقي عمرك!

انحدرت الدموع الساخنة .. سابقاً كان الألم في جسدي، الآن روحي نفسها احترقت مع الكتل المتفحمة بداخل الفرن .. كم أتمنى الموت كي أرتاح!

لكن أين أطرافي التي أقتل بها نفسي؟

❁ ❁ ❁

زلزال؟

هناك ضوضاء وصخب في الممرات ..

هناك فزع في وجوه الكهنة الحراس.

لقد أمضيت ثلاثة أشهر بداخل أحد الزنازين الفردية كمسكن دائم ارتضاه لي الكاردينال (غيسليري) كمكافأة لأقضي فيه باقي (حياتي)!

لكن صوت الصخب شديد ..

يا إلهي .. حراس الزنازين يتفقون على الهروب!

إنهم يهتفون في هلع بأن البابا قد مات .. والكاردينال قد هرب .. كل شيء ينهار .. المتمردون على أبواب جهاز المخابرات الفاتيكاني يستعدون لاقتحامه!

هربوا وتركوني مع المئات غيري .. راح سليمو الأطراف يدقون على الأبواب في هلع .. هناك رائحة حريق تنتشر في المكان ..

لكن دقائق ووجدنا أنفسنا وسط عشرات الأذرع تتقاذفنا إلى الخارج وتهتف في سعادة من أجل الحرية ..

لقد حررنا الثوار!

في الخارج كان المشهد مثير للذعر .. تماثيل البابا السابق يتم تدميرها بقسوة وعنف .. النار مشتعلة في محيط الفاتيكان وعشرات الكهنة السفاحين يركضون في كل مكان بذعر شديد .. من يقع في أيدي الثوار يقتلونه فوراً ويقذفون بجثتة في المجارير!

لابد أن يدفع (غيسليري) اللعين الثمن .. لابد أن يدفع الفاتيكان الثمن ..

الهياج منتشر في كل مكان .. رحت أركض في سعادة فاقداً لرشدي واتزاني ..

هتفت بكل قوة:

- فلسيقط غيسليري السفاح ..

فليسقط المكتاتور!



الفاتيكان - ٢٠١٢

راحت الراهبة الإيطالية الأنيقة تُرشد السياح بداخل كنيسة (سانتا ماريا ماجيوري) .. كانت نظرات الانبهار بالعراقة ممتزجة بخشوع شديد من السياح المسيحيين ..

وقفوا جميعاً أمام قبر البابا (بيوس الخامس) المعروض للعامة .. شاهدوا جسده المسجى والقناع الذهبي الذي يغطي وجهه بينما يداه معقودتان على بطنه في قفازات بيضاء أنيقة ..

وقفت الراهبة أمام القبر المكشوف بخشوع .. وقالت في هدوء:

- أعزائي المسيحيين الأتقياء .. إننا الآن أمام قبر القديس (بيوس الخامس) .. بابا الفاتيكان العظيم المملوء بالمحبة والنعمة والتقوى والخشوع للرب .. والذي استطاع بالكفاح لم شمل الكنيسة والفاتيكان بعد تمرد شيطاني قاده البعض لفترة من الزمان حتى جاء البابا القديس وأسكته بواسطة كلمة الرب وبالتقوى والإيمان وحدهما فقط لا غير ..

فالمجد في الأعالي لبابا الرحمة القدس المعظم ..

طالع أحد السياح المهتمين الكتيب السياحي الذي في يده قبل أن يسأل الراهبة مستفسراً:

- أيتها الأخت الطاهرة .. إن اسم البابا بيوس الخامس قبل التنصيب غير مذكور عندي في الكتيب، فهلا ذكرته ؟

بهدوء وبابتسامة فخور أجابت الراهبة:

- كان البابا قبل التنصيب اسمه الكاردينال ميكيل ..

ميكيل غيسليري.



التنظيم المُحرَّم

كانت تسير على الرصيف المواجه متأودة وهي ترتدي ملابس (حرة) و(كاجوال) .. تظهر صدرها وسيقانها ..

لم أعلق وإن ضايقني المشهد، فكرت أن أذهب إليها لأشرح لها أن هذا مخالف للشرع خاصة أنها تضع سلسلة على شكل مصحف ..

ما إن هممت بالتحرك حتى جاء خمسة من الشباب التفوا حولها، استطال فم أحدهم وراح يعوي كالذئب، بينما راح الأربعة الباقون يتقافزون حولها في فرح وألسنتهم خارج أفواههم!

أصابها ضيق شديد وأخرجت فجأة من حقيبتها لافتة مكتوب عليها (امشوا بعيد يا حيوانات)!

ركضوا بعيداً وهم مازالوا يتقافزون، فقد رأوا واحدة أخرى لا ترفع لافتة، بينما هي مازالت غاضبة، وبعصبية أشد خلعت قميصها لتقف شبه عارية، وترفع يافطة أخرى (من حقي ألبس اللي عاوزاه وانت متبصبصش عليا يا حيوان!)

وجمت، لم أستطع التحرك من الرصيف .. مر أحدهم بجواري وألقى نظرة .. ما إن رآها حتى توقف يهتف لها مشجعاً في فرح متقافزاً من السعادة .. سألته علام يحييها فنظر لي بغضب قائلاً: انت هتكفرها؟!

صدمت، أنكرت بشدة، أوضحت له أنني أنكر فقط ما تفعله وترتديه فهو يغضب الله .. كور قبضته في غيظ وصرخ غاضباً: أيها الحيوان .. إنها أفضل منك عند الله .. الدين في القلب لا في الملبس! أنت ذو النية الخبيثة وإلا ما اهتممت بالنظر إلى جسدها!

ارتج علي .. وهو ازداد في الصراخ .. مر آخر فرآنا .. وقف بجواري ليستمع في فضول .. نظرت له في أمل كي يقف معي .. لم يتكلم .. شجعته على أن يدافع عني أو يقول رأيه .. لكنه لا ينطق .. فقط ضرب كفاً بكف ومصمص شفتيه متصعباً!

وجدت شخصاً ملتحياً قادماً، قلت لنفسي ها قد جاء المدد ضد هذا الهجوم وهذه السلبية، لكن ما إن رآني وفهم الموقف حتى وجدته يركض بعيداً عني صارخاً في رعب: أنا مليش دعوة .. أنا مش إرهابي!

أثناء محاولتي الرد على الشخص الأول المهاجم، فوجئت بشخص يقف بجواري .. يدعمني في كلامي .. الحمد لله جاء المدد .. لكن برغم مساندته فقد زاد الهجوم .. حتى إن صوت المُهاجم قد أسمع كل الشارع .. الكل جاء ليستعلم .. الفتاة مازالت رافعة لافتتها في سلام .. ظهر مذيع في يده ميكروفون وجريدة وراح يسجل كل كلام الأخ الأول المهاجم الذي راح يغني له في عذوبة، وما إن جاء دوري لأتكلم في الميكروفون حتى انقطع الصوت وخرج منه صوت مزعج ممتلئ

بالسباب بدلاً من كلامي .. صوتي الحقيقي لا يصل إلى الجمهور ..

كدت أنفجر .. تحركت في عصبية نحو تلك الفتاة .. قررت أن أبلغها آية الحجاب .. فقط سأقولها لها وليكن ما يكون .. وقفت أمامها فنظرت لي في هدوء .. استبشرت خيراً وابتسمت قائلاً: يا أختي .. بسم الله الرحمن الرحـ ..

لم أكمل البسملة من الذعر، فقد صرخت كأنها تذبح .. وفجأة وجدت شخصاً يمسك بيدي اليمنى، وآخر يمسك باليسرى .. هناك ثالث قام بحركة قتالية ليجعلني أسجد .. وجدت أن الأول هو المهاجم .. والثاني هو السلبي .. والثالث (صدق أو لا تصدق) هو الشخص الذي كان يقف معي في النهاية، بينما رأيت الملتحي في أول الشارع يهتف: والله أنا بريء منه .. والله أنا بريء منه!

المذيع ينقل المشهد واصفاً إياي بأني زعيم التنظيم!

أي تنظيم؟ هكذا سألت ..

فصرخوا جميعاً في وجهي بغضب:

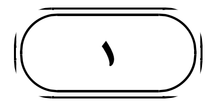
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. يا إرهابي ..

وأثناء ركوبي سيارة الترحيلات بعد وصول البوليس، نظرت نظرة أخيرة إلى الفتاة وسط نظرات العداوة والغضب المسلطة علي من كل الواقفين ..

لم تكن وحدها هذه المرة .. كانت تقف وسط عشر فتيات جديدات .. هن زوجات وبنات هؤلاء المهاجمين .. لقد اقتنعن بقضيتها وصمودها .. وانشغل رجالهن بالبصق علي ..



بولاشير جودهو



١٧٥٧م

(البنغال)!

قالها الجنرال (سميث واتسون) وهو يشير إلى موقعها من خريطة الهند، كان واقفاً أمام مجموعة من الجنرالات والسياسيين الإنجليز المسئولين في الهند وقد علا وجوههم الوجوم، وتراجع اللورد (سكوت بيلامي) في مقعده مفكراً في عمق دون تعليق ..

قال السير (بكارد كلايتون) في انفعال:

- جنرال (سميث) .. أرجوك كن أكثر واقعية ..نحن في وسط حرب عنيفة، وفتح جبهة قتال مع دولة البنغال المرعبة والقوية حالياً ربما لا يكون في مصلحتنا على الإطلاق ..

أكمل اللورد في هدوء:

- بل هو مغامرة مجنونة محتم عليها الفشل .. إن دولة البنغال تملك من المعدات والذخيرة والسلاح ما يقارب تسليحنا هناك ..

والمصيبة أن ما نستطيع توفيره من الجنود لهذه الجبهة لن يتعدى الخمسة آلاف جندي لمواجهة عشرات الآلاف من البنغال .. فكيف تتوقع الانتصار وقتها؟

لم يهتز جنرال (سميث) بهذا الهجوم، بل أجاب بثقة هائلة:

- سير كلايتون .. لورد سكوت .. ما نمتلكه من مهارة عقلية وتفوق في العلوم العسكرية والتكتيك جدير بجعل الكفة تميل لصالحنا برغم كل شيء ..

لم يبد الاقتناع على وجه السير فتراجع صامتاً ونفخ غليونه بصمت وهي علامة على رفضه الاستمرار في الحديث، بينما قام اللورد بمداعبة لحيته الكثة وهو يقول:

- سأبلغ دوق ديفونشاير رئيس وزراء جلالة الملك برغبتك هذه، ومستعد أن أدعمك في حالة واحدة .. أن تضمن لي أن من سيقود هذه الحملة رجل مخلص للتاج يملك من العلم والدهاء ما يكفي للتفوق .. والأهم أن يملك الإيمان الروحي بالمغامرة ..

بنفس الابتسامة الواثقة رد (سميث):

- لدي رجل يؤمن تماماً بذلك ولديه خبرة معقولة بالهند .. أعتقده الأنسب لهذه المهمة .. الكولونيل (روبرت كليف).



مُرشِد آباد - إقليم البنغال

بتوتر شديد راح (زين الدين علي خان) يصعد درجات سلم قصر (منصور جانغ) الهائل المقام أمام بحيرة (الزمرد) رائعة الجمال ..

كان على موعد مع حاكم البنغال (ميرزا محمد سراج الدولة) الذي يعتبره أعز أصدقائه ..

دخل إلى قاعة العرش فوجد كافة قادة الدولة والجيش وقوفاً في انتظار الحاكم .. لم يكن يطيق أغلبهم ولا يشعر بالاندماج معهم فتعمد الوقوف بجوار إحدى النوافذ الكبرى المزخرفة بعشرات الألوان الزاهية الجميلة يتطلع إلى عاصمة البنغال الهندية الخضراء بأشجارها الوافرة وعصافيرها الملونة عذبة الصوت وبحيراتها مختلفة الألوان وقصورها الشاهقة الجميلة .. راح يسبح الله خاشعاً كعادته كلما رأى هذا المشهد الجميل ..

لم تمر دقائق حتى دخل (سراج الدولة) محاطاً ببعض الخدم، كان شاباً وسيماً في الرابعة والعشرين طويلاً نحيفاً زيتوني اللون، له شارب معتدل الحجم، وشعر أسود لامع يتهدل على كتفيه من تحت عمامته البيضاء المرصعة بالجواهر والياقوت، مرتدياً قفطانه الأبيض ذا الحزام الذهبي المحبب إليه ..

بعد استقرار سراج الدولة على عرشه بدأ الحديث بلهجته المتوترة دائماً:

- طبعاً أنتم تعرفون نتائج اجتماعاتنا الأخيرة، لقد قررنا أخذ المبادرة والذهاب للقاء الكولونيل (كلايف) في مدينة (بولاشير) .. لقد جهزت جيشاً ضخماً للغاية وسلحته بأفضل أنواع البنادق المتاحة .. فهل أنتم مستعدون لفعل ذلك خلال هذا الأسبوع؟

رفع (مير جعفر) صديق الملك الشخصي رأسه في فخر وأجاب مبتسماً في ثقة:

- بل قادرون على التحرك غداً يا مولاي .. إن الأخبار القادمة من جهة معسكر (كلايف) طمأنتنا أن هذا الأحمق ليس لديه سوى ثلاثة آلاف جندي فقط .. منهم أكثر من ألفي هندي .. إنه متجه نحو مذبحة لكنه غافل ..

قال القائد العسكري (يار لوتوف خان) في هدوء:

- مولاي .. أنا أيضاً شديد الحماسة لقتال الإنجليز .. لكن يجب أن نأخذ حذرنا أكثر .. من الأفضل أن نؤخر الزحف حتى بداية الأسبوع القادم كي أُكمل الجيش إلى أقصى طاقته .. أنا بحاجة لبعض الوقت والـ ..

في ضيق تدخل (سيث جاغات) مقاطعاً:

- لماذا نتأخر يا (لوتوف)؟ إن العقل والحكمة يقتضيان منا التحرك بسرعة بالغة قبل أن يفيق (كلايف) ويستدعي قوة أكبر ..

التفت (سراج الدولة) نحو قائد جيشه (ميرمدان خان) الملتحي ضخم الجثة وسأله عن رأيه فأجاب:

- سيدي النواب العظيم .. أنا تحت أمرك في أي رأي .. وأميل لرأي مير جعفر وسيث جاغات بالتبكير .. مع كامل تقديري لرأي أخي لوتوف خان ..

نهض (سراج الدولة) واقفاً وقال لهم بلهجة عصبية حاسمة:

- رأيي أنا هو الزحف بسرعة .. وأبشركم بأنني قد ضممت إلى الجيش كتيبة مدفعية فرنسية بقيادة القائد العسكري الفرنسي (فرايس) ..

هز الكل رؤوسهم في استحسان ما عدا (زين الدين) .. فأمرهم (سراج الدولة) بالانصراف والاستعداد واستبقاه هو فقط ..

ما إن اطمأن (سراج الدولة) لرحيل الجميع حتى نهض متجهاً إلى (زين الدين) شاهراً سيفه هاتفاً في انفعال مصطنع:

- أعتقد أنك تخالفني الرأي يا (زين الدين) .. سأقتلك هنا والآن جزاء معارضتك النواب العظيم حاكم البنغال (سراج الدولة)!

ابتسم (زين الدين) وخفض رأسه هاتفاً في انفعال تمثيلي مماثل:

- نعم أنا مجرم ومخالف لرأي النواب الأكبر .. اقطع رأسي يا مولاي!

غمد (سراج الدولة) سيفه وضحك بشدة قبل أن يحتضن صديقه قائلاً في مرح:

- سأعفو عنك هذه المرة فقط .. لكن عليك أن تعدني بأن تخضع لمشيئتي دائماً ..

بابتسامة هادئة قال (زين الدين):

- أنت تعرف أنني لن أفعل .. إن واجبي هو نصحك بما يرضي الله لا بما يرضيك ..

تحرك (سراج الدولة) نحو إحدى الشرفات وهو يسأل في جدية:

- وما الذي قلته أنا لا يرضي الله يا صديقي حتى تعترض على كلامي وترفض التعليق عليه؟

- تذهب لقتال عدو الله الإنجليزي .. ومعك نصارى فرنسيون وهندوس؟!

خطا (سراج الدولة) إلى داخل الشرفة وهو يقول في انفعال وضيق:

- نفس القضية كل مرة! نفس الكلام كل مرة! جمود عجيب في تنزيل الأحكام على واقع مختلف .. هل يمكنك تفسير وجود هنود مع الإنجليز بلا مشاكل ومنهم مسلمون؟ الزمن تغير يا صديقي ..

- ألفا هندي يعملون تحت إمرة ألف إنجليزي .. إنهم لا يثقون فيهم

أبداً ولا يعطونهم أي مركز هام .. هم مجرد عبيد عندهم ..

ثم دق على حاجز الشرفة وأكمل:

- إن عقيدتنا غير عقيدتهم .. إنك تحارب كمسلم لا من أجل دنيا، وإنما من أجل نصرة دينك .. وإن ألف جندي مسلم يدينون بالولاء لدينهم خير لك من عشرة آلاف هندوسي يحاربون معك لأغراض الدنيا ويميلون لمن معه الغلبة .. إن ديننا يحذرنا بأن اليهود والذين أشركوا هم ألد أعدائنا .. فكيف تجعل من الهنادكة المشركين قادة جيشك وجندك؟

هوى (سراج الدولة) بيده غاضباً على حاجز الشرفة وقال:

- إن جاغات ساث الهندوكي هذا هو أغنى رجال الهند ومع ذلك يدعمني بقوة .. ويعطيني النصائح العظيمة .. كيف بالله عليك أقوم بإبعاد هذه الكفاءة لمجرد اختلاف بين ديني ودينه؟ اسمع .. هذه المثالية المفرطة موردة للمهالك .. قد فتح المسلمون الأندلس ومعهم في جيشهم أبناء غيطشة وساندهم يهود .. إنني قارئ جيد للتاريخ يا زين الدين وأنت تعلم هذا .. لو كانت الهزيمة محتمة لجيش ليس له ولاء تام على أساس ديني ما فُتحت الأندلس ..

- التاريخ لم يكن أبداً مصدراً لأحكام المسلمين .. جمع جيش على أساس الولاء الديني هو حكم إلهي عام واجب النفاذ وعلى المسلم

عدم الجدال فيه .. إننا مأمورون بالحرص على موالاة المسلمين فقط، وعليك أن تبرأ من هؤلاء لا أن تقربهم إليك في الجهاد! كيف تجاهد في سبيل الله وأنت تستعين في جيشك بمن يقيم صلاته ودينه على الكفر به والعداوة له؟ كيف ينصرك الله وقتئذ وقد نزعت عنك الرضا الإلهي؟ هل ينصرك ليرقص الهندوسي جاغات فرحاً مع الفتيات على شرف ابن الله كريشنا الذي نصره؟ أم ينصرك ليركع الفرنسي (فرايس) أمام الصليب ليمجد ابن الله يسوع على الانتصار؟ اجعل جهادك خالصاً لله وطهر جيشك ومواليك ووقتها سينصرك الله ..

في ضيق هز (سراج الدولة) رأسه قائلاً:

- أنت فقط شديد التعصب .. إن هؤلاء الهندوس يحبون البنغال وسيقاتلون من أجلها بكل قوة .. والفرنسيون يكرهون الإنجليز وسيقاتلون ضدهم بكل قوة .. لماذا أرفض تلك المساعدات بسبب التعصب الديني؟ كم فتح الله علينا وعلى جدودنا من بلاد بمساندة هؤلاء الذين تعاديهم على أساس ديني؟ لماذا تتجاهل مثال الأندلس الذي ذكرته لك؟

- التعصب لجناب الله وعباده ليس بجريمة .. إننا نقاتل من أجل نصرة إلهنا لا من أجل نصرة أرضنا .. نقاتل من أجل سماء لا من أجل أرض .. فإن قاتلت تحت راية بلدك ألزمت نفسك بجند هذا القطر

الصغير .. وإن قاتلت تحت راية ربك ألزمت كل مسلم على وجه الأرض بالقتال من أجل هذا القطر الصغير .. فأيهما أفضل لك؟ وماذا كان مصير المسلمين في الأندلس حتى تستدعي هذا المثال؟ ألم يكن مصيرهم إلى زوال بسبب ضياع عقيدة الولاء للعقيدة لا للمصلحة المرجوة أو القطر المحدود؟

أشار (سراج الدولة) إلى الأفق وقال منفعلاً:

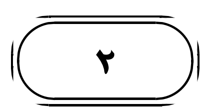
- أي ولاء بين المسلمين؟ تقصد أن المسلمين سيقومون بنجدتي؟ تقصد أن ملك الأفغان (أحمد شاه دوراني) سينقذني؟ ها هو رجل يملك جيشاً هائلاً ومع ذلك كل ما يفكر فيه هو غزو مملكتي حتى وأنا معرض لخطر الغزو الإنجليزي! هذا هو المسلم الذي تريد مني موالاته!

- القرآن لا يؤخذ من أفعال قارئيه .. والمسلمون ليسوا كلهم (أحمد شاه دوراني) .. إن هناك ملايين في كل مكان بل وفي مملكة دوراني نفسها سيدعمونك بأرواحهم في جهادك .. فقط طهر جيشك وأخلص نية جهادك وتوكل على الله ..

صمت (سراج الدولة) طويلاً .. التفت وتطلع إلى الأفق لعدة دقائق .. في النهاية التفت إلى (زين الدين خان) قائلاً في حسم منهياً النقاش:

- صديقي المتعصب الحالم .. عقيدتي مختلفة عنك في هذه النقطة .. أما بالنسبة للنصر أو الهزيمة، فلدي خمسون ألف جندي مسلح

بالبنادق .. مجموعة من أمهر القادة العسكريين والسياسيين .. أغنى رجل في الهند .. ٥٣ مدفعاً فرنسياً حديثاً بأطقمهم وقائدهم .. كل هذا مقابل ثلاثة آلاف جندي إنجليزي ..كيف أهزم بالله عليك؟



تطلع الكولونيل كليف إلى السهل الهندي الواسع أمامه .. إنه في طريقه لمعركة كبرى .. معركة خطيرة قد تجعل اسمه خالداً في التاريخ الإنجليزي، بل العالمي، وقد تنهي مستقبله في لحظة واحدة!

ثلاثة آلاف مقابل خمسين ألف جندي بنغالي! ياللمهزلة! وياللمجد الذي يمكن أن يحققه إن انتصر!

مع ذلك، يمتلك كليف إيماناً هائلاً بأنه سينتصر!

العصور القادمة ستكون أوروبية بلا شك .. وهو عنده ثقة ضخمة بأنه في غضون عقود قليلة سيبدأ الإنجليز في التحرك نحو قمة العالم .. يقينه من هذا ربما يكون لأمور عرقية عنصرية متعصبة للأنجلوساكسون بداخله .. لكن برغم كل شيء لم يكن ليسمح للعاطفة الداخلية أن تحكم في هذا الأمر بالتحديد ..

إنهم سينتصرون لأنهم يملكون من الدهاء والعلوم العسكرية الحديثة والإيمان والثقة بالنفس ما يفتقده البنغال .. سيناورهم

بتحركات جديدة وتصرفات تكتيكية غير معروفة وسيقعون كالأفراخ بين يديه .. هو كإنجليزي يعرف كم نفعت هذه الأساليب بريطانيا في عشرات المعارك هنا في الهند .. جيوش ضخمة لكن بعقول طفولية لا تتعلم ..

ثم إن الأساس العقائدي الذي كان يحارب به المسلمون قديماً قد انتهى .. الآن يواجه جيوشاً أكثر تفككاً في البنية العقائدية من جيش صلاح الدين الذي واجه جده ريتشارد .. ربما لم يعد هو الآخر يملك الإخلاص للصليب كما كان ريتشارد لكن عقيدة الولاء للأمة تحقق له التماسك المطلوب على مستوى النخبة القائدة ..

هو مهتم جداً جداً بهذه النقطة بالذات .. لابد أن يكون القادة متحدين في العقيدة .. قد يجعل في جيشه نخبة هندية وقد يتحالف مع هذا وذاك لكن نخبته القائدة إنجليزية تملك ولاء للملك .. عندما يقارن هذا بسراج الدولة ونخبته يشعر باطمئنان كبير .. فقط يلزمه العمل على استغلال هذا ..

وسيفعل ..



بولاشي - ٢٣ يونيو ١٧٥٧

بجوار نهر (قاسم بوزر) انتشر جيش (سراج الدولة) المهيب .. قام الفرنسيون بنصب عشرات المدافع في مخازن عالية محصنة في بداية الجبهة.. وبينهم الفرسان وأفضل جنود الجيش تحت إمرة (ميرمدان خان) قائد الجيش .. بينما في الخلف كان هناك تشكيل من قلب بقيادة (يار لوتوف) وميمنة بقيادة (راي دورلاباه) وميسرة بقيادة (مير جعفر خان) ..

وسط ضباب الصباح .. بدأت المدفعية الفرنسية القصف في الثامنة تماماً .. وكانت هذه هي الإشارة ..

انطلقت عشرات المدافع الفرنسية والبنغالية تصب اللهيب المركز على الجيش الإنجليزي الصغير .. لا يوجد موضع في الجبهة الإنجليزية كان بعيداً عن كرات البارود ..

بعد نصف ساعة قام (كليف) بسحب قواته بطريقة شديدة التنظيم والانضباط نحو تحصينات خلفية قوية حمتهم من الجحيم المنهمر ..

ظل القصف ثلاث ساعات متواصلة!

ثلاث ساعات من النار والدخان .. راقب (كليف) بنظارته المعظمة ساحة المعركة ثم التفت إلى الليوتنانت (هاتر) قائلاً في سخرية:

- مارد مزدحم العضلات لكن بلا عقل .. ثلاث ساعات نزيف للذخيرة والساحة شبه خاوية من جنودنا أصلاً!

سأجتمع بالقادة الآن وسآمرهم بالحفاظ على موقعنا الحالي حتى المساء، وفي الظلام سنقوم بالهجوم الكبير ..



سقطت أول قطرة على كتف (ميرمدان خان) ..

عقد حاجبيه ونظر للسماء ..

السحب الرمادية والسوداء قد أغلقت منافذ الضوء .. وكان المطر قد بدأ ينهمر بالفعل على استحياء ..

توقفت المدفعية قليلاً .. إنها الثانية عشرة ظهراً الآن .. قرروا قطع القصف ..

نظر (ميرمدان خان) إلى زميله (موهان لال) وابتسم .. قال له وهو يهتز بسبب تحرك خيله للأمام وللخلف:

- بعد هذا المطر والقصف .. سنتوجه لنغزوهم بفرساننا في ضربة قاصمة .. سنعلم الإنجليز درساً لن ينسوه ..

كان المطر ينهمر متواصلاً بكثافة وتركيز .. وبراميل الذخيرة والبارود المكشوفة تتلقاه بلا أي حماية!

بمجرد هدوء المطر عادت المعركة للاشتعال .. راح الجنود البنغال

يضربون المدافع والبنادق ..

لكن!

هناك مشكلة ما!

البنادق بعضها لا يطلق الذخيرة والبعض الآخر يطلقها في ضعف!

ماذا حدث؟

قال (موهان لال) لزميله في ضيق:

- البارود والماء! وقعنا في خطأ فأصاب البارود الرطوبة!

وجم (ميرمدان) لثوان ..

- كيف وقعنا في هذا الخطأ الغبي؟

- إهمال أو خيانة .. لا أدري لكني أشعر بالقلق ..

- أرى ضرورة صنع هجوم مباغت الآن .. تقديري أنهم مصابون بنفس المشكلة في البارود .. أي هجوم مباغت شجاع سيضرب قلبهم!

قال (موهان لال) في عدم اقتناع:

- هل تظن الإنجليز يقعون في مثل هذا الخطأ العشوائي؟

هتف (ميرمدان خان) مستنكراً:

- إنهم بشر .. بشر .. يحاربون بالقوة مثل الجميع ويُخطئون مثل الجميع .. هيا جهز جنود فرقتنا للهجوم ..



دخل الميجور (جرانت) إلى الكولونيل (كليف) في خيمته قائلاً في ارتباك:

- سيدي .. إن البنغال يقومون بهجوم قوي مفاجئ شبه انتحاري .. لا نفهم السبب الحقيقي في كشف أنفسهم هكذا ..

في سخرية قال (كليف):

- لا تحاول التفكير كبنغالي يا عزيزي وإلا شعرت بالخطر على حالتك .. أزل أغطية المشمع من فوق البارود فوراً وقم بحصدهم بلا تردد ..



هل كانت السماء تمطر ناراً أم أن هذا بالفعل هو قصف إنجليزي؟

(ميرمدان خان) راح يدور بخيله في ذهول وارتباك .. يا الله .. الإنجليز جعلوا السماء تمطر قطرات ضخمة من اللهب .. إن بارودهم أكثر فعالية .. نحن فقط من نصنع هذه الأخطاء الساذجة البشعة!

كان الفرسان البنغال يسقطون من حوله قتلى أو تنفجر أجسادهم وخيولهم من فعل القصف المخيف .. لهم طريقة قصف أكثر تنظيماً من عشوائية القصف البنغالي!

كان ميرمدان يحاول الانسحاب .. لكن لا .. الإنجليز صنعوا ستاراً من النار خلفه يمنع قواته من الانسحاب!

ظل ميرمدان يدور بخيله وسط القصف ولازال يفكر ويفكر .. حتى جاءته تلك القذيفة الهائلة كصاعقة تضرب قشة!



كان وقع مقتل ميرمدان على سراج الدولة ثقيل الوطء .. ارتعشت يداه وظل جالساً في صمت غير قادر على الحديث لفترة بينما الكل واقف في خيمته متهيب الحديث ..

ألم يقل له الجميع أنه آت في نزهة؟ لماذا يشعر بصعوبة الأمر؟

كان بعض القادة العسكريين في حالة دهشة واستنكار، بينما قلب (جاغات ساث) يديه في ضيق ..

أسقط في يد سراج الدولة .. أنساه الذعر كيفية التصرف وما هو الواجب تنفيذه الآن! نعم إن جيشه ضخم وقادته كثيرون لكنه لم يكن يتوقع أن يموت قائده بهذه السرعة والسهولة؟ إنه لم يكن قد أعد في ذهنه شخصاً آخر لقيادة الجيش ..

حاول التماسك وسط الضياع .. أمرهم فوراً باستدعاء قائد الجناح الأيسر .. مير جعفر خان .. إنه الأقرب إليه والأكثر قدرة على قيادة الجيش بعد مقتل (ميرمدان) المفاجئ ..

دخل مير جعفر الخيمة ووجهه بادٍ عليه الاكتئاب لمقتل القائد ..

لم يكد يمثل بين يدي (سراج الدولة) حتى قذف الأخير عمامته الفاخرة على الأرض في انفعال وغضب هاتفاً:

- عمامة مُلكي سقطت يا مير جعفر خان .. دافع عنها بكل قوتك وليكن الله معك .. أنت قائد جيشي منذ الآن ..

انحنى مير جعفر فوراً امتثالاً للأوامر ووعده بالموت من في خدمته ثم خرج من الخيمة عازماً على أمر ما ..

ستبدأ الحرب في اتخاذ منحى جديد تماماً ..

❁ ❁ ❁

لم يكد مير جعفر يخرج حتى دخل الخيمة قائد جناح الميمنة (راي دورلابه) وعلى وجهه علامات الخطورة .. انحنى فوراً أمام (سراج الدولة) المصدوم الذي سأله في توتر:

- ماذا هناك يا راي؟

رفع راي رأسه هاتفاً في توسل:

- أرجوك يا سيدي النواب العظيم .. أرجوك ارحل من أرض المعركة وعد إلى مرشد آباد تاركاً الزمام لقيادات جيشك ..

وقف (سراج الدولة) غاضباً وهو يقول:

- ماذا تقول؟ أتظنني جباناً لأترك جيشي في وسط المعركة؟ قد يكون مصابنا كبيراً بفقدان (ميرمدان خان) .. لكن جيشاً قوامه

خمسون ألفاً من الجند لا ينهزم أمام شرذمة ..

ركع (راي دورلابه) أمامه متوسلاً وراح يسجد ويقوم من على الأرض بصورة متتالية وهو يقول:

- مولاي النواب العظيم .. مولاي النواب العظيم .. هناك نذر شؤم في الجو وهناك أشياء خطيرة غير مفهومة .. أرجوك يا مولاي غادر إلى مرشد آباد كي تكون سندنا إن احتجنا للانسحاب بسرعة .. الأمر أكبر من (ميرمدان)!

عاود (سراج الدولة) الجلوس حائراً وهو ينظر إلى قادته الذين خفضوا عيونهم في ارتباك فزادوه حيرة .. هناك شيء ما يحدث خطأ ينفي الصورة الجميلة التي كان ينتظرها .. قال في بطء وهو يدير عينيه في وجوههم:

- هل توافقون على هذا الطلب الغريب؟

قال (جاغات) المرتبك:

- الأمر كما تشاء طبعاً يا مولاي .. لكني أميل للحفاظ على حياتك أولاً .. ولتجهيز مُرشد آباد لأي طارئ ..

وافقه أغلب القادة فخفض (سراج الدولة) عينيه مُطرقاً لدقائق، ثم رفع رأسه قائلاً في ثبات أخفى به انفعالاته:

- برغم ثقتي التامة في النصر ورفضي لمبالغاتكم .. إلا أنني

سأنزل إلى رأيكم وأرحل إلى العاصمة تاركاً الأمر لأيديكم الأمينة .. دافعوا عن أرض البنغال بكل قوتكم .. دافعوا عن بلدكم وترابها بكل عزيمة .. لا تجعلوا الإنجليزي يهزأ بنا أبداً ..

❀ ❀ ❀

الثانية ظهراً

أمر الفرنسي (فرايس) مدفعيته بالتوقف عن القصف لدقائق .. رفع نظارته المكبرة فشاهد جموع جيش البنغال تتراجع في ارتباك بلا أي نظام إلى الخلف تاركة إياه في مقدمة الجبهة بلا مساندة ..

سأله أحد الضباط من زملائه عما يحدث فقال في ضيق:

- هؤلاء البنغال المسلمون الحمقى لا يملكون أي دراية بعلوم الحرب الحديثة .. ينسحبون بطريقة عشوائية خرقاء تاركين إياي في المقدمة بلا مساندة بل وبدون إبلاغي حتى!

اتسعت عينا الضابط المجاور في انزعاج هاتفاً:

- ياللهول! ياللهول! لقد ورطونا نحن أمام الجيش الإنجليزي وجهاً لوجه!

أنزل (فرايس) نظارته قائلاً في اشمئزاز:

- طالما نبهت قياداتي أن هؤلاء يملكون القوة العسكرية بلا عقل

ولا علم .. لكن للأسف اعتقدوا أنه من المستحيل لجيش بهذه القوة أن يكون فيه كل هذا التهريج العسكري ..

ثم التفت إليه قائلاً باستهتار:

- لا تحمل أي هم .. جهز قواتك للرحيل فوراً في حالة تقدم الإنجليز إلى تحصيناتنا .. لن نموت أو نضحي من أجل همج .. في حالة أي خطر سنستسلم للإنجليز فوراً بلا مشاكل وسنتفاهم معاً ..



بينما كان الميجور كيلباتريك يجهز بندقيته مناقشاً بعض صغار ضباطه فوق أحد التلال ، دخل عليه الكولونيل (كليف) ثائراً ..

أشار (كليف) للبندقية هاتفاً في غضب:

- كيف تجهز بندقيتك آمراً الفوج ٣٩ بالاستعداد للهجوم دون تشاور؟

ارتج على الميجور (كيلباتريك) خاصة أنها المرة الأولى التي يشاهد فيها (كليف) ثائراً، فقال في ارتباك:

- سيادة الكولونيل .. لقد رأيت فرصة سانحة لاحتلال الحصون الأمامية للبنغال واستخلاصها من الفرنسيين .. لم يكن هناك فائدة من تضييع الوقت ..

في هياج أشد هتف (كليف):

- التشاور مع قائدك ليس تضييعاً للوقت .. مهما بدت الفرصة سانحة فلا خير في الفردية .. أين تعلمت علومك العسكرية يا ميجور؟

في عصبية تناول الميجور كيلباتريك النظارة المكبرة ومد يده بها إلى الكولونيل كليف قائلاً في ضيق بالغ:

- سيادة الكولونيل .. أرجوك شاهد بعينيك كيف أن هذا الأمر لا يحتاج لتلك الثورة .. الأمر لا يحتاج سوى التحرك السريع ..

تناول (كليف) النظارة غاضباً وراح يشاهد القوات البنغالية وقد تراجعت للخلف واستقرت في تحصيناتها بصورة عشوائية تماماً تاركة الفرنسي وحده بلا أي دعم .. بالفعل لا يوجد أي عقل عسكري يمكنه تفويت هذه الفرصة السانحة إلا واغتنمها بلا تضييع ثانية واحدة!

أنزل النظارة المكبرة في ضيق ودفعها في صدر (كيلباتريك) وهو ينظر إلى عينيه قائلاً في صرامة:

- ولو .. لن أتنازل عن مبدأ التشاور معي وباقي القادة قبل اتخاذ أي قرار .. فردية عبقرية قد تنصرنا .. وقد تهزمنا .. وكلنا سنتحمل نتاج تصرف فردي في النهاية ..



ما بعد الثالثة ظهراً

بانسحاب الفرنسيين إلى الخلف اندفعت القوات الإنجليزية لتحتل التنكات الفرنسية العالية المطلة على ساحة المعركة ..

الآن المشهد صار مثيراً للذعر .. الحصون الأمامية العالية الضخمة احتلها الإنجليز. انكشف أمامهم الجيش البنغالي المصاب بخوار عجيب والذي اختبأ في التحصينات الخلفية الصغيرة ..

أمر (كليف) بفتح المدفعية بأقصى قوة، كان لابد من إخراج الجنود البنغال الذين دب في قلوبهم الوهن والرعب من تحصيناتهم واحتلالها ..

هكذا ظهر التفوق العسكري الأوروبي بقوة في تلك المرحلة بالذات، فبقوات صغيرة وعدد من القتلى ضئيل للغاية كان يحاصر بعض أفرع الجيش البنغالي الذي يتعامل بعشوائية ويطلق النار بذعر من لا يدرك كيف يواجه هذا الانضباط التكتيكي الإنجليزي الرهيب، يمكن بسهولة لمائة جندي إنجليزي محاصرة عشرة آلاف جندي بنغالي مسلم بتكتيكات عسكرية متطورة دون أن يعرف البنغال كيف ينقذون أنفسهم سوى بالعشوائية في إطلاق النار والمزيد من الذعر والفوضى ..

كان (وحيد الدين بهادور) أحد كبار الضباط البنغال، استطاع

الفرار من الحصار الإنجليزي المفروض على الميسرة والتي يقودها مير جعفر .. هناك أمر شديد الريبة يشعر به بسبب رفض مير جعفر التحرك لفك الحصار بجدية .. هناك أكثر من خمسة عشر ألف جندي بنغالي عاطل تماماً ومحاصر من حوالي أربعمائة جندي من جيش كليف! ماذا يجري؟!

ركض خيله بأقصى سرعة حتى وصل إلى خيمة (سراج الدولة) ودخلها هاتفاً في (راي دورلابه) و(جاغات ساث):

- أنقذونا .. الجيش سقط في شرك رهيب .. مير جعفر لا يتصرف ..

ظل جاغات ساث بارداً وقال:

- حذار من الاتهام بعدم الكفاءة الآن .. لا وقت لتبادل الاتهامات ..

- هذه ليست اتهامات .. أرجوكم ساعدوني .. أشعر بخيانة ..

أظهر راي دورلابه الامتعاض وقال معترضاً:

- ليس لهذه الدرجة .. هل أصابك الجنون؟

شعر وحيد الدين بالقلق فتراجع إلى الخلف حذراً وهو يقول في حسم:

- لابد من إبلاغ مولاي النواب .. سأذهب إلى مُرشد آباد فوراً!

نهض راي دورلابه مسرعاً يهاجمه بالسيف فرفع سيفه يقابله وهو يهتف:

- تباً لكم يا خونة ..

عاجله جاغات ساث بطعنة في جنبه فسقط مذهولاً وقال وسط الآلام:

- لماذا فعلتموها؟ كيف خنتمونا؟

وضع راي دورلابه سيفه على صدره موضع القلب وقال ساخراً:

- الدنيا يا صديقي .. الدنيا ..

وأغمد سيفه في قلبه ..



الخامسة مساءً

جاء الغروب مبكراً، لا بسبب السحب الممطرة فقد تشتت وهدأ الجو، وإنما بسبب سحابات البارود والتفجيرات الكثيفة المتناثرة في الميدان ..

المدفعية الإنجليزية المتمركزة فوق الحصون العالية تدك كل خطوط البنغال الخلفية .. الفرنسي فرايس أمر قواته بالانسحاب تماماً من أرض المعركة قائلاً بحسم:

- فليذهب البنغال إلى الجحيم!

الإنجليز يقتلون قوات البنغال المبعثرة بلا وجهة .. يحصدونهم بالمدفعية وبالرصاص حتى ليموت المائة بثلة قليلة من الإنجليز .. دب في قلوب الجيش العرمرم رعب هائل فأصبحوا كالفئران المذعورة ..

كانت المفاجأة الحقيقية أن القادة الكبار الذين بقوا على قيد الحياة .. يار لوتوف .. مير جعفر .. راي دورلابه .. التاجران أمير شاند وجاغات ساث .. كلهم خونة متواطئون تركوا قوات البنغال وضباطهم الصغار يواجهون الآلة العسكرية الإنجليزية القاسية بلا أي توجيه نافع ..

أخيراً .. عند الغروب بدأ الجيش الإنجليزي يحتل المواقع المتقدمة كلها .. تبعثر الجيش البنغالي الضخم في الغابات وفي كل مكان هارباً إلى أقرب المدن والقرى في ذعر كفلول نمل هوت قدم غليظة على منازلهم ..

وفي المساء كان (كليف) على موعد مع قادة جيش البنغال ..

❀ ❀ ❀

أمام خيمة (سراج الدولة) وقف (يار لوتوف) و(جاغات ساث) و(أمير شاند) و(راي دورلابه) صفاً وراء (مير جعفر) في استقبال الكولونيل (كليف) ..

ما إن ظهر حتى تهللت أساريره واحتضن (مير جعفر) سعيداً ومهنئاً

إياه على ولاية البنغال كما كان قد وعده إن انتصر .. فمير جعفر كان الرأس المدبر لعملية تعطيل الجيش لمساعدة الإنجليز في هزيمته بتكتيكاتهم المتفوقة .. لم يكن الإنجليز ليتركوا أي فرصة لإضعاف العدو مهما كانت دنيئة إلا وغنموها ..

هكذا بذل كليف العطاء لقادة الخيانة كما وعدهم .. يهمه المحافظة على سمعته وسمعة بلاده في هذا الأمر حتى يتشجع غير هؤلاء على مد يد المساعدة/الخيانة لهم في مواقع أخرى!

وما إن خرجوا من عنده حتى اقترب ليوتانت صغير السن من أقرباء كليف قائلاً:

- سيدي الكولونيل .. لم أفهم سبب تعيينك لهذا الأحمق حاكماً للبنغال الساقط أمامنا .. لماذا لم تقم بتعيين حاكم إنجليزي للمقاطعة؟

طقطق (كليف) بلسانه معترضاً وقال بمزاج رائق كأنه ينصح طفلاً شقياً:

- ليس هكذا تدار الأمور أبداً .. الإنجليزي مهما كان عسكرياً فهو سياسي قبل كل شيء ..

ثم أشار إلى خارج الخيمة حيث كان يقف على بعد منها القادة البنغال أمام الميجور (اير كووت) في ذل يستمعون لأوامره الجديدة

وتعليماته للمرحلة القادمة وقال:

- لا تنظر إلى هذا المشهد .. هذا هو المطبخ الخفي عن أهل البنغال .. ما لن يراه أحد منهم أبداً .. هم لازالوا قادة بالنسبة لهم .. لا تفقد هذه الميزة ..

ثم التفت إليه شارحاً باستفاضة عندما وجد علامات عدم الفهم على وجه قريبه:

لازال فلول جند البنغال في البلد .. وهم آلاف مؤلفة يمثلون خطراً .. ولا حل للقضاء على خطرهم إلا بإعلان أن القائد العظيم (مير جعفر) قد أنقذ البنغال!

سيعلن نفسه حاكماً وسيعدم سراج الدولة بتهمة الخيانة! أكثر من هذا .. فإن دورلابه ويار لوتوف سيجمعان باقي الجيش المتناثر تحت إمرتهم لاستعادة مجد البنغال تحت قيادة الحاكم الواعي (مير جعفر) .. بينما التاجران الثريان (أمير شاند) و(جاغات ساث) سيقبضان على ميزانية الدولة ويشترون ولاء النخبة القابلة للشراء! ستظهر البنغال أمام شعبها أنها محررة تحت إمرة نخبة عسكرية وسياسية ومالية شديدة الوطنية .. بينما هؤلاء جميعاً هم مندوبونا الأذلاء وتحت إمرة أقل عسكري في جيش الإمبراطورية ..

شاعت ابتسامة فاهمة على وجه الليوتنانت وقال بإعجاب:

- حكم غير مباشر .. ياللروعة ..

- طريقة قديمة جداً بالمناسبة .. ليست بدعاً خالصاً منا .. وعامة في الوقت المناسب وبعد مرور بضع سنوات من الهدوء .. سنجيء نحن لنحكم مباشرة!



٢ يوليو ١٧٥٧

وقف الجنود البنغال صفاً رافعين بنادقهم في وضع الاستعداد .. اتجه القائد العسكري (محمد علي بيج) إلى السجين مقطع الثياب ذي الكدمات الكثيرة على وجهه ومال عليه هامساً:

- عذراً يا (سراج) .. أوامر زعيم الدولة وحاكمها الحالي (مير جعفر) قضت بإعدامك للخيانة .. ليس لي شأن سوى التنفيذ ..

رفع (سراج الدولة رأسه بصعوبة وقال في إنهاك وخور:

- مير جعفر خائن .. كلهم خونة ..

هز (محمد علي) رأسه رافضاً وتراجع قائلاً:

- لا يمكنني أن أعتبرهم خونة كما تصور أنت .. لقد كان ولاء هؤلاء لصاحب القوة والمال والمستقبل .. قد تغير الحال يا سيدي وجاء شخص آخر بعرض أكبر ومستقبل أفضل!

رفع (سراج الدولة) رأسه إلى السماء بلا تعليق وقد تساقطت الدموع من عينيه غزيرة ..

وانطلقت الرصاصات تخترق جسده ..

النهاية